كلية الكوت الجامعة
مركز البحوث والدراسات والنشر

ISBN: 978-9922-612-22-5

الاحتجاج في أشعار أحمد مطر
قراءة في التشكيل والرؤيا

تأليف

أ. م. د. رحيم عبد علي فرحان الغرباوي
كلية الكوت الجامعة

2020

اســـــم الكتاب : الاحتجاج في أشعار أحمد مطر
قراءة في التشكيل والرؤيا

تأليـــــــــف : أ. م. د. رحيم عبد علي فرحان الغرباوي

جنـــس الكتاب : دراسات ادبية

المطبعـــــــة : مطبعة الرفاه / بغداد

ســـنة الطبـع : ٢٠٢٠

الناشـــــــر : مركز البحوث والدراسات والنشر
كلية الكوت الجامعة

تصميم الغلاف : رائد مهند امير

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
٢٦٤٥ لسنة ٢٠٢٠

مطبعة الرفاه
07902823204

الإهداء

إلى من توسَّل الوطنَ أباً وذادَ عنه

إلى طلَّاب الحق في عراقِنا الحبيب

إهداء خاص :

إلى رفيقة دربي

الغالية أم علي

وإلى لطائف الله إلي

(أبنائي)

- المحتويات -

المقدمة 7

التمهيد 9

الفصل الأول : أساليب الاحتجاج 13

المبحث الأول : أسلوب التناص 14

آ – التناص الديني 15

ب- التناص التاريخي 27

المبحث الثاني : الأسلوب القصصي 39

المبحث الثالث : أسلوب المفارقة 50

المبحث الرابع : أسلوب الاستفهام 61

الفصل الثاني : الاحتجاج بالتداعي 71

- مفهوم التداعي 72

المبحث الأول : تداعيات العنوان 73

آ - العنوان وتشاكل الفونيم 75

ب- تعالق العنوان بالتكرار 83

ج- مكانية العنوان 88

د- زمانية العنوان 97

المبحث الثاني : تداعي الرمز الشعري 105

المبحث الثالث : تداعي حركة عين الأفعال المضارعة 116

المبحث الرابع : تداعي الصور الشعرية 127

الفصل الثالث : الرؤى وأنماطها 139

المبحث الأول : الرؤيا الاجتماعية 141
المبحث الثاني : الرؤيا السياسية 161
المبحث الثالث : الرؤيا الوجودية 183
المبحث الرابع : الرؤيا النفسية 203

الخاتمة 227
المصادر والمراجع 229

المقدمة

تمثَّل الأدب المعاصر الرؤى الحداثية تشكيلاتها التي تتواءم مع روح العصر ، بوصف الحداثة تمثل حركات عديدة لها سمات وخصوصيات في كل مكان وزمان تظهر فيه ، إذ انطلق الشعر المعاصر، وهو يمثل خصائصها في عصرنا بوصفها تبنَّت الصراعات الفكرية والسياسية والفلسفية ، و لعل من أبرز مؤشرات الحداثة العربية هي حركة الشعر الحر وما فيه من تقنيات فنية ومضمونية بما تركته عليه المذاهب الأدبية والأفكار الأيدلوجية القومية و الإشتراكية و الرأسمالية وما تمخض منها من سياسات تُظهر انعكاساتها على حياة إنساننا المعاصر ومنهم المثقفين لاسيما الشاعر الذي تسلح بفكر العصر الذي ما انفكَّ يسكبه في نصوصه الشعرية كون النص في منظورنا يتجدد بتجدد الذات في زمن عصرها ومكانه ، ما يجعل من مسالكه تتنوع في كل آنْ . فيجعل من الشاعر أن يكون مرآة حقيقية للموقف الإنساني ، وهو يحدس بما يفرزه الواقع من ضرر أو مكسب وما يجعله يتخذ الموقف السلبي أو الإيجابي لاسيما من إفرازات الواقع السياسي ، والأمة العربية تعيش صراعاتها منذ مطلع العصر الحديث حيث الاكتشافات الجيولوجية وأن بلداننا العربية والمنطقة تعيش على بحر من الخيرات التي بات يتقصدها الغرب ، كل ذلك جعل القوى الإمبريالية الكبرى في عصرنا الحديث تسعى إلى الاحتلال المباشر مرة و بالنيابة من طريق الأنظمة التي جعلتها تابعة لها ؛ مما يدفع بخيرات بلداننا إلى البلدان المستعمِرة .

و لما كان الشاعر يمثل صوت الجماهير ، فهو أول من يقدح أوار الاحتجاج والرفض ضد كل ما يعرقل تحقيق تطلعات الجماهير وهي تأمل الحرية والسعادة في وطن آمن يرفل بكلِّ مقومات الحياة ومتطلباتها المشروعة .

و أحمد مطر واحد من الشعراء العراقيين الذين تصدوا للأنظمة العربية القامعة لشعوبها والسالبة لحقوقهم المشروعة ، فضلاً عن منافحته ضد ارتباطاتها بالقوى الإمبريالية ، فجاءت معظم أشعاره تحمل مضامين الاحتجاج والرفض لهم ولأسيادهم الطامعين.

و يبدو أنَّ شعر أحمد مطر موجه لجميع طبقات المجتمع العربي وبكلِّ مستوياته الثقافية ، فنراه في كثير من قصائده التي ساقها بوصفها خطابات مباشرة و بنغم موسيقي متسارع ينسجم وروحه اللاهبة ، إذ أنَّه جعل في قرارته يكتب لافتاته في الصحف ولعموم الجماهير العربية وهو يشحنها بقوة عالية من التحريض والاحتجاج

ضد سلطة لا تتركه ليعيش ، فقد بدأ الكتابة في صحيفة القبس الكويتية مع الفنان ناجي العلي الذي كان يرسم كاريكاتيرات بجوار قصائده المنشورة ، ثم في صحيفة الراية القطرية وحديقة الإنسان ، بينما كان ينشر مقالاته الوطنية في استراحة الجمعة من أجل أن يوصل صوته الاحتجاجي الرافض للحكومات وهو يحرض فيها أبناء الشعب العربي على تغيير حكوماته إلى حكومات وطنية متفانية من أجل تحقيق الحرية والاستقلال و المطالبة بالعيش الرغيد .

و لأهمية شعر الشاعر وما يحمله من رؤى تعبر عن نضج الانسان العراقي في هذا العصر ، وهو يعبر عن تطلعات الجماهير والدفاع عن حقوقهم المستلبة، ولما لأشعاره من دور فاعل لرسم المشهد التاريخي في رؤيا حداثية تمثلت بنزعة وجودية ثائرة ضد التكالب الاستعماري والتبعي ، وما لها من دور فاعل في المواجهة وهو يقدم صورة الاحتجاج برؤية الشاعر العراقي وبروحه الوطنية الدفاقة مثلما هم أسلافه من الشعراء العرب ومنهم العراقيين الذين يرون أنَّ الشعر هو خير سلاح ينتضيه الشاعر من أجل تغيير الواقع المُعاش بروح فنية لها تأثيرها وقدرتها على الإبلاغ والإقناع ، وهي تتمظهر بالرؤى المتعددة التي تهجس بمشاعر الشعب تجاه حكوماته القمعية المارقة ، ما جعلنا نختار هذه الدراسة كنموذج للشعر المعبِّر عن رفض الواقع السياسي المأزوم بما ينتجه من ثورة احتجاجية أزاءه .

و لعل هذه الدراسة تضمنت احتجاج الشاعر أحمد مطر ، إذ تمثلت في ثلاثة فصول : الأول : تضمن أربعة مباحث هي :الاحتجاج بأسلوب التناص و الاحتجاج بالأسلوب القصصي ، والاحتجاج بأسلوب المفارقة ، والاحتجاج بأسلوب الاستفهام . أما الفصل الثاني فقد تضمن أربعة مباحث أيضاً وهي : العنونة ، و الرمز الشعري، و رمزية حركة عين الأفعال المضارعة , و الصورة الشعرية ، بينما الفصل الثالث ، فتمثل بأربعة أنماط من الرؤى الشعرية , هي : الاجتماعية والسياسية والوجودية والنفسية , ثم خاتمة بأبرز النتائج .

نتمنى أن تكون الدراسة قد وفِّقت في استكناه شعر الشاعر وإظهار أبرز ما تجلى في شعر الشاعر من رؤى متجسدة بتشكيلات أسلوبية على وفق ذوق العصر الفني التي طبعت شعر الشاعر .

ومن الله التوفيق .

أ . م . د . رحيم عبد علي فرحان الغرباوي

التمهيد

إنَّ موضوع الاحتجاج لدى الإنسان العربي رافق السياسات التابعة للقوى الخارجية لاسيما المستعمرين أو السلطات الدكتاتورية التي مازالت تسلب إرادة الجماهير من التعبير عن آرائها تجاه أداء الحكومات فضلاً عن الحرمان الذي يعم البلاد , وقد شهدت الساحة العربية في العصر الحديث والمعاصر مفارقات في أشكال الصراع منه الاقتصادي ومنه السياسي , وجميعها ترتبط بسياسة الحكومات المتعاقبة على البلدان , ونتيجة الوعي الجماهيري بعد الحرب الكونية الثانية ودخول ألأفكار الغربية التحررية للساحة العربية جعل الشباب الواعي يتسلح بالثقافة ؛ مما ألهب الشوارع في مختلف البلدان العربية ، فتحققت كثير من الثورات والانقلابات على السلطات التابعة للدول الاستعمارية , لكن الأمر لم يتوقف على ذلك ، بل صار أبناء الشعب ينتمون إلى أحزاب وتيارات ترقب أداء الحكومات الجديدة إذا ما قصَّرت في تحقيق ماتصبو إليه تطلعات أبناء الشعب ؛ مما أدَّى إلى انبلاج أصوات رافضة لهذا الأداء وتفجر الجماهير غضباً لما يلاقونه من احباطات ؛ نتيجة عدم تحقق مطالبهم للعيش حياة حرة كريمة ؛ مما جعل المثقفين والأدباء لاسيما الشعراء ممن يتصدى ؛ لتمثيل صوت الشعب لاسيما الشباب الذي ينتظر طموحاته أن تتحقق . وقد ظهر شعراء كثر يطالبون بالدعوة إلى الحرية والمساواة وتلبية الطموحات ورفض الواقع المأزوم ؛ لذا فالشاعر في رفضه المتواصل ؛ كونه ظمي ءً إلى " حرية إنسانية متجاوزة لمفهوم الحرية السائدة والمتمنطقة بحدود المفاهيم السائدة للحرية على أرض الواقع " [1], وقد ظهر منذ مطلع الخمسينيات مجموعة من الشعراء أُطلِق عليهم تسمية (الشعراء التموزيون) الذين كانت دعواتهم الانبعاث الحضاري ، وتوالت أجيال من الشعراء يحملون هموم الجماهير , فكان الاحتجاج والرفض عنوان أشعارهم .

و شاعرنا موضوع الدراسة واحد من هؤلاء الذين ما انفكوا يطالبون بحياة حرَّة كريمة تلبي حاجات وتطلعات إنساننا العربي من محيطه إلى خليجه .

---

[1] الزمن في الشعر العراقي المعاصر : 72

و أحمد مطر من مواليد 1954 م من قرية التنومة إحدى نواحي شط العرب في البصرة , فهو كما يصفها تتسم بالبساطة والرقة وطيبة أهلها , مطرَّزة بالأنهار والجداول والبساتين وبيوت الطين والقصب وأشجار النخيل , وكانت بداياته الشعرية لم تخرج عن نطاق الغزل و الرومانسية لكنه آثر فيما بعد أن يلقي بنفسه في دائرة الصراع مع السلطة التي لاتترك المواطن أن يعيش , ومثل هكذا مواقف لايمكنها أن تمر بسلام ، فاضطر الشاعر توديع وطنه ومرابع صباه والتوجه إلى الكويت هارباً من مطاردة السلطة له , ومن ثم تنقَّل إلى بلدان عديدة منها بريطانيا ولبنان .

و الدراسة تناولت المغيبات من خلال تقنيات فنية استطاع الشاعر الإفصاح عن رفضه للواقع المزري وللممارسات التي يصدرها الحكام بحق رعيتهم , فضلاً عن النزعة الوجودية التي دهمت شعراء المرحلة لاسيما شاعرنا في التوق إلى الحرية والحياة الهانئة .

و النص الشعري هو تركيب بنيوي متميز يتشكل من "مستويات معقَّدة من العلاقات اللغوية الداخلية والخارجية التي تتحكم في نسج ترابطه وبنيته على إنموذج يختص من دون غيره مهما كانت صلات القرابة بينه وبين النصوص اللغوية الأخرى" [1]. والتشكيل الشعري يتمثل بتقنيات أسلوبية مائزة ، فهو يمثل خير مؤدَّى؛ لتضمينه المعاني المغيَّبة التي ينوء بها النص فمن خلالها يمكن استنطاق المسكوت عنه , وهي تحمل دلالات شعر الشاعر في الاحتجاج والرفض لكل الممارسات التي استلبت حقوق المواطنين العرب في كل مكان لاسيما المواطن العراقي ، إذ عجَّت كثير من نصوص الشاعر الشعرية وهو يدافع عن مظلوميته ؛ لقسوة الأنظمة المتعاقبة تجاهه .

بينما الرؤيا هي قراءة للواقع عبر مخيال صاحبها وتمثل الكشف عن حقيقة الإنسان في توقه إلى الحرية من أجل صنع صورة لحياة مشرقة يتطلبها الوجدان الإنساني والضمير الحي واللذان يتطلبان منظوراً فلسفياً وفكرياً ووجهة نظر ؛ كي

[1] ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب (مقاربة بنيوية تكوينية) ، محمد بنيس : 251)

يعبران عن الإشكالات التي تتناول موضوعات الحياة خلال مايبدو في الشعور من خلال الخيال الذي يمثل الطريق لانفتاح آفاق الإبداع على عوالم الموهبة الإنسانية .

و لعل الرؤيا في الشعر ما هي إلا " معادل انفعالي ، أي حالات شعورية وتصورية تنقلنا بالترائي إلى عالم نقنع بصحته عبر التجارب التي تجري فيه من أحداث ومرئيات ، وأفكار يحملنا اتساقها على الاعتقاد اعتقاداً انفعالياً لا علاقة له بالبرهان العقلي المنطقي " [1]، ويبدو أنَّ بعض الشعراء في رؤاهم لايقتربون إلى الرؤى الفلسفية بقدر ما يقتربون إلى وجهات نظر تجاه الواقع ، ليوصلوا رسالتهم إلى أكبر عدد ممكن من القراء إذا ما كانوا يكتبون أشعارهم في الصحافة ويحاكون بها جميع طبقات المجتمع لاسيما الشعر السياسي والاجتماعي، كما هو الحال لدى شاعرنا موضوع الدراسة ، فهؤلاء يكونون أكثر واقعية في طرحهم لموضوعات لاسيما حين يكونون في بلدان بعيده عن أوطانهم التي يعالجون فيها الأحداث والصراعات في كتاباتهم عنها ؛ مما يجعل أشعارهم تخلو من الترميز و الغموض المكثف التي تحتاج إلى قراءات متعددة ، فتكون رؤاهم مشكَّلة بين وجهة نظر ، أو تعبير عن أشياء وموضوعات غاب عنها الإحساس الناتج عن العين في البصريات ، فكانت رؤاهم مؤسسة على صورة الواقع بأداء فني لم يحتج فيها إلى الوهم وكثرة التأمل لاسيما في رؤيتيهم تجاه الواقع .

[1] الرؤيا في شعر البياتي ، محي الذين صبحي : 21

الفصل الأول

أساليب الاحتجاج

المبحث الأول : أسلوب التناص

المبحث الثاني : الأسلوب القصصي

المبحث الثالث : أسلوب المفارقة

المبحث الرابع : أسلوب الاستفهام .

المبحث الأول

أسلوب التناص

الفنان الشاعر هو ذلك الإنسان الذي يستجلب مهاراته في سبيل التعبير عن مشاعره وأحاسيسه تجاه موضوع حياتي معين ، فيستعمل تقنيات يبتكرها ؛ كي يوصل للمتلقي قناعاته ومواقفه ، وبما أنَّ النص الأدبي هو "ترحال للنصوص وتداخل نصِّي ، ففي فضاء نص معين تتقاطع وتتنافى ملفوظات عديدة مقتطعة من نصوص أخرى "[1])، ويبدو أنَّ كل نص هو " عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات ، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى "[2])

و التناص هو قضية حتمية يتألف منه النص فهو لدى رولان بارت يمثل نسيج "من الاقتباسات والإحالات والأصداء ... من اللغات الثقافية السابقة والمعاصرة التي تخترقه بكامله "[3])

ويبدو أن النص يحمل في أتونه مادة ثقافية ومنها تاريخية ودينية وأسطورية وأدبية وغيرها شكلاً أو مضموناً أي أن التناص يطلق على ما يحتضنه نص المبدع لنصوص أخرى نتيجة وجود علاقة تفاعل مستمرة بين النصوص ، فتأخذ صورة التأثر والتأثير ، فهي علاقة تفاعل بين نصوص سابقة ونص حاضر [4]. ولعل الشاعر الحديث آثر أن يستثمر مرجعياته الثقافية ؛ لتوسيع رقعة نصه الأدبي واستثمار ذلك ؛ لتنويعه بالدلالات والمضامين ومد تجاربه " الشعرية بنسغ الحياة , وإعطائها صفة الديمومة والبقاء , وإكسابها قوة وفاعلية " [5]؛ وذلك لما تشكله

---

[1]) علم النص ، جوليا كرستيفا : 21)

[2]) الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصرمقدمة نظرية ودراسة تطبيقية، عبد الله الغذامي : 322)

[3]) من الأثر الأدبي إلى النص ، رولان بارت ، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي: 115)

[4]) ينظر : الغياب في الشعر العراقي الحديث :37

[5]) التناص بين النظرية والتطبيق شعر البياتي نموذجاً : 99

التناصات بأنواعها من حضور لدى المتلقين حسبما يوجهه الشاعر في نقل رسالته للناس .

و الشاعر أحمد مطر استعمل ألواناً من ذخيرته الثقافية المتنوعة ؛ ليرسم بها صور نصوصه الشعرية ؛ مختطاً بها طريقاً نحو رسم عالمه لاسيما احتجاجه على الواقع المؤلم الذي يعيشه هو وأبناء وطنه ، كون أي تجربة شعرية تكون محملة بمضامين معرفية وثقافية لصاحب التجربة , ويبدو أنَّ الشاعر أحمد مطر تلقى ثقافته من منابع متعددة منها دينية وتاريخية وأدبية ؛ مما جعله يوظيف ذلك المخزون في أشعاره , ومن خلال قراءتنا لها وجدنا احتجاجه قد اتَّكأ على متجليات تناصية دلَّت عليه منها :

آ- **التناص الديني :** يبدو أنَّ التناص الديني قد شاع لدى شعرائنا المحدثين بوصف الثقافة الطاغية هي الثقافة الدينية التي تمثل مصدراً سخياً لجميع الشعراء سواء أكانو شرقيين أو غربيين ، وقد ترك لنا الأدب العالمي الكثير من النصوص التي حفلت بالتراث الديني ، فقد استمدوا منه الكثير من الشخصيات والقصص والعبر ، فقد استلهم الكثير من الشعراء الغربيين من الموروث الإسلامي ، كما استلهم بعض شعرائنا من الموروث الديني للديانات غير الإسلامية ؛ مما جعلهم يدعمون كتاباتهم بتلك الثقافة التي تمنح النصوص قوة مضمونية مع إضفاء مسحة قدسية تتوق لها نفوس المتلقين , خلال "تأويل ملامح الشخصية التراثية تأويلاً خاصاً يتلاءم والبعد الذي يريد أنْ يسقطه عليها من أبعاد تجربته " [1]، ولم يتحرج شعراؤنا مع غير شخصية الرسول(صلى الله عليه وآله وسلَّم) باستثمارها وتوظيفها بدلالاتها الغنية لاسيما الأنبياء الآخرين (عليهم السلام) ، كذلك ما أفاض به التراث الديني من قصص وأحداث استعمل منها الكثير من الدلالات العامة ، ومنها التي وُظِّفتْ ملامحها في متون النصوص الأدبية , وما نجده في أشعار الشاعر أحمد مطر من توظيفه للكثير من الشخصيات والرموز الدينية ومنها نبي الله إبراهيم (عليه السلام)

[1] استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، د. علي عشري زايد : 77

وقصة افتداء بيت الله بولده إسماعيل (عليه السلام) ؛ وذلك في قصيدته (رؤيا إبراهيم) التي يقول فيها :

" يا مولانا إبراهيم

اغمد سكِّينك للمِقبض

واقبض أجرك من أصحاب الفيل

لاتأخذك الرأفةُ فيهِ

بدين البيت الأبيض

نفِّذ رؤياك و لا تجنح للتأويل ,

لن ينزلَ كبشٌ ... لا تأمل بالتبديل .

يا مولانا

إنْ لم تذبحهُ نذبحكَ

فهذا زمنٌ آخر

يفدى فيه الكبش

بإسماعيل " [1]

نرى الشاعر يرفض الواقع المرير الذي فقدت فيه المعايير فإن تركن للسكون سيقدَّم المواطن للذبح في بقاع الوطن العربي , إذ صار نبي الله اسماعيل يفدى للكبش , وهي مفارقة ساخرة ينازع الشاعر فيها الألم والأسف ؛ لاختلال الموازين طالما هناك من هو متسلط على الحكومات ، فهي لم تأتمر إلا بأوامره ، مشيراً إلى البيت الأبيض ويقصد أمريكا , وأن مولانا ابراهيم وقصة الفداء بالكبش لإبنه اسماعيل

[1]) المجموعة الشعرية : 23

, وأصحاب الفيل هي تناصات مستوحاة من القرآن الكريم , قد وسَّعت رؤيا الشاعر ومنحتها بعداً تأويلياً من تصوير جوانب للواقع المرير الذي تعيشه الأمة.

و في قصيدته (يوسف في بئر البترول) الذي يستوحي فيها قصة نبي الله يوسف (عليه السلام) تلك المستوحاة من القرآن الكريم ، والتي يقول فيها :

" سبعُ سنابلَ خضرٍ من أعوامي

تذوي يابسةً في كفِّ الأمل الدامي

أرقبها في ليل القهرِ

...

يا صاحبَ سجني نبِّئني

ما رؤيا مأساتي هذي ؟

فأنا في أوطان الخير

ممنوعٌ منذ الميلاد من الأحلامِ

و أنا أسقي ربِّي خمراً

بيدي اليمنى

و يدي اليسرى تتلقى أمر الإعدامِ " [1] .

فالشاعر إذ يوظف سورة يوسف في نصه الشعري ؛ ليبين أنَّ الشعب ليس له من نصيب سوى القهر والألم ؛ مؤكداً على ذلك بالألفاظ تدل على معانيها (تذوي يابسة , الدامي , ليل القهر , آلآمي , نبِّئني , مأساتي , ممنوع) ، فهي تحمل شدة المأساة التي تحمل في جنباتها معاني الاحتجاج و الرفض لتلك المعاناة مستبطناً عبر

[1] المجموعة الشعرية 92-93

التناصات القرآنية التي ملأت فضاء القصيدة حجم التآمر على الشعوب , واضطهاد الحكام لهم . يقول :

" و أرى سبع جَوارٍ كالأعلام

غصَّ بهنَّ ضمير البحر

تحملُ عرشَ الثورِ الثوري

و عروش الأنصاب الأخرى والأزلامِ

و أراها تحتَ الأقدامِ " [1] .

فهو يشير إلى قوله تعالى ((وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأعْلامِ))[2] إلا أنَّه يطرح بسخرية ناقلات البترول التي تنقل النفط بصورة غير شرعية للأسياد حتى أنَّ البحر الذي حملها غصَّ من هذا الفعل الدنيء ، وذلك بنهب ثروات الشعوب وماهم إلا أصحاب عروش منها تدَّعي الثورية ، و أخرى نشأت على الرذيلة والمحارم ، بيد أنَّهم مهانون من قِبَلِ أسيادهم من المستعمرين الطامعين بثروات بلدانهم ، ثم يقول :

" و أنا

أرقدُ في غيَّابة بئري

أشربُ فَقري

رهنَ البردِ , ورهنَ ظلامي

و تمرُّ السيارةُ تشري

من بقايا جلدي وعظامي

نيرانَ بنادقها المزروعةُ في صدري

---

[1] المجموعة الشعرية : 93

[2] سورة الرحمن : 24

بالمجَّانِ " [1] .

فهو يفصح عن عمق الحزن والألم لإنساننا المُحبَط , وما يعانيه من استلاب لحريته وتفريط الساسة بخيرات بلاده , و الشاعر يتقنع بيوسف (عليه السلام) بعدما أنزلوه في البئر، لكن المفارقة أنَّ سيارة يوسف هم من يبيع الرصاص في صدره , ويبدو أن حديثه ماهو إلا احتجاج معلن لكل ما تمارسه السلطات من قمع وتقتيل وتهجير ، بينما هي خانعة مسلوبة الإرادة مشروخة الضمير لاتأبه لأبناء الشعب و لا لخيراته التي استولت عليها أطماع الأسياد من استعماريين, وإن لم نجد في القصيدة الرفض الموعز للمجابهة إلا أنَّه رفض ينوء به النص من طريق طرح المؤامرات والدسائس التي شجبها الشاعر وأقرها إفكاً وتجنّياً على حقوق الشعب .

و يبدو أن الشاعر لايقف عند الرموز الشخصية في تناصاته فقد رأيناه يوظف الآيات القرآنية الكريمة ؛ لتمثل إيحاءات معنوية يكتنز بها النص ، ومنها في قصيدته واحدة بواحدة التي يقول فيها :

" و العاهلونَ عندنا لِعهرِهم راعون

و العاهلون عندنا أشرفهم مأبون !

هذا أنا... ماذا إذن تبغون

منّي أنا المحزون والمطعون والمرهون

أنْ أتركَ الشتمَ وأنْ

أتلو لكم (والتين والزيتون) ؟ !

ممنون !

سأغسلُ الشعرَ لكم بالماءِ والصابونْ !

---

[1] المجموعة الشعرية : 93

لكنَّ عندي طلباً

رائحة الحكَّام لاتعجبني

أُريدكم

أنْ تسحبوا السيفون " [1]

فقد أشار الشاعر إلى سورة التين حيث القسم العظيم ممازجاً بين رفضه لأداء بعض الحكام العرب المرتبطين بالقوى الاستعمارية ؛ كونهم لا يرتقون إلى إنسانيتهم متهكماً ، في حين يصرح برفض رائحتهم النتنة ؛ لذلك يطلب رفع السيفون قدحاً بهم , كما أنَّ إشارته إلى سورة التين ؛ لينال من الحكام لما يتضمنه قوله تعالى : ((لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ))[2]

يبدو إنَّ تحويل الدلالات الشعرية التي يمازجها الشاعر بالموروث الديني تمنح النصوص القدرة على الانفتاح للمعنى المضمر , وبلوغ الشاعر في رفضه للواقع مستوى الحياة الروحية ، وهو يتراسل مع هذا التراث ؛ ليضفي بعض دلالاتها على تجربته الشعرية ، ومنه ما استحضره من القرآن الكريم في سورة المسد ؛ وهو يشير إلى احتجاجه على الواقع السياسي مستحضراً أبي لهب بوصفه رمزاً من رموز المدنس ولعنه على ماقام به من قبائح هو وزوجه تجاه الرسالة والرسول بوصفه واحد من الشخصيات "التي ارتكبت خطيئة فحلَّت عليه اللعنة "[3] ، يقول:

" قرأتُ في القرآن

((تبَّتْ يدا أبي لهب))

فأعلنت وسائل الإذعان

---

[1] المجموعة الشعرية : 166

[2] سورة التين : 4 ، 5

[3] استدعاء الشخصيات التراثية : 98

" إنَّ السكوتَ من ذهب "

أحببتُ فقري ... لم أزلْ أتلو :

وَتَب

ما أغنى عنه مالهُ وماكسب "

فصودِرتْ حنجرتي

بِجُرمِ قِلَّة الأدبْ

وصودِرَ القرآن ؛

لأنَّهُ .. حرَّضني على الشغب " [1].

نجد الشاعر يحتج على الساسة ملمحاً بأبي لهب ذلك القامع للحريات وهو يقارن بدلالته مع الحاكم الجائر والفيصل بين طموحات الجماهير والسلطة هو شجب القرآن الكريم لأبي لهب الذي نراه في كل زمان ومكان بيد أنَّ صوت الحق يتجدد مع تجدد أبـي لهـب ، لـذلك فالشـاعر لـم يتوقـف بالمطالبـة بـالحقوق الشـرعية ولعنـه الظـالمين بدلالة قوله : لم أزل أتلو : " وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب"[2]

كما أنَّه وظف شخصية النبي موسى (عليه السلام) ؛ ليبين نزاهة الشعب وتحديه للظلم ، بينما مثَّل المستعمرين بـ الطاغية فرعون أما الحكومات التابعة، فهي اليد الملوثة بأفعالها وتآمرها على شعوبها ، يقول:

" صُبِغتْ راية فرعون

و موسى فلقَ البحر بأشلاء العيال

و لدى فرعون قد حطَّ الرحال

---

[1] المجموعة الشعرية :13

[2] سورة المسد :2

ثم ألقى الآيةَ الكبرى

يداً بيضاء ... من ذلِّ السؤال!

أفلحَ السحرُ

فها نحن بيافا نزرعُ القاتَ

و من صنعاء نجني البرتقال " .[1]

فهنا نراه يسخر من الحكام العرب موظفاً نبي الله موسى (عليه السلام) ومعجزته يده البيضاء ، قال تعالى "وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ))[2] أي نزع يده من جيبه بيضاء من غير برص.لكن الحكَّام أخرجوا أيديهم من أكمامهم وهي ملوثة ؛ كونهم ضعاف متسولين لطلب المعونة في إدارة بلدانهم من قبل أسيادهم الماسكين بزمام السلطة . ومن اللافت أنَّ الشاعر مطر خالف كثير من الشعراء المعاصرين في تناول سيدنا موسى نبيَّاً لله ما يتوافق مع الإسلام ، بينما وُظِّف موسى مقابلاً تصويرياً للقوى الصهيونية المعتدية وهو منزلق لانرضى به ويرفضه الإسلام . [3]

و في قصيدته (بلاد ما بين النحرين) ، يقول :

" ألم يأتكمْ نَبأُ الاجتياحْ ؟

لقد كان هذا لكم عبرةً

يا أولي الانبطاحْ .

...

ألا .. هل أتاكم حديثُ الجنود ؟

---

[1]) المجموعة الشعرية : 76

[2]) الأعراف : 108

[3]) ينظر : استدعاء الشخصيات التراثية : 88 وما بعدها .

الجنود العظامْ

العظام التي أنكرت لحمها والجلود ".[1]

فنراه يستخف من الحكام الذين أنشأوا جيوشاً ليس لها من إرادة في الدفاع عن الحياض والحمى ، بل ظلت إرادتهم سحيقة تحت وطأة اليهود ، إذ نجد الشاعر يتناص مع الآية الكريمة ((هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ))[2]، بما أحل الله بهم من البأس و أنزل عليهم من النقمة التي ليس بإمكان أحد أن يردها عنهم.

" استحالت بساطير

تمشي طوابير

تحملُ بيض البنود

و تلعقُ سود الجلود

جلود نِعال الجُنود اليهود ؟!

و داروا على النار ذات الوقود

و دارت خوازيق ذُلٍّ

و إذ هم عليها قعود " [3]

إذ يذكر الآيتين ((النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ))[4]؛ ليعزز ما وقع على جنود الحكام العرب حين لاينجو جنودهم من القتل والحرق والأسر وهو يشير إلى أم المعارك التي هُزمت فيها القوات العراقية أمام القوات التحالف الدولي عام 1991م .

---

[1] المجموعة الشعرية : 175

[2] سورة البروج :17

[3] المجموعة الشعرية : 175

[4] سورة البروج : النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ

ونجده في موضع آخر يقارن بين توجهين : الأول أهل المقاومة الفلسطينية وهم من يعتصم بحبل الله ، و الآخر ثوار التمثيل وهم الأحزاب والقوى التي تدَّعي الثورية، فنراه يتناص مع القرآن الكريم في قوله تعالى ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا))[1]، إذ يقول :

" أهل الضفةِ ... أنتم حقٌّ

و جميع الناس أباطيل !

أنتم خاتمة الأحزان

و أنتم فاتحة القرآن

و أنتم إنجيل الإنجيل

يا مَنْ تعتصمون بحبل الله جميعاً

و بأيديكم حجر من سجِّيل

سيروا ... والله يوفقكم

هزُّوا الدنيا

و هنا ثوار التمثيل

يهدون لكم ألمعَ بذلات السهرات

و أسمى أدوات التجميل " .[2]

فالشاعر منح المقاومين الحقيقيين صفة الاعتصام بحبل الله ؛ لأن جهادهم هو جهاد من أجل استرداد الأرض ، بينما يحتج على من يدَّعون الجهاد في سبيل تحرير الأراضي المغتصبة من حكام وزعماء أحزاب، بيد أنَّهم مهتمون بالسهر واللهو ،

---

[1] سورة ال عمران :103

[2] المجموعة الشعرية : 137

يتزيون بما يتطلعون إليه من مغانم ومتع دنيوية ، فضلاً عن خدمتهم لأسيادهم المحتلين .

و يتناص الشاعر مع القرآن الكريم في قوله تعالى من سورة البقرة : ((مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ))[1]يقول الشاعر في قصيدة (الأمل الباقي) :

" هدَّنا اليأسُ ،

و فاتَ الغرضُ

لم يعد من أملٍ يرجى ... سواكمْ !

أيُّها الحكَّام باللهِ عليكمْ

أقرِضوا اللهَ لوجهِ اللهِ

قَرْضاً حَسناً

... وانقَرِضوا " .[2]

و كأنه يطلب من الحكام أن يعملوا ولو لمرة واحدة عملاً صالحاً لرعيتهم ، ثم ينقرضوا مُحدِثاً مفارقة بين لفظتي (أقرضوا ، و انقَرِضوا) .

و لعل التناص الموسيقي لآيات القرآن واحد من التناصات التي وظفها الشاعر أحمد مطر في قصائد كثيرة من مجموعته الشعرية ، و منها قصيدة (الدولة) التي يقول فيها :

" قالتْ خيبر :

شبران ... و لا تطلب أكثر

---

[1] سورة البقرة : 245

[2] المجموعة الشعرية : 123

لا تطمع في وطنٍ أكبرْ

هذا يكفي

الشرطةُ في الشبر الأيمن

و المسلخُ في الشبر الأيسر

إنَّا أعطيناك المخفرْ

فتفرَّغْ لحماسٍ وانحرْ

إنَّ النحرَ على أيديكَ سيغدو أيسرْ " .[1]

و الشاعر لايكتفي بالتناص مع القرآن وما ورد فيه من شخصيات ومواقف، إذ نراه يتناص مع إيقاع القرآن الموسيقي ، ومن ذلك يستلهم موسيقى سورة الكوثر المشكَّلة بـ تفعيلة (فعلن ، فعلن) بقرينة لفظتي (إنا أعطيناك ، وانحر) وهو أسلوب يحاول الشاعر من خلاله أن يوصل فكرته إلى المتلقي بهذه الطريق مستحضراً إيقاع السورة القرآنية ؛ مما يعطي تخاطراً للمتلقين مع تلك الأنغام المقبولة تلقائياً في اللاشعور .

و في قصيدة (لا أقسم بهذا البلد) يؤسس بالعنوان تناصاً مع سورة البلد إلا أنه حين يبتدئ النص ينتقل إلى سورة الأحقاف ، فيتناص معها بالإيقاع الموسيقي ، فنراه يتناغم مع سجعات السورة الكريمة ، يقول :

" و الطور

و المخبِر المسعورْ

و الحبل والساطور

و نحرنا المشنوق والمنحور

---

[1] المجموعة الشعرية : 198

...

الموت في بلادنا

خِلاصةٌ للموتِ في مختلف العصور" .[1]

و يبدو أنَّ الشاعر يمنح نصه موسيقى تحيل إلى القرآن بفتح ثغرة إلى ذلك من خلال كلمة يوردها في بداية النص ، فيبني عليها نصه بنفس الموسيقى والإيقاع ؛ ليظهر احتجاجه تجاه موقف أو قضية يعبر بها عن مشاعره تجاهها أو تجاه من هم سبب لها .

نستشف أنَّ شاعرنا حقق التناص الديني الظاهر من رموز منها مقدسة ومنها مدنسة ، و اقتباس الآيات الكريمة التي أفاضت بدلالاتها ، وهو يحتج بها ويضرب الأمثلة كما ويمنح نصوصه من خلال تلك الرموز دلالات مقترحة لمتلقيه فضلاً عن تناص مع إيقاع القرآن الكريم وموسيقاه ؛ منوِّعاً بتشكيل النص بأساليب متعددة ؛ لحمل رؤى الشاعر الشعرية .

ب- التناص التاريخي :

يبدو أنَّ " الأحداث التاريخية و الشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي ، فإنَّ لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية ، والقابلة للتجدد – على امتداد التاريخ – في صيغ وأشكال ... بما تشتمل عليه من قابلية للتأويلات المختلفة هي التي يستغلها الشاعر المعاصر في التعبير عن بعض جوانب تجربته ؛ ليكسب هذه التجربة نوعاً من الكلية والشمول "[2]

و للتاريخ الفضاء الأرحب الذي يعمر رؤى القصيدة الحداثية ؛ ما يجعل الشاعر يعمل على إضفاء ترميزات من أحداث وأسماء لأعلام قد شاعت في التاريخ يستثمرها

---

[1] المجموعة الشعرية : 126

[2] استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر : 120

في نصوصه الإبداعية ؛ بوصف التاريخ هو وعاء الخبرة الإنسانية ؛ مما يستثير الشاعر منه لاسيما نماذجه العليا ؛ ومواقفه الحساسة ذات الدلالة الخالدة التي تشعل في رؤياه ؛ وفي فنه أوار السؤال الحضاري ؛ لأنَّ رؤيا الماضي قادرة أنْ تعيد فاعلية ذلك الماضي بما فيه من طاقة وسحر قادرة على إضاءة الحاضر وتعقّداته [1], و شاعرنا أحمد مطر استلهم من التاريخ ما يفيده في تجربته الشعرية وتمثلها في الصياغة والتعبير وتوظيف مرجعياته المعرفية والتراثية في خدمة نصوصه ؛ مما صارت عوناً لشاعريته وتجربته في مواقف الرفض التي علا صداها في أشعاره , فنراه يقول في قصيدته (لانامت أعين الجبناء) :

" أطلقتُ جناحي لرياح إبائي

أنطقتُ بأرض الإسكاتِ سمائي

فمشى الموتُ أمامي

و مشى الموتُ ورائي

لكن قامت

بينَ الموتِ و بين الموتِ

حياةُ إبائي

و تمشَّيتُ برغمِ الموتِ على أشلائي

أشدو ... و فمي جُرحٌ

و الكلمات دمائي " .[2]

فالشاعر ينتهج روح التحدي , فالإباء ديدنه وإنطاق الصمت هدفه , والموت مصيره , لكنه يذكرنا بمقولة خالد بن الوليد عند موته : (لقد شهدت مئة زخف وما

---

[1] ينظر: الرؤيا والتشكيل : 120

[2] المجموعة الشعرية : 30

في جسدي موضع شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة رمح وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي , كما يموت البعير فلا نامت أعين الجبناء) هو يشير إلى الفارس خالد بن الوليد حينما كان باسلاً في المعارك لايخشى ولا يهاب الموت .

و في مقارنته بين المظلوم و الظالم ؛ لينضم إلى الأول بوصف مطالب الشعب مشروعة وقد مثلها بشخصية الإمام الحسين (عليه السلام) ، بينما الآخر الظالم فتمثل بشخصية يزيد ، ولعل الشاعر حين يستحضر شخصياته يأتي في كثير من الأحيان بشخصيتين متناقضتين في الرأي و التوجه ؛ ليعادل بها موضوع الصراع بين الخير و الشر ، وبما أنه في قصائده يعالج صراع الشعب و السلطة الظالمة بوجهها الكالح ، إذ أنَّ " من خلال هذه الشخصيات التي تمثل الوجه المظلم لتاريخنا حاول الشعراء أنْ يعبِّروا عمَّا كان يسود واقعنا من فساد وظلم" [1]، يقول في قصيدته (الاختيار) :

" إنني لستُ لحزبٍ أو جماعهْ .

إنني لستُ لتيَّارٍ شعاراً

أو لدكَّانٍ بضاعهْ .

...

غير أنِّي في زمانِ الفرزِ

فإنْ خيِّرتُ ما بين اثنتينْ :

أنْ أغنِّي مُترَفاً عند يزيد

أو أصلِّي جائعاً خلف الحسين

سأصلي جائعاً خلفَ الحُسينْ " .[2]

---

[1] استدعاء الشخصيات التراثية : 124

[2] المجموعة الشعرية : 124– 125

و الشاعر يبرّئ نفسه من انتمائه لأي حزب أو جماعة ، كما أنَّه لايؤثر الباطل الذي مثله بيزيد – على الرغم من الترف الذي سيلحقه عنده مومئاً إلى النظام الحاكم – على طلاب الحق من الفقراء الذين يمثلهم الحسين (عليه السلام) على الرغم من حياة البؤس و الجوع في إشارة إلى أنَّ الفقراء أصحاب مشروع مقدس ، بينما الآخر صف يزيد ، فيمثلون الظلم والاضطهاد ومشروعهم مدنس ، إشارة إلى أهل الموبقات من الحكام العرب الظالمين .

و من قصائدة التي يلمح فيها إيضاً , وهو يستهجن الاضطهاد و القمع رافضاً كل معاني الاستلاب ، و هو يستحضر الحجاج بن يوسف الثقفي الذي ضمَّن خطبته التي قال فيها : أرى رؤوساً قد أينعتْ وحان قطافُها فتمثل بالبيت القائل :

أنا ابن جلا وطلَّاع الثنايـــا متى أضع العمامةَ تعرفوني [1]

في إشارة إلى جور الحاكمين , فهو يقول :

" أينعَ الرأسُ و" طلَّاع الثنايا "
وضعَ اليوم العمامهْ
وحدَهُ الإنسان , والكلُّ مطايا
لا تَقُلْ شيئاً و لا تسكتْ أمامهْ .
إنَّ في النطقِ الندامهْ .
إنَّ في الصمتِ الندامهْ .
أنتَ في الحالين مشبوهٌ ,
فَتُب منْ جُنحةِ العيشِ كإنسانٍ
وعِش مثلَ النعامهْ " [2].

فالشاعر يرى أنَّ إنساننا الحالي مسلوب الإرادة ؛ كون الحاكم لا يرغب إلا بجعله كالنعامة ، لايقوى على شيء أمام جبروته كما كان الحجاج يمارس عتوَّه و طغيانه

---

[1] طبقات فحول الشعراء : 2/ 579

[2] المجموعة الشعرية : 103

ضدَّ رعيته ؛ مما جعل الشاعر يخبرنا بما هو عليه حال الشاعر العربي لاسيما العراقي ؛ ولكونه لم يؤمن ، بل يرفض غياب الحريات , ما جعله يستحضر من هو أعتى ما أخبرَنا به تاريخنا العربي ألا وهو الحجاج الثقفي الذي يحكى عنه أنَّه حكمَ العراق بالنار والحديد .

أما طغيان نيرون و روما ، فقد أوردهما الشاعر ؛ ليوظفهما في قصيدته (المذبحة) التي يقول فيها :

" كلُّ ما حولي عيونٌ مُغلَقةْ

و شِفاهٌ مُطبَقةْ ,

و أيادٍ موثَقةْ ,

و نفوسٌ وسطَ أنفاسِ الأسى مُختَنِقةْ .

أ أغنّي ؟

أ أُغنِّي مثلَ (نيرون)

و (روما) في دمي مُحتَرِقةْ " .[1] .

فهو يحتج على أبناء وطنه الذين يلزمون الصمت دون أن ينبسوا بكلمة رفض تجاه الطاغية ، فالشاعر لايغني مثلما يغني نيرون في إشارة إلى الامبراطور نيرون الذي أحرق روما بعدما قتل أبناء شعبه وعذبهم أشد التعذيب حين اعتنقوا النصرانية ، ومن ثم ازداد طغيانه على شعبه بتعذيبهم وإحراقهم بالنيران التي اشتعلت في روما وانتشرت بشكل واسع المجال واستمرت لأيام كثيرة نالت من أرواح الكثير من الرجال والنساء و الأطفال دون رحمة . فالشاعر يرفض أن يجعل من موقفه مثلما هو نيرون يغني بينما مدينته روما تحترق . فهو المدافع عن بلده الذي يشعر بأنه يحترق في دمه ، إشارة إلى ألمه وحسرته لما يحدث لبلده العراق من تنكيل وتعذيب لأبنائه .

---

[1] المجموعة الشعرية : 172

و من طريق التناص يقوم الشاعر بإقامة تشبيه بين أمرين الأول الحالة التي يعيشها أبناء شعبه من اضطهاد ، و الآخر الحدث التاريخي الكبير الذي سقطت به بغداد على يدل المغول حين عاثوا بثقافتها إجراماً ، و بين ما يقوم به الحكام من تدمير للثقافة ، و هم يزهقون روح الكلمة الحقة ، لكن نراه يستشرف أملاً في الأفق ، فمثلما تحررت بغداد من المغول ، لابد أنْ يتحرر العراق من جور الظالمين ، فنراه يقول:

" أقول :

تُعلِنُ عن فراغها

دمدمةُ الطبولْ .

و الصمتُ إذ يطولْ

يُنذرُ بالعواصفِ الهوجاءِ

و المُحولْ:

رسولْ

يحملُ وعداً صادقاً

بثورةِ السيولْ !

...

أقولْ :

كم أحرقَ المغولْ

من كُتُبٍ !

كم سَحَقتْ سنابكً الخيول

من قائلٍ ! " [1]

فالتناص يمثل وسيلة من وسائل الرؤيا ؛ كي تنبثق من النص متجسدة في صورة تشع بمعناها الدقيق الذي يرمي الشاعر بإيصاله إلى متلقيه .

و من نصوص الشاعر الذي تناص مع المواقف التاريخية في قصيدته (كيف، وأينَ ،وماذا) التي يقول فيها مستنكراً الأفكار المؤدلجة المفروضة من قِبل الحكَّام:

" قالوا : مسموحٌ أنْ تحكي

كيفَ سأحكي

و أنا منذُ العهد التركي

لم أوقنْ إلَّا في شكِّي

و أنا ما حرَّكتُ لساني

إلَّا لأدير بهِ عِلكي

و أنا لم تسمعْ آذاني

إلَّا افرنقِع و (قفا نبكِ) ؟ !

...

أين سأحكي ؟

و أنا منذ العهد التركي

مدنِّيٌّ في زمنٍ مكِّي

صخرٌ يأمرني بالتقوى

---

[1] المجموعة الشعرية : 123 – 124

و أبو لهبٍ يضعُ الفتوى

و أبو جهلٍ يلعن شركي " [1]

فنرى في قصائده أنَّ هاجسه هو الاحتجاج على كمٌّ الأصوات من قبل الحاكمين لأبناء شعوبهم , فنراه يستوحي من تاريخ الأدب واللغة لفظة (افرنقِع) التي طالما تشيع في كتب البلاغة على أنّها من الألفاظ الوحشية , بينما الشاعر جلبها ؛ كونها بمعنى ابتعدوا عني . و جملة (قفا نبكِ) المجتَلبة من معلقة امريء القيس لما فيها من الانكسار والضعف والخنوع , كما استوحى سادة قريش ومنهم صخر بن حرب , و أبو لهبٍ , وأبو جهل , ساخراً من المفارقة التي يراها في الحكَّام , فوصَمها بهم ؛ لما وُصِم به صخر و أبو لهب و أبو جهل بالعتو والظلم أنذاك فكيف يأمرون بالتقوى و الفتوى الدينية و لعن الشرك , و هم المفرغون من كلِّ ذلك , لكن الشاعر أراد أن يفرغ على حكام العصر هزوه بهم ؛ كونهم هم الآخرون على شاكلة من ذكرهم بأنَّهم من عتاة التاريخ .

و قصيدة (كيف تتعلم النضال في 5 أيام بدون معلِّم) نراه يستحضر قصة أبي رغال ، إذ يقول :

" تريدُ أنْ تمارس النضال ؟

تعال .

اغسل يديكَ جيّداً من ذُلَّة السؤالْ

لدى (أبي رغال) ,

و كُفّ عن قتلِ عيال الناس

في مقصلةٍ قصيدةٍ

أو خنجرٍ مُقَالْ ". [1]

---

[1] المجموعة الشعرية : 172

و كأنه يعلِّم من يريد أنْ يدخل عالم النضال أن يتبرأ من الخائنين كأمثال أبي رغال الذي جاء مع إبرهة دليلاً له حين قدم بجيش جرار لهدم الكعبة الشريفة، و الشاعر يؤكد على الإخلاص لقضية الشعب ، و هو بذلك يرفض الأجراء والعملاء الذين تلطخت أيديهم بدماء العراقيين باسم النضال , كما أنه يتناص مع تاريخ غطفان في العصر الجاهلي ، و سيرة بني هلال ومجدهما في التصدي والشجاعة ناصحاً الذي يروم النضال أن لايستذكر ماضي أمته المشرق كي لا يتكل عليه في نضاله ، لأنه ابن هذا العصر الذي لابد أن يواجه أحداثه ومعوقات عمله النضالي إذا تطلب الأمر وكأنه يستحضر قول المتنبي :

لا بقَوْمي شَرُفْتُ بل شَرُفُوا بي وَبنَفْسِي فَخَرْتُ لا بجُدودِي [2]

فنراه يقول :

" اغسل (غسيل المخِّ)

و انسَ ما مضى

من قصصٍ طوالْ

عن مجدِ غطفان

و عن بأس بني هلالْ

و عن سيوفٍ أشرقتْ في حالك الليالي " .[3]

موظفاً الأحداث التاريخية ورموزها في النص ؛ كي يفتح آفاقاً لقصيدته ، ومن ثم تستجلى رؤاه وتتضح لمن يخاطبهم بأنَّ إنساننا المعاصر ليس عليه اليوم أن يستحضر تاريخ الأجداد ببطولاتهم وشجاعتهم بل من الأحرى أن يقوم الناس اليوم

---

[1] المجموعة الشعرية : 130

[2] ديوان المتنبي : 21

[3] المجموعة الشعرية : 132

بأفعال مشهودة كي يتشرفوا بها وليس الشرف أن يتشرف الإنسان بما صنع الأجداد من مواقف عظيمة .

أما قوله في قصيدته (العشاء الأخير) نراه يرفض بلسان العربي أمريكا و أعوانها في المنطقة , فيقول :

"معنى الجهادِ بعصرِنا إجهادُنا أو عصرُنا وثوابنا خســـــرانُ

عثمـانُ يُقتَلُ كلَّ يومٍ باسمِنـــا وتُخاطُ من أطمارِنا القمصانُ

أنا ضدُّ أمريكا إلى أنْ تنقضي هذي الحياةُ ويوضَعُ الميـزانُ ".[1]

يشير إلى الوضع العربي وإشكالاته ومآسيه مومئاً إلى الخليفة الثالث عثمان بن عفَّان (رض) وعِظم الدسائس التي حيكت بدعاوى قميصه الملطَّخ بدمائه من قبل الأمويين للمطالبة بدمه ، لكنَّ خلف تلك المطالبة المآرب والظنون , فالشاعر وظَّف هذه الحادثة ؛ لما يجري اليوم من دسائس على العرب باسم الاستقلال وحرية الشعوب وأمن المنطقة .

و من تاريخ الرومان يستوحي الشاعر مدينة روما التي أحرقها نيرون, فيقولفي قصيدته (المذبحة) :

" كلُّ ما حولي عيونٌ مُغلَقةْ

وشفاهٌ مطبَقةْ

وأيادٍ مُوثَقةْ

ونفوسٌ وسطَ أنفاسِ الأسى مُختَنِقةْ .

أ أُغنِّي ؟

أ أُغنِّي مِثلَ نيرون

---

[1] المجموعة الشعرية : 313

و روما في دمي مُحتَرِقةْ ؟

...

كَبِدي مُنفتِقةْ

كَبِدي مُنفتِقةْ

بي من الحقدِ محيطاتٌ

و غاباتٌ

وَ بيدٌ

وَ جِبالٌ شاهِقةْ

بي منَ الحقدِ خَزينٌ

لو تجلَّى للسماواتِ لخرَّتْ صَعِقةْ ! " [1]

فالشاعر هنا يرى أنَّ مدائن بلده صارت خراباً بفعل من يدَّعي أنَّه فاتحٌ لكنه دمَّر البنى التحتية لبلاده بل أحرق وقتل ؛ مما جعله يوظف قسوة نيرون بعدما حاصر روما ، ثمَّ أحرقها , فالشاعر يرفض بل يحقد على كلِّ مجرم يعيث بالأرض خراباً .

و في قصيدته (حصار) يتناص مع واقعة الحرة ، إذ نراه يقول :

" ها هو ذا (يزيدْ)

صباحَ يومِ عيدْ

يُخضِّبُ الكعبةَ بالدماءِ من جديدْ

إني أرى مُصفحاتٍ حولها تقذفها بالنارِ والحديدْ " .[1]

---

[1] المجموعة الشعرية : 172

فهو يتناص مع حادثة رمي الكعبة بالمنجنيق من قبل جيش يزيد في إشارة إلى قصف الأماكن المقدسة التي يلوذ بها المنتفضون ، إذ لا فرق بين قسوتها وبطشها و قسوة يزيد تجاه الكعبة حين لاذ بها عبد الله بن الزبير ، وهكذا هو حُبّ العروش إزاء احتجاج الشعوب وانتفاضاتهم .

رأينا في نصوص الشاعر عدد من الاستشهادات الصريحة و الضمنية وهو يتناص مع مرموزات ووقائع تاريخية ؛ مما جعله يفيد منها لتجربته الاحتجاجية الشعرية ، إذ أنَّ كلَّ نصٍ يمثل امتصاصاً وتحويلاً لنصٍ آخر أضفى على نصوصه الشعرية انفتاحاً على تنوعات نصية وتقنية خلال تجلياتها التي تقرِّب الرؤيا وتجعل مضمونها أكثر تأثيراً في المتلقي.

---

[1] المجموعة الشعرية : 320

المبحث الثاني

الأسلوب القصصي

من تقنيات القصيدة الحداثية شيوع القص ؛ لما فيه من حوارية تمنح النص فضاءً واسعاً ؛ لتداخل الرؤى والتعبير عن شعور الشاعر في مخاطبة الآخر أو الأنا , وقد حقق شاعرنا ما يطمح اليه من خلال بنية القصيدة , فمن خلال قراءتنا لأشعاره وجدنا حوارات بين كائنات متنوعة ، خلالها تتكشف للمتلقي رؤية الشاعر التي يبوح بها في تلافيف قصته , فضلاً عن عنصر التشويق الذي ترفده ؛ مما يبعث على دهشة المتلقي.

فالشاعر القصصي قد يطوف بحياته حادث تنفعل به نفسه ، و تتجاوب له مشاعره فيهتز إحساسه ، ما يجعله يعمد على تصوير هذا الحادث في قصة ينسج خيوطها و يرسم ألوانها و يطرز حواشيها. ويبدو أن الشاعر المعاصر اتجه للواقعية ، وما عاد أن يصف الذات في كثير من الأحيان ، بل أصبح شعره موضوعياً , وصار يمنح نصوصه فكراً ينسجم ومتطلبات المرحلة ؛ لذلك آثر أن يرفد تجربته الشعرية أساليب قصصية من مادة الأسطورة أو التاريخ أو قصص من حياتنا الحاضرة تمكنه من معالجة أي موضوع من الموضوعات التي يروم إيصالها إلى متلقيه ؛ فيرسم حوارات متخيلة

و الشاعر أحمد مطر واحد من الشعراء المعاصرين الذي عُرِف بهذا الأسلوب الذي عبّر به عن رفضه للممارسات المستهجنة والمرفوضة التي اعتادت عليها السلطات تجاه أبناء الشعب ؛ فراح يرسم لذلك شخصيات متنوعة داخل قصائده سواء أكانت بشرية أم حيوانية أم نباتية ؛ لحمل قصائده مضامين جديدة عبر هذا التكتيك الشعري بما في عناصره ألوان من الرؤى والمعطيات لم تكن شائعة [1] ومن ذلك قصيدته (الحائط يحتج) التي يقول فيها :

---

[1] ينظر : دير الملاك : 22 –23

" رجلٌ يمشي جنبَ الحائط

مُبتَهِلاً : ياربُّ السِّترا

الحائط يرمقُهُ شَزْراً

مَنْ مِنَّا بالنجدةِ أحرى ؟

أهوَ المربوط برغبتهِ

أم مَنْ هوَ مربوطٌ قسرا ؟

يا طالبَ سترٍ من صَخرٍ

و يداكَ تَهُدَّان الصخرا

السترُ بأمثالِكَ يعرى

...

يا مَنْ تحمي الظهرَ بصدري

أنا أحتاجُ لصدري ظهرا

قُمْ ،

إطلقْ أحجاري الأسرى

و اجعلها أسلحةً تترى

شيِّد بتفانيها خُلداً

و اصنع من ذُلَّتِها مجدا ،

و اكتب بهزيمتِنا نصراً ،

يامَنْ تهربُ من مأساةٍ ؛

لتلوذَ بمأساةٍ أخرى .

كُنْ حُرَّاً ... واجعلني حُرَّاً ! " [1]

فالشاعر يستنطق الجمادات , فهو يحاكي الحائط , في الوقت الذي يرفض صمت الجماهير , مما جعله يعقد حواراً مستنطقاً به ذلك الحائط الذي ينطق بصوت المدافع عن الحقوق المستلبة , بيد أنه يطلب من الشاعر أن يفكَّ قيوده؛ ليجعل من أحجاره أسلحة تؤسس مجداً سابغاً بعد انهزام الإرادة واستلابها، محتَّجاً على الهروب الذي يعتمل الشاعر (الجماهير) ، وحاثَّاً على طلب الحرية التي لاتتحقق إلا بالنضال و الكفاح . ويبدو أنَّ الشاعر لم يتخلَّ عن دوره النضالي الطليعي "كما حددها الموقف التبجيلي وأصبح بعد موت أو تراجع السرديات الكبرى – ومعها دور المثقف العضوي – مكتفياً بدور المتفرِّج الصامت أو المتخاذل . بل و قد تحول المثقف نتيجة تبنيه لبعض المواقف النظرية الملتبسة ... إلى مجرد باحث يطلُّ على الواقع من برجه العاجي أو مستشار تقني محايد لدى الدولة أو الشركات ... إلى مجرد مرتزق سياسي خاضع لمنطق إغراءات السلطة والمال والنجومية " [2])فالكثير من المثقفين بالجانب المقابل لا سيما الشعراء طالبوا بحق تقرير المصير ، و لاقوا الأذى والتهجير بسبب معارضتهم ورفضهم سياسات السلطات القسرية ومنهم شاعرنا احمد مطر .

و في قصيدته (مذهب الرعاة) التي يقول فيها :

" الكبشُ تظلَّمَ للراعي :

مادمتَ تفكِّرُ في بيعي

فلماذا ترفضُ إشباعي ؟

قال له الراعي : ما الداعي ؟

---

[1] المجموعة الشعرية : 285

[2] نقد الفكر الجاهز 37– 38

كلُّ رُعاة بلادي مِثلي

و أنا لا أشكو وأُداعي

إحسب نفسَكَ ضمنَ قطيعٍ

عربّيٍ

و أنا الإقطاعي " .[1]

فالشاعر يعقد حواراً بين الكبش والراعي , يبين فيها مظلومية الكبش للمسؤول عنه إلا أنَّ الأخير يزيد عليه صرامة وتشدداً مشبّهاً بالقطيع العربي الذي تقوده الدول الحاكمة التي كان من صنيعتها الإقطاع المتشبه بسياستها , لذا نجد رفض الشاعر لتلك الممارسات ، متستراً بالمحاورة التي عقدها ، مؤسساً بها قصيدته ... و لعلنا نجده ينحرف بسياق النص من أجل إحداث المفارقة " خارج أفق توقع القارئ ، وهو أسلوب يهدف إلى خلق حالة من المشاركة الفاعلة من المتلقي ؛ لتأمل العالم الشعري للشاعر ، و لا سيما في مجال بناء الصورة المُفارِقة والتماس علاقاتها البعيدة "[2] , فنراه يوصل المتلقي إلى زمن عاشه الآباء في ظل التبعية وضياع الحقوق والمتمثلة بالإقطاعي .

و الاحتجاج لدى الشاعر يتأتى من طريق تقنيات السرد القصصي ؛ ليحقق قدراً كبيراً من " التوتر والانسجام معاً , فالعناصر المكونة لها تُنتَظم في تشكيلاتٍ ثنائية ذات إيقاع مضبوط , يسمح بتجسيد أبعادها منذ البداية " [3], ولعل الشاعر يستغل القدرات السردية , فنراه لا يجهر مباشرة برفضه , إنما رفضه هو معنىً مضمر خلف ظلال النص الذي توحي به تقنياته لاسيما السردية منها .

و في قصيدة (اللعبة) التي يقول فيها :

---

[1] المجموعة الشعرية : 292

[2] الخطاب الشعري في الإمارات قراءات تطبيقية, د. صالح هويدي : 184

[3] أساليب السرد : 64

" أقولُ لِجَدّي :

لماذا تموتُ البيادق ؟

يقولُ ؛ لينجو المَلِك.

أقولُ : لماذا إذن لايموتُ المَلِك ؛

لحقنِ الدمِ المنسفك ؟

يقولُ : إذا ماتَ في البدءِ

لا يلعبُ اللاعبان " . [1]

فالشاعر يستنكر اللعبة التي تقوم عليها الحكومات العربية ؛ كونها تابعة للقوى الإمبريالية , فيصفها بأنها لعبة قذرة ؛ لما فيها من سيل لدماء الشعوب وكأنَّ الشاعر يتنبَّأ ما سيصيب الشارع العربي من سفك دماء تديره أقطاب الرحي في العالم لاسيما أمريكا والصهيونية والغرب الفاشي التي تعبث بمصائر الشعوب على نار هادئة في القرن العشرين , أما اليوم فهي من تدير دفة التقتيل والتشريد, فالموت للعامة , أما الملوك المشبَّهين بملوك الشطرنج , فهم من يبقى قائماً على عرشه ؛ كي لاتنتهي اللعبة , كونهم الأدوات التي تحركها أيادي المستعمرين .

و الحوار يمثل لازمة من لوازم السرد وفي السرد يتسع المعنى باتساع العبارة الذي به يسترسل ذهن المتلقي مع تراكم الصور المعبِّرة بسهولة الأسلوب . ولما كان شاعرنا يكتب لجميع طبقات الشعب الثقافية ؛ كون أغلب قصائده هي عبارة عن لافتات صحفية ؛ لذا نجد شيوع هذا الأسلوب الجزل الذي منح الشاعر شهرته في الأوساط الثقافية , وهو يعبِّر عن معاناة الجماهير الكادحة .

و من قصائده ذات السرد القصصي قصيدة (قسوة) التي فيها يعقد محاورة بين حجرين :

---

[1] المجموعة الشعرية : 27

" حجرٌ يهمسُ في سمعِ حجَر :

أنتَ قاسٍ يا أخي

لن تبتسمْ عن عُشبةٍ يوماً

و لا رقَّتْ حناياكَ

لأشواق المَطرْ

...

لا أساريركَ بَشَّتْ بالمَسرَّاتِ ,

و لا قلبُكَ للحزنِ انفطَرْ

أنتَ ماذا ؟

كُنْ طريَّ القلبِ ,

كُنْ سمْحَاً رقيقاً

مثلما أيِّ حجَرْ

لا تكنْ مثلَ سلاطينِ البَشَر . " [1]

إذ نرى الشاعر يعقد المحاورةً بينَ الأول الذي يمثل الرقة والسلام , و الآخر الصلد كشكله إزاء ما ينعش الحياة ويجمّلها , معبّراً من خلال الحوار عن رفضه لغلاظة قلوب السلاطين تجاه الرعية الذين هم بحاجة إلى رعاية وعناية لا إلى غضاضة ، وغلظة ، وتجويع ، ومصادرة حرّيات .

و الشاعر بوصفه مثقفاً ، و على المثقف " أنْ يناضل من أجل حرية التفكير والتعبير ، إنَّ قوة المقاومة تأتي من قابلية المؤلف في أنْ يردَّ على الامبريالية أنْ

[1] المجموعة الشعرية : 293

يتحدث بالحقيقة عن الظلم " [1], وشاعرنا أحمد مطر واحد من المثقفين الذي مُلئتْ أشعاره احتجاجاً و رفضاً للظلم .

و لعل أسلوبه الساخر شغل حيّزاً واسعاً في أشعاره ومن ذلك قصيدته (مجادلة) ذات الأسلوب التهكمي الساخر نراه يبوح برفضه وشجبة على لسان ببغاء , فهو يقول :

- " قُل لنا يا ببَّغاء

إنْ يكن فيكَ ذكاءْ

لِمَ لاتخجل من ترديدِ ما تسمَعهُ

صُبحَ مساءْ ؟

- لستُ إلَّا طائراً في قفَصٍ

لا أرضَ مِن تحتي

و لا فوقي سماءْ

...

أمنح السجَّانَ ما شاءَ

و أجني ما أشاء

أنا أعطيهِ هُراءْ

و هوَ يُعطيني غذاءْ .

و أنا أهجوه في تقليدهِ أقسى هجاء !

هل يحقُّ الآنَ ,

---

[1] إدوارد سعيد سيرة فكرية :58

أنْ أسألُكم يا هؤلاء ؟

إنْ يكنْ فيكم إباءْ

أو قليلٌ مِنْ حياءْ

أو بقايا كبرياءْ

مالكم مثلي

تُعيدونَ هُراء المستبِدّينَ ...

و أنتم طُلقاءْ." [1]

إذ نراه يستجهن على من يتبع المستبدين ويردد أقوالهم ، بل وينفِّذ أفعالهم , في محاورة الشاعر للبغاء ؛ كونه يردِّد كلام سجَّانه ؛ مُعلِّلاً أنَّ الببغاء ؛ لأجل مصلحته , وهو الحبيس في قفصٍ ما بين السماء والأرض ؛ ليقتات قوته وعن لسان الببغاء الذي يستهجن الطلقاء الذين يتْبعون الظالمين من دون اعتراض أو مقاومه لما يصنع بهم , وما يُستنبَط من ردِّ الببغاء , هو رفض الشاعر وشجبه لمن يتناغم ويتملق للحكام الذين ليس بوسعهم إلا إهانة إنساننا العربي في كل بقاع الأقطار العربية .

وقصيدة (دلال) التي يستهجن بها ويرفض معاهدة السلام التي عُقدت بين مصر وإسرائيل و يمقت أغلب الدول العربية التي تخشى الكيان الصهيوني , نراه يجعل حواراً بين نملة وفيل ، فيقول :

" النملةُ قالتْ للفيل

قُمْ دلِّكُني

و مقابل ذلكَ ضحِّكني !

و إذا لم أضحك عوِّضني

---

[1] المجموعة الشعرية : 295-296

بالتقبيلِ وبالتمويلْ

و إذا لمْ أقنعْ ... قدِّمْ لي

كُلَّ صباحٍ ألفَ قتيلْ !

ضَحِكَ الفيل

فشاطتْ غضباً :

تسخرُ مِنّي يا برميلْ ؟

ما المُضحكُ فيما قد قيل ؟ !

غيري أصغرُ ...

لكن طَلَبتْ أكثرَ مِنّي .

غيرُكَ أكبرُ ...

لكنْ لبَّى , وهو ذليلْ

أيُّ دليل ؟

أكبرُ مِنكَ بلاد العُربِ ,

و أصغرُ مِنّي إسرائيل [1] " .

فالشاعر بأسلوب السخرية ، ومن خلال الحوار القصصي بين النملة والفيل يحاول أنْ يوصل لنا رفضه وشجبه القاطع ؛ لتعامل الكيان الصهيوني على أساس مذلة وإهانة الحكام العرب الذين يحكمون بلاداً هي بمجموعها أكبر مساحة وعدد سكَّان من إسرائيل أضعاف المرات .

[1] المجموعة الشعرية : 286

و يبدو أنَّه في قصائده لاتنفك شخصيته عن المشهد بوصفه يمثل المواطن المنكوب ، إذ نرى سيماء القلق والشعور بالضياع وحمل الهموم متجذرة في شخصه ، وما يميز قصائده أنها يومية تحاكي الأحداث والوقائع الجرمية بحق أبناء الشعب من معارضين وغيرهم كاشفاً عن همومهم و هواجسهم ومعبِّراً عن تطلعاتهم ورؤاهم ، بيد أن مغزى شعره يمثل احتجاجاته وإداناته وسخطه للسلطة الحاكمة .

أمَّا قصيدة (صاحبة الجهالة) هي من قصائد الرفض والتعريض لجلاوزة الأنظمة العربية وحكامها , فهو يحاور أحدهم , فيقول :

" مرَّةً فكَّرتُ في نشرِ مقال

عن مآسي الاحتلال

عن دفاع الحجَرِ الأعزل

عن مِدفعِ أرباب النضالْ !

و عن الطفلِ الذي يُحرَقُ في الثورةِ ؛

كي يغرقَ في الثروةِ أشباهُ الرجال !

قلَّبَ المسؤول أوراقي , وقال :

اجتنبْ أيَّ عباراتٍ تُثير الانفعال

...

احذف الثورةَ

فالأوطان في أفضلِ حالْ !

احذف (الثروةَ) و (الأشباهَ)

ما كُلُّ الذي يُعرَفُ يا هذا يقال

قُلتُ أنّي لستُ أبليسَ

و أنتمُ لأُيجاريكم سوى إبليس

في هذا المجالْ

قال لي : كانَ هُنا ...

لكنَّهُ لم يتأقلم

فاستقالْ " . [1]

إنَّ ظاهرة الاحتجاج تشيع لدى العقول المتحررة التي لاتخضع و لاتأبه الاستبداد , فالشاعر يرفض كلَّ صوت يمنع التعبير عن الرأي , ويرفض سياسات الحكومات في كمِّها الأفواه ، كما أنَّ نضالهم المزعوم قد اختفى خلف حجارة الأطفال الذين لم يهادنوا المحتل ، وهم يرمون بالحجارة ضدهم في إشارة إلى صورة الاحتجاج التي غرق في تلاطم أمواجها النص ، بينما الحكام هم من يتذرعوا بذريعة النضال وهذا ما وجدناه متلألئاً في فضاء حوار القصيدة الذي يصور فيه الساسة ومتملقيهم بمستوى إبليس في التحايل والخداع والظلام , بل فاقوا عليه بذلك .

نستنتج أنَّ الشاعر وظَّف تقنية السرد القصصي ؛ ليبلور رؤاه في الاحتجاج و الرفض الذي يمثل النزعة الوجودية لدى الشاعر في طلب الحرية والخلاص من الجور المستشري عند الحكام العرب في بقاع الأرض العربية وتعاملهم المأفون تجاه كل من يحتج ويرفض سياساتهم الاستبدادية الجائرة . كما أن أسلوب القص الشعري يرفع من درجة التفاعل مع النص بوفها فكرة مجسدة بشخوص تتعالق أفكارها مرة وتتناقض مرات ، ومن خلال حواراتها تستبين فكرة احتجاج الشاعر تجاه المؤثرات السلبية المتمثلة بالسلطات الحاكمة .

---

[1] المجموعة الشعرية : 328-329

المبحث الثالث

أسلوب المفارقة

للمفارقة في الشعر العربي الحديث وقعها في توليد المعاني ومنح النص مرونةً في استشفاف معانٍ ودلالات يرتكز عليها النص الشعري , فهي عنصرٌ محوريٌّ مهيمن ينظم ويحدد عناصر النص ويدخل في بعض التحولات الدلالية ، ولغة المفارقة كما يرى كلينث بروكس : "هي لغة المواربة ، وهي قاسية بارعة, وطريفة , وكلما توافرت لغة الشعر على هذه الخصائص استطاعت أن تعبِّر بديناميكية عن تناقضات الحالة الواحدة , وتستدعي غناها الداخلي , وتقدِّمها بنسق متماسك , لكنَّه ممتليء ومتشعِّب الدلالات "[1]، ولعل المفارقة ليست مفارقة باللفظ فقط ، إنَّما هي " ميزة أسلوبية , و لم تعد مهارة لغوية فحسب , بل أنَّها فعل ذهني مرتبط بأساس جوهري وعميق في النفس التي تصوغه , وكثيراً ما تُظهر المفارقة صفة التناقض والتضاد والسخرية "[2] . وللمفارقة دورها في تحقيق "شعرية النص ، إذ يعتمد بعض الأساليب والفنون التي تعمل على تغيير مجرى الكلام من النظام العادي إلى النظام غير العادي بفعل التراكيب التي تحدث انزياحاً أسلوبياً ذا قيمة جمالية يصدر عن قرار الذات المتكلمة بفعل كلامي يبدو خارقاً ... فإنَّ الأساليب التي تنتج المفارقة تقوم على معنى ظاهر وآخر مخفي ، والمقصود هو المعنى الخفي ، أي أنَّ هناك انزياحاً عن المعنى الأصل الظاهر ، وهذا ما تنتجه لعبة الاختيار والتأليف " [3]، ولعل كثير من مفارقات الشاعر تحدثها الألفاظ فتقلب معنى السياق إلى نقيض ، و قد وظف الشاعر أحمد مطر هذا اللون من المفارقة بصورة لافتة ؛ لينشد موضوعاته من خلالها ومن مفارقاته في أشعاره في قصيدة (1999) التي يصف بها الأشرار الذين يراودونه على استعباده , فيصفهم بقوله :

---

[1] بناء القصيدة العربية الحديثة : 137

[2] الرؤيا والتشكيل : 219

[3] النقدية العراقية في مجلة الأقلام ، ولاء إسماعيل :

" رؤوسهم هائلةٌ ,

لكنَّها عاطِلةٌ

من حليةِ الأفكار

عيونهم كبيرةٌ , لكنَّها فقيرةٌ

لنعمةِ الإبصار" .

فنجده يرفض تسلطهم و استعبادهم الفرد الضعيف , فيصفهم من أنَّهم ذوو رؤوس هائلة ، لكنها فارغة من حلية الأفكار كما أنَّ عيونهم كبيرة لكنَّها فقيرةٌ لنعمة الإبصار , وهذه السخرية بأسلوب المفارقة هي رسالة احتجاج لكل الممارسات التي تحيق بإنساننا العربي ؛ لتجعله عبداً ممتهناً لمآربهم الدنيئة، لكنَّه يرى النصر يلوح بالأفق على الأشرار , وهو يستعمل أسلوب المفارقة بكسر أفق التوقع بقوله :

" وسوفَ تصحو بعدَها عواصفُ الأقدارْ ؛

لتقلبَ الأدوار !

و عندها سيزحفُ الشرُّ على أعقابهِ

مُجلَّلاً بالعار .

و الواحد المقهور يبقى قائماً لوحدِهِ

مُنتشياً بمجدهِ

لكنَّه حينئذٍ

سوف يخرُّ راكعاً – كعادة الأحرار –

للواحدِ القهَّار . " [1]

[1] المجموعة الشعرية : 309

فمجلَّلاً حال جليل القدر وعلو المنزلة لكنه يحدث المفارقة بلفظة العار الموصوم بهم , ثم من خلال المفارقة يبين نصر المظلومين ، وهم يقارعون الظلم بالشجب والرفض والاقتتال , فالواحد يبقى قائماً وحده ، منتشياً بنصرِهِ لكن الشاعر يحدث مفارقتين في السياق لإتمام المعنى من خلال عنصر المفارقة وبعث الدهشة ؛ لتحقيق جمالية النص من خلال المراوغة في التعابير بقوله (لكنَّهُ حينئذٍ سوف يخرُّ راكعاً) ، وكأننا نتوقع أنَّه على الرغم من نيل حريته سوف يعود مرغماً للاستعباد والسيطرة إلا أنَّ الشاعر يفاجئنا من أنَّ ركوعه لخالقه سبحانه وتعالى .

و في قصيدته (مجهود حربي) نجده يتعامل بألفاظه بروح السخرية ؛ لينتج دلالة الرفض ؛ لضعف الحكومات العربية أمام الكيان الصهيوني ، فهو يقول :

" و أبي الحافي المَدينْ

أبي المغصوب من أخمص رجليهِ

إلى حبلِ الوتين

ظلَّ لايدري لماذا وحدهُ

يقبضُ باليسرى ويُلقي باليمينْ

نفقاتِ الحربِ والغوثِ

بأيدي الخلفاء الشاردين ." [1]

فهو يشير إلى الحكومات العربية حين تُجمع التبرعات إلى الثوار باسم القضية وأبناء البلدان العربية يتصورون أنها تنفق للثائرين ، لكن من دون جدوى للتحرير، بسبب ذهاب تلك الأموال للخلفاء ليس الراشدين إنَّما يفارقنا بلفظة الشاردين؛ مما أكسب بمفارقته انفتاح المعنى بالسخرية من دعاة التحرير الذي ليس لهم سوى ملء البطون ؛ لأجل السكون والسكوت تجاه قضايانا الكبرى لاسيما القضية الفلسطينية ،

[1] المجموعة الشعرية : 325

وهذا الاسلوب هو لون من المفارقة بالطباق بما يطلق عليه (المفارقة اللغوية) ، وهي التي تنتجها لعبة تبادل الأدوار بين الكلمات[1]

و قصيدته (أغرب من الخيال) نراه قد صاغ مفارقته المعنوية بأسلوب حُلمي، فهو يقول :

" رأيتُ ما أذهلني

في المركز الحدودي

دخلتُ فاستقبلني الشرطةُ بالورودِ

و أهَّلوا واسهَّلوا , وقبَّلوا خدودي

قالوا بمنتهى الأدب

(شرَّفتَ يا أخا العرب)

يا لِلعَجَب !

لم يأنفوا منِّي

و لم يستثقلوا وجودي

لم يحجزوا أمتعتي

لم يسلبوا نقودي

...

أفقتُ من غيبوبتي

في المركز الحدودي

---

[1] النقدية العراقية : 42

و لم يكن في حوزتي

شيءٌ سوى قيودي[1]. "

فالشاعر أحمد مطر يحدث لنا مفارقة خلال الحدث الذي يسرده إلينا وكأنَّه في غيبوبة و الحياة تسير كما يرام ، وهو يعبر الحدود معزَّزاً مُكرَّما , لكنه يفاجئنا بصحوته التي يجد نفسه مقيداً بالحديد , إشارة منه إلى أنَّ الحكومات تقوم بالتضييق وسلب حقوق المواطنة , وحين ينتقد تلك الممارسات ، فهو يوميء إلى احتجاجه ورفضه لكل فعلٍ يسيء للانسان من دون وجه حقٍّ يُذكَر .

و للمفارقة تقنياتها فمنها اللفظية ومنها السردية بالحدث كما مر بنا ومنها بالاندهاش والتعجب , فنراه يسبك ذلك في قصيدته (الجريمة والعقاب) التي يقول فيها :

" ولقد طال الغيابْ !

...

قيل لي : إنَّ أبي مات غريقاً

في السرابْ !

قيلَ بل مات بداء (التراخوما) !

قيلَ جرَّاء اصطدامٍ

بالضبابْ

قيل ماقيلَ وأكثر ماقيلَ

فراجعنا أطباءَ الحكومةْ

فأفادوا أنَّها ليست ملومةْ

---

[1] المجموعة الشعرية :294

و رأوا أنَّ أبي

أهلَكَهُ (حَبُّ الشبابْ) ! " [1]

فالشاعر يشير في مطلع القصيدة إلى الذباب ، لكنه يرمز به إلى جلاوزة السلطة واستبدادهم , وأنَّ اختفاء أبيه دون أن يجد له سبباً مقنعاً للاختفاء يحاول طرق أعذار بعيده عن الواقع ، لكن آخر عذر أدلى به أطباء الحكومة إشارة إلى جلاوزتها : بأنَّ والده أهلكه حبُّ الشباب . وهذا الاستنكار يمثل رفضه ؛ لتغييب الناس دون وجه حق ، و لايعطون مسوغاً ؛ لتغييبه سوى الاستخفاف والضعةً التي بها يتجنَّون على كلِّ من نادى بحقه أو رفض ممارساتهم الهستيرية المقيتة .

و يبدو الإنسان عند الوجوديين " هو من يحدد ماهيته ووجوده بفعل فكرة القصدية ، فالوعي عند الوجوديين يفترض وجود عالمين ، عالم الفكر المجرد (الذات) وعالم خارجي عنه يفترضه الوعي هو (عالم المعطيات والوقائع الحسية) " [2]؛ لذا فالذات تبحث عن الحرية إذا مالا قت ما ينفرها من عالمها الخارجي بوصف الحرية هي عبارة عن خلقنا لذواتنا في كوننا أحراراً و حين نكون كذلك معناه أن نعمل لا نخضع للصيرورة , فعلينا أن نعمل لخلق ذواتنا [3] في بيئة تزداد حرجاً وليس فيها مايحقق خلقها يقوم الإنسان بمحاولاته في تمزيق قضبان سجنه بالرفض أو الاحتجاج سواء بالكلمة أو السلاح؛ لنيل ماتصبو إليه ذاته في ظل حياة حرَّة كريمة تحقق له ولغيره نعمة الشعور بالأمن والاستقرار وسعادة النفس وحريتها , لذا نجد أسلوب المفارقة يتأتى في شعر شاعرنا بين منزعين , أو صراعين أحدهما يمثل رغبة الذات ، والآخر عدمها , ومنه قول شاعرنا وهو يحتج على التعسف الذي يسلط على الذات الإنسانية لإلغائها , يقول :

" في دائرة الأمن القومي

---

[1] المجموعة الشعرية : 330

[2] الوعي الجمالي : 64-65

[3] ينظر مشكلة الحرية : 138

وَضعوني قيدَ التحقيق طوال اليوم

زعموا أنّي رددتُ كلاماً أثناء النوم !

...

نزعوا جلدي

نَبشوا عظمي

قرأوا كلَّ خلايا لحمي

و بأعقاب الحرق

و بَعدَ البصق

و بعدَ اللطم

سألوني : ما اسمكَ ياهذا ؟

ما اسمي !!

حقاً ما اسمي ؟

و أخذتُ أفكِّر ساعاتٍ

و تذكَّرتُ أخيراً أنّي

لا أتذكر ما اسمي . " [1]

فالشاعر يستنكر على أمن الحكومة اتهاماتها الباطلة إزاء أبناء الشعب واستفزازهم , و قسوة التعذيب التي تمر عليهم في دهاليز السجون المظلمة ، فضلاً عن التحقيق الذي ينسون فيه كلَّ شيء , لكن من المفارقات التي نراها في القصيدة هي : (زعموا أنّي رددتُ كلاماً أثناء النوم) وهل يتوقع السامع أنَّ ترديد الكلام الذي

[1] المجموعة الشعرية : 119

يمس الحكومة في النوم ؟ بل المتوقع أنَّ الكلام يشاع بين الناس ، لكنه أراد أن يبين مقدار الظلم الذي لحق بالناس من دونما سبب , أما المفارقة الأخرى هي في قوله : (وتذكَّرتُ أخيراً أنِّي ...لا أتذكر ما اسمي) هنا نجد أنَّ الشاعر ينعى على الحكومات أنَّها تستعمل أقسى طرق الترهيب ، إذ تجعل من الإنسان يفقد ذاكرته خوفاً وهلعاً , فنجده ينسلخ من ذاته ويخرج منها كراهية , وهذا ما يجعلنا أن نقول أنَّ شاعرنا يبحث عن رغبة الذات في تحقيق حلمها واستقلالها إلا أنَّ الواقع الخارج يفتعل الأفاعيل في سبيل عدم تحقيق ذلك ؛ لجعل الذوات طيعة مستعبدة لا تحرك قواها , و هي تبحث عن حريتها وخلق ذواتها هانئة مستقرة.

و لعل بأسلوب المفارقة نحا منحىً آخر في رفضه , إذ نجده يكتب شعره مسترسلاً سهلاً لاعناء فيه و لا معاظلة من قِبل قارئه , لكن الإمعان الدقيق يطلعنا على سخريته للوضع الراهن بإسلوب الطباق معبّراً بها وكأنَّه قد ألف التناقضات , لكنه بالوقت ذاته يرفض هذا الواقع طالما يتحدث به , وهو يعيش اليأس لطغيان مظاهر السوء في المجتمع نتيجة الحكومات التي شجعت على تلك الممارسات السيئة لصالحها ، فنراه يقول في قصيدته (قف ورتِّل سورة النسفِ على رأس الوثن) :

" فالذي نام بمأواكَ أجيرٌ متآمِر

و رفيق الدربِ جاسوسٌ ... عميلٌ للدوائرْ

و ابنُ مَن نامتْ على جمرِ الرمال

في سبيل الله كافرْ [1] " .

فهو يمازج بالمفارقة بين من ينام في حماه ويأويه أنه أجيرٌ متآمر , ورفيقه صار جاسوساً عليه ، أمَّا من عاشت زاهدةً , فنامت على جمر الرمال من فرط تقواها يصير ابنها كافراً , هذه المفارقات يستنكر من خلالها أباطيل السياسات التي هوت بالناس ، وهي تدأب على تغيير أخلاقهم التي فطروا عليها ونسف قيمهم .

[1] المجموعة الشعرية : 50

و قصيدة (التقرير) هي الأخرى تمثّل رفضاً للأساليب الدنيئة التي يفتعلها رجال السلطة بحقِّ المواطن البريء , فنراه يقول :

" كلبُ وإلينا المُعظَّم

عضَّني اليومَ , وماتْ !

فدعاني حارسُ الأمنِ لأُعدَمْ

بعدما أثبتَ تقرير الوفاةْ

إنَّ كلبَ السيِّد الوالي

تسمَّم ! " [1] .

و هل يتسمم من هو يعض , ويبدو أنَّ من يقوم من أزلام السلطة بالاعتداء على أحد المواطنين ، وتتعب يده أو بدنه جراء التعذيب , يعاقَب المُعذَّب إزاء ذلك , و هي مفارقة طريفة , وفيها احتجاج بأسلوب ساخر؛ مما تفتعله السلطة من إيذاء فاحش بحق بنيها . والذي تراه القراءة أنَّ الشاعر يستنكر كل الممارسات التي تقوم بها السلطة في التضييق على المواطن ، والأحابيل التي يلفِّها حوله ماهي إلا تخرّصات تنمُّ عن الفكر الساذج والممارسات الدنيئة ؛ لذا نراه يسخر من هذا الحيف الرخيص بحق الإنسان والإنسانية .

و المفارقة هي نمط كلامي ، أو هي طريقة من طرق التعبير يكون المعنى المقصود فيها مخالفاً للمعنى الظاهري ، إذ أنَّ الدال يؤدي إلى مدلولين نقيضين : الأول مدلول صرفي ظاهر , و الآخر مدلول سياقي مضمر [2] بما يسميه البلاغيون التورية، ومن ذلك قصيدة (حادث مرتقب) التي يقول فيها :

" إنّي أرى سيارةً

---

[1] المجموعة الشعرية : 53

[2] ينظر : المفارقة ، د. خالد سليمان : 169

تسير في اضطرابْ

قائدها مستهترٌ

أفرطَ في الشرابْ

و الدرب طين تحتها

و حولها ضبابْ

مسرعةٌ

مسرعةٌ

السِّكرُ لن يلجمها

و الطين لن يرحمها

و النار و الحديد إنْ تحدَّرا

طاحا

و لم يمسكها الضباب ...

سيحدثُ انقلابْ ." [1]

و كأن الشاعر يتحدث عن انقلاب كما يبوح لنا المعنى الظاهر ، لكنه لا يرمي إلى ذلك ، وقد عرف الشاعر بنزعته الاحتجاجية على السلطة ، وكأنه يصف الحاكم بالسائق الطائش الذي يقود سيارته من دون اكتراث لحياته وحياة المواطنين ، إذ لا ارعواء عمَّا يحصل ، ومن ثم يجلب الدمار ، لكن المفارقة هو المعنى المستتر ، أي الانقلاب على الحاكم و حكومته غير المتعقلة في قراراتها.

و قصيدة (استغاثة) يفارق فيها بين ملك القاتلين والملك عزرائيل , فيقول :

---

[1] المجموعة الشعرية : 64

" الناسُ ثلاثةُ أمواتٍ

في أوطاني

و الميّتُ معناهُ قتيل .

قِسمٌ يقتلهُ (أصحابُ الفيل)

و الثاني تقتلهُ إسرائيل

و الثالث تقتلهُ عَربائيلْ

وَ هِيَ بلادٌ

تمتَدُّ منَ الكعبةِ حتَّى النيلْ !

و اللهِ اشتقنا للموتِ بلا تنكيلْ

و اللهِ اشتقنا

و اشتقنا

ثُمَّ اشتقنا .

إنقذنا .. ياعزرائيل . " [1]

فالشاعر يطلب الإنقاذ من عزرائيل وهو الموكول بالموت ؛ لما يستنكره من مسببي القتل ، وهم أصحاب الفيل في إشارة إلى الغزاة الطامعين وهي أمريكا , والثاني الصهاينة ، أما الثالث فهم الحكام العرب . واستنجاده كان مفارقة يريد بها بيان شدَّة احتجاجه ؛ لما آل إليه الوضع في بلداننا العربية ، وإباحة القتل في كلِّ مكان .

نسترفد من ذلك أنَّ المفارقة هي من التقنيات الشعرية التي يتكئ عليها الشاعر في إحداث الطرافة والدهشة في المتلقيلتكون رسالته أكثر تأثيراً وقبولاً ، لما يبغيه الشاعر .

---

[1] المجموعة الشعرية : 106

المبحث الرابع

أسلوب الاستفهام

الاستفهام في اللغة هو طلب الفهم بمعناه اللغوي ، أما بمفهومه الاصطلاحي هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل , لكن الاستفهام في اللغة الأدبية يخرج إلى أغراض تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال , وقد شكَّل الاستفهام ظاهرة أسلوبية واضحة في شعر أحمد مطر وفي منح نصوصه مايعتمله من رفض تجاه ممارسات السلطات القائمة , وتغييب الحريات وانتهاك القيم , ويبدو انَّ الاستفهام قد وظفه شاعرنا في نصوصه بوصفه " يظهر سرَّ الحوار الداخلي للنفس الانسانية الشاعرة في توهّجها , واستدراكها , وهي مبعث للتأمل الخصب "[1] تجاه الواقع في شعر الشاعر ، و من خلال قراءة نصوصه الشعرية , نجده يلح في بعض قصائده بهذا الأسلوب على معاني الاحتجاج و الرفض؛ ليمنح نصوصه صداها فضلاً عن أنه يبث فيها شجونه ؛ ليظهرها عالية صائتة , فمن قصائده قصيدة (مفقودات) التي نراه يسائل الحاكم وهو يحتج عليه بقوله :

" يا سيِّدي

أين الرغيفُ واللبن ؟

و أينَ تأمينُ السكنْ ؟

و أينَ توفير المِهَن ؟

و أينَ مَنْ

يوفِّر الدواء للفقير دونما ثَمَنْ ؟ " [2]

---

[1] الرؤيا والتشكيل : 230

[2] المجموعة الشعرية : 105

فالاستفهام في القصيدة يمثل صرخة احتجاج ؛ لعدم توفر الرغيف والسكن والعمل ، وجميعها من الأولويات التي لابدَّ أن توفرها الحكومة للمواطن . مستهجناً عزف الحكومات في بلداننا العربية من الاستخفاف بتطلعات مواطنيها.

و نرى الاحتجاج في غضون استفهاماته التي يرشد بها ويوجه ، لكنه يضمر المعنى الذي نقرأه تحت ظلال تساؤلاته ، ففي قصيدته (كيف تتعلم النضال في 5 أيام بدون معلِّم) يقول :

" تُريد أن تمارسَ النضالْ ؟

تعال .

كُلُّ كثيرٍ مُسكِرٍ ... قليلهُ حرام .

فَأعلِنْ الصيام عن إذاعةِ النظامْ .

و أعلِن التوبةَ ألفَ مرَّةٍ

عن خُطَبِ الحُكَّام ." [1]

فالشاعر بسؤاله يستهجن من يريد أن يمارس النضال فهو رافض لتلك الممارسات الموؤدة التي يعلم مَن وراءها , وماذا تخبئ ؛ لذلك نراه يضع قواعدها وشروطها ؛ بأسلوب الاستفهام الانكاري ؛ ليوسع دلالة معناه , ويمنح نصه مضمرات يمكن للقراءة المتفحصة استشفافها بروية وتمعُّن .

و في قصيدته (وردة في مزبلة) التي يقول فيها :

" أنا مالي ؟

لِمَ لا أمضي لحالي ... لا أبالي ؟

لِمَ لا أغِفرُ عينيَّ , وأستَغفِرُ بالي

---

[1] المجموعة الشعرية : 132

عن خطيئاتِ خيالي ؟

أيُّ جدوى في انتقالي

بينَ موتي واغتيالي

و احتفالي بليالي الإنهياراتِ

على ضوءِ النهارات الليالي. " [1]

فالشاعر يعيش الحيرة و القلق مبدياً تساؤلاته , وهو عازم على التغيير وترك ماكان عليه , فهو يرفض ما آمنت به خيالاته ؛ ليتخلّى عما يراوده بهذا العالم ؛ كي يعيش لحاله ؛ ويتجنب تحمُّل مسؤوليه عناء الكفاح , فيقول :

" أنا مالي ؟

أ أنا خلَّفتُ هذا الشعب

حتى أُبتَلى وحدي بِسَوءات عيالي ؟ ! " [2]

فهو الذي اعتلاه التذمر ؛ لما يراه من فقدان الناصر والمجير ، ومن يدافع عنهم ارتموا منشغلين عنه بالسؤال , رافضاً تمجيدهم من دونما وقفة جادة يتحقق بها ماينشده إليهم , فهو يقول :

" قُدتُ ياسادةُ ... لكن

لم أَقُدْ إلا ظلالي

لم يكن شعبي حيالي

قذفَ الوالي لهُ قِطعةَ إعلانِ جهادٍ

---

[1] المجموعة الشعرية : 196

[2] المجموعة الشعرية : 197

فارتمى مُنشَغِلاً عنّي بتقليبِ السؤالِ :

هل نسميهِ صلاح الدين

أم ندعوهُ قعقاعاً

أم الأنسب أنْ يُدعى أبا زيد الهلالي ؟ " [1]

فهو يستخف ويستهجن دعاة الجهاد من حكَّام متآمرين فما يعلنونه سوى قطعة جهاد وهم يتساءلون عسى أن يُطلق عليهم صلاح الدين أو القعقاع أو أبو زيد الهلالي ، فهذا هو نهجهم وبحثهم عن رموز يتقنعون بها خلف شعاراتهم الفارغة.

و في قصيدته (إنصاف الأنصاف) التي يقول فيها :

" الأسى آسٍ لِما نلقاهُ

و الحزنُ حزينْ !

نزرعُ الأرضَ ... و نغفو جائعين

نحملُ الماءَ ، ونمشي ظامئينْ .

نُخرجُ النِفطَ و لا دفء و لاضوءَ لنا

إلَّا شرارات الأماني ، و مصابيحُ اليقين .

و أمير المؤمنين

مُنصِفٌ في قِسمةِ المالِ

فنصفٌ لجواريهِ

و نصفٌ لذويه الجائرين .

---

[1] المجموعة الشعرية : 197

و ابنهُ – وهو جنين –

يتقاضى راتباً

أكبر من راتبِ أهلي أجمعين

في مدى عشرِ سنين !

ربَّنا هل نحنُ من ماءٍ مهين

و ابنهُ مِن بيبسي كولا ؟ !

ربَّنا هل نحنُ من وحلٍ وطين

و ابنهُ من أسبرين ؟

ربَّنا في أيِّ دينٍ

تملكُ النطفةُ في البنكِ رصيداً

و الألوف الكادحين

يستدينون لصرفِ الدائنين ؟ " [1]

فالشاعر يستنكر القسمة الضيزى التي يقوم بها الحكَّام في رفاهية أبنائهم وأسرهم بينما أبناء الشعب يعيشون القحط والعوز , فقد بنى رفضه على أسلوب الاستفهام الذي أورده ثلاث مرَّات ؛ لتأكيد هذا الرفض ، فضلاً عن منحه مساحة للتعبير عما يختلجه من الأسف وبيان عدم إنصاف الحاكم في توزيعه لثروات البلاد .

و قصيدة (ديوان المسائل) هي من القصائد الاحتجاجية التي وظف فيها الشاعر أسلوب الاستفهام الذي مثل جواباً للشرط بوصفه تقنية نادرة الاستعمال حينما يجعل الشاعر من السؤال جواباً مضادّاً لفعله ؛ ليحمل في طياته دلالة الرفض , نراه يقول :

---

[1] المجموعة الشعرية : 160

" إنْ كانَ الغربُ هو الحامي

فلماذا نبتاع سلاحَه ؟

و إذا كان عدوَّاً شَرِساً

فلماذا نُدخِلهُ الساحةْ ؟

إنْ كانَ البترولُ رخيصاً

فلماذا نقعدُ في الظلمةْ ؟

و إذا كانَ ثميناً جدَّاً

فلماذا لانجد اللقمةْ ؟

إنْ كانَ الحاكمُ مسؤولاً

فلماذا يرفضُ أنْ يُسأَل ؟

وإذا كانَ سموَّ إلهٍ

فلماذا يسمو للأسفلْ ؟ " [1]

فالشاعر يقف موقف المحتج على التصرفاتٍ التي يراها مناقضة للواقع ، مما ولّد احتجاجه من خلال أسلوب الشرط و جوابه بالاستفهام في جميع الأسطر التي وردت في القصيدة ؛ مما جعله يرسل رسالته بتلقائية وإقناع متواصلين .

و من رفضه لسياسة أمريكا وسطوتها على أرضنا العربية , استعمل أسلوب الاستفهام منكِراً لها ؛ و لما تقوم به من صناعة للطغاة بأرضنا ؛ ليعيثوا فساداً في

[1] المجموعة الشعرية : 229

الأرض ومن ثم ليربكوا المشهد السياسي في البلاد من أجل استثمار خيراته وانشغاله عن قضاياه المصيرية , يقول [1] :

" بغضي لأمريكا لو الأكوان ضمَّتْ بعضهُ لانهارتْ الأكوانُ

هي جذرُ دوح الموبقات وكلُّ ما في الأرضِ من شرٍّ هو الأغصانُ

مَن غيرُها زرع الطغاة بأرضنا ؟ وَبمن سواها أثمرَ الطغيانُ ؟

...

وأقولُ : كلُّ بلادِنا محتلَّةٌ لا فرقَ إنْ رحلَ العدا أو رانوا

ماذا نفيدُ إذا استقلَّتْ أرضُنا واحتُلَّتْ الأرواح والأبدانُ ؟ "

فهو يبغض أمريكا ؛ كونها جذر الموبقات وهي كل شرٍّ في هذا الكون, كما أنه يراها هي من زرعت الطغاة بأرضنا العربية ، يقصد حاكميها , وقد أثمرت زراعتهم بضياع حريات الشعوب وضياع متطلباتهم في حياة حرَّة كريمة .

كما يرفض الشاعر مستعيناً بأسلوب الاستفهام الاستقلال للأرض من دون الاستقلال للروح والبدن , و هما يتضوران من شدة عطشهما لنيل استقلالهما .

و قصيدة (تساؤلات) التي ملأ الشاعر فضاءاتها بالتساؤلات ، يقول فيها :

" كيفَ سندخلُ حرباً هذي المَرَّة

مادامتْ أمَّتُنا الحرَّة

تنجبُ عشرةَ أبطالٍ ؛

كي تقتُلَ منهم عشرهْ ؟

كيفَ سنجني ثمراً

---

[1] المجموعة الشعرية : 313-314

و البذرةُ مازالتْ بذرهْ ؟

يا وعدَ اللهِ ويا نصرَه !

كيف ستسلمُ هذي الجُرَّه ...

ما دامَ الإنسانُ لدينا

يُولَدُ يحملُ قبره ؟ ! " [1]

فالشاعر برفضه لكل ما أورده في القصيدة إنَّ أمتنا التي تدَّعي الحرية هي من تقتل بنيها الأبطال , بينما هم من ينادون بصنع الحرية ؛ لأن ذلك يتعارض مع ما يبتغيه الحكومات من سياسات التجهيل والتغييب ؛ لذلك لاتبقي من ينادي بذلك , مستنكراً أنَّ البذرة تثمر وهي موؤُدة في رحمها , كما يتساءل عن سلامة الجرَّة ، ويعني الطموحات إذ أنَّ صاحبها يولَدُ ، و هو يحمل قبره بيديه .

و في قصيدة (بحث في معنى الأيدي) ، يقول الشاعر :

" أيُّها الشعبُ , لماذا خلقَ اللهُ يديك ؟

أ لِكي تعملَ ؟

لا شُغلَ لديك

أ لِكي تأكلَ ؟

لا قوتَ لديكْ؟

أ لكي تكتبَ ؟

ممنوعٌ وصول الحرفِ حتى لو مشى منكَ إليك !

أنتَ لا تعملُ إلَّا عاطِلاً عنكَ ... و لا تأكلُ إلَّا شفتيك !

---

[1] المجموعة الشعرية :42

...

أتظنُّ اللهَ – جلَّ اللهُ – قد سوَّاهما

حتَّى تسوِّي شاربيك ؟

أو لِتَفلي عارضيك ؟

...

حاشَ للهِ , لقد سوَّاهما ؛ كي تحملَ الحكَّام

من أعلى الكراسيِّ ... لأدنى قدميك !

و لكي تأكلَ من أكتافِهم , ما أكلوا من كَتِفَيك ,

و لكي تكتبَ بالسوطِ على أجسادِهمْ

ملحمةً أكبر ممَّا كتبوا في أصغريكْ

هل عَرِفت الآن ما معناهما ؟

إنهض , إذن , إنهض وكشِّرْ عنهما .

إنهضْ

و دع كُلَّكَ يغدو قبضتيك ! " [1]

فالشاعر يستنكر أنَّ اليد ما خُلِقت للعمل من دون شغل , أم للأكل وليس من قوتٍ لديك , أم الكتابة , وقد مُنعت عنك , أو تظن بها تسوِّي شاربيك , دلالة على الترف , و جميع ذلك مفقود ، و هذا ماناء به الاستفهام من إنكار لكل ماورد , لكن الشاعر يفجأنا , بأنَّ الله طالما خلق اليدين ، فلابد أن تعمل وأيّ عمل إن لم يتوفَّر لها فلابدَّ منها لصنع التغيير ؛ لتعود إلى وظيفتها الحقيقية , والتغيير لدى الشاعر

[1] المجموعة الشعرية : 226 – 227

أداتهما اليدان التي عليها مسؤولية قذف الحكَّام من أعلى كراسيِّهم إلى أدنى القدمين ؛لأنَّهم السبب في تعطيل وظيفة اليدين التي هي أصل الإنماء والوفرة , فضلاً عن معاقبة الظالمين بالسياط كما ظُلِمَ أصحابُها من قبل , فنرى الشاعر يمازج بين رفضه والانتقام ممن سلبوا حرية أبناء شعبه وأنعشوا الفقر والجهل في صفوفهم كما أنعشوا وجع السياط فوق ظهورهم .

و يبدو أنَّ الشاعر حين استعمل أسلوب الاستفهام وهو واحد من أساليب الشعرية في الأدب بما يتولد منه من معانٍ مجازية ، وهو يعلن رفضه تجاه من آثر أن يقتلع جذور الحرية من أساسها , ورفضه للسياسات القمعية التي طالما قامت بها الحكومات تجاه أبنائها ووأد كل صوت يجهر ؛ لأجل أن يعيش الإنسان حُرَّاً مُعافى ، كما أعلن بأسلوب الاستفهام رفضه واحتجاجه ضد كل القوى البغيضة التي حققت السوء ضد الشعب الشعب العربي ولا سيما العراقي منه .

الفصل الثاني

الاحتجاج بالتداعي الشعري

المبحث الأول : تداعيات العنوان

آ–العنوان وتشاكل الفونيم

ب– العنوان بالتكرار

ج–مكانية العنوان

د–زمانية العنوان

المبحث الثاني : تداعي الرمز الشعري

المبحث الثالث : تداعي حركة عين الأفعال المضارعة.

المبحث الرابع : تداعي الصور الشعرية

مفهوم التداعي :

يقصد بالتداعي إحداث علاقة بين مدركين ، لاقترانهما في الذهن بمنطق أو سبب ما ... و يرتبط بحاسة الجمال الذي يتأتى كنتيجة لتجربة ذاتية كذلك ما نراه في الصور المجازية التي تعود إلى أصولها الحقيقية ، [1] بما تحققها الرموز والصور وهي تتواشج بالتداعي مع غيرها من الالفاظ والجمل داخل النص "إذ أنَّ فالألفاظ ذاتها لامعنى فكرياً وعاطفياً لها ، الألفاظ تكتسب معانيها بالقرائن عندما تقترن لفظة بلفظة ، كلمة بكلمة ... تفجير اللغة هو إعادة تشكيل القرائن بين الكلمات " [2] ما يجعلها تتداعى بمعانيها لتشكل قراءة يمكن أن يستبصرها القارئ بعدما يضمرها النص التي تتداعى لذهنيته بمعانيها التي استجلبها الشاعر لذلك .

و التداعي هو ما يشكل المعنى الباطن للنصوص الأدبية لاسيما الشعرية فلا يمكن أن يتيح الفرصة للنص مالم يتشكل بألفاظ أو جمل تمنح النص المعاني المضمرة ما لم يكن هناك نسق من التداعيات بينها وبين أطراف النص الأخرى ، ذلك ما يجعل من اللغة أن تتفجر بطاقاتها التي تختزن المعاني من خلال تجاذباتها ببعضها بوصفها بنية لغوية متميزة لتشكل نصاً أدبياً بوصفه شبكة لغوية تعتمد وجود الدال الذي هو ترجمة صوتية لتصور ما ، والمدلول الذي هو المستعار الذهني لهذا الدال ومن هنا تتضح وحدتها البنائية العميقة في الرمز اللغوي "[3] الذي بدوره يبوح بدلالاته التي تتداعي مع دلالات السياق لتشكل وحدة مضمونية حسب قراءة متلقي النص .

و يعد التداعي هو الرابط المهم لجزئيات النص الشعرية وهي تتلاقح فيما بينها لتنتج المعاني الخبيئة أو الظاهرة التي تتطلبها رؤية الشاعر ؛ ليحقق غاية النص الذي كُتبَ من أجلها ، كما تبقى مهمة القارئ في استيحاء الدلالات والمعاني من طريق فهمه ؛ لما ادخره فضاء النص ، وهو ينوء بتلك المعاني خلال تلاحم دلالات الالفاظ من طريق تداعي معانيها مع بعضها بعضاً .

---

[1] معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة , د. سعيد علوش : 89
[2] الفن والحلم والفعل ، جبرا إبراهيم جبرا : 287
[3] نظرية البنائية في النقد الأدبي ، د. صلاح فضل : 36

المبحث الأول

تداعيات العنوان

العنوان يمثل عتبة النص و هو ما يجسد الكثافة الدلالية التي يقترحها الشاعر؛ ليبني عليه نصه في كثير من الأحيان ؛ كونه الممثل لما يلاقيه المتلقي حين يعتب النص ، لذا أطلق عليه بمصطلح عتبة النص وهو من الأساليب الشعرية التي يتداخل فيها العنوان بالكلمات صوتياً ، أي تكرار بعض أصوات العنوان داخل كلمات استهلال جمل القصيدة ؛ مما يبعث على تواشج الأصوات ودلالتها. فالشعر الحديث يستمد إيقاع موسيقاه " من وجود نظام داخلي ضمني غير مُعلَن من التوترات الصوتية الدلالية المميَّزة مستقل تمام الاستقلال عن التنسيق التركيبي النحوي لهذه القصائد " [1], و العنوان يمثل ثريا النص ، وهو دالٌّ عليه ، ويعني " فيما يعنيه إضاءة الطريق الذي سيسلكهُ القرَّاء للإفصاح عن محتواه أو شفراته , أو ما خفي من رموزه , بما يراد له من إشارة المتلقي ومنحه مجالاً للتأويل " [2] ، ويبدو " أنَّ فهم العنوان لايكون إلا عبر تفكيكه ، والتوصل إلى مكامن النص عبره وخلاله "[3]؛ ما يزيد في تعميق دلالته وانسجامه مع جسد النص ومتفرعاً في أنساقه ، حينما تكون قدرة الشاعر الإبداعية متحكمة في مسارات النص وتوظيف مجمل وسائل الشعرية داخله .

و يمثل العنوان منجزاً إبداعياً ، يحقق حضوره نصاً مستقلاً ببنيته ، حين تحقق اكتمالاً معنوياً بوصفها منفصلة عن النص لكن ما يحمله من إيحاء يدفع بالمتلقي إلى الدخول في المتن قاصداً الإجابة عن الاسئلة التي أوجدها العنوان في نفس المتلقي ، ومن ثم الوصول إلى كنه النص من خلال العنوان[4]، فهو يمثل " وحدة

---

[1] دليل الدراسات الأسلوبية : 3

[2] جمالية الخطاب القرآني : 54

[3] علامات النص الشعري عند يحيى السماوي ، صلاح راهي إبراهيم : 48-49)

[4] ينظر : النقدية العراقية في مجلة الأقلام : 30

اتصال ممتاز ومفتاح دلالي مهم ، فهو من جهة وحدة معرفية لها كيانها الخاص ودلائلها التي تعبّر عنها ، ومن جهة أخرى سمة وظيفية مرتبطة بأدائها لعملها تجاه النص الذي تتعالق معه "[1] ويعد العنوان واحد من أكبر العلامات التي تشع على النص بالدلالة وتمنحه سر تواصله مع المتلقي وذلك هو ما تتوخاه الكتابة الشعرية . كما أنه يمثل تداعياً يحقق وحدة القصيدة خلال توليده للمعاني وهو يشتبك مع مكونات النص الأخرى ، بوصفه دلالة مركزية وشفرة مهمة من شفرات النص ،

و قد استطاع أحمد مطر أن يواشج العنوان كمنطلق للدخول في نصوصه وجعله واحد من الثيمات التي تؤسس منذ البداية لما يحمله النص من استفهامات يودعها في أتونه .

و أحمد مطر واحد من الشعراء المعاصرين الذين سايروا الحداثة ؛ ليجعل من نصوصه الشعرية قادرة على أنْ تحاكي الواقع ، إذ جعل عناوينه شعارات للافتاته المعلنة بوصفها رسائل احتجاج على مبدأ المصادفة التي تدفع بالقصدية والفهم الإنساني[2] لثورية الكلمة و هي تنادي دائماً للشجب والإدانة والرفض لكل معاني الاستلاب والقمع , فضلاً عن اكتناز عناوين قصائده بالرؤى والافكار التي من شأنها محاكاة الواقع ؛ مما جعله يوظف كثير منها ؛ خدمة لأغراضه الشعرية ، مما جعله يكرَّسها بطرق و أشكال متعددة لاستثمارها في تحقيق ما تصبو إليه نصوصه الشعرية ، ومنها :

---

[1] نظرية النص ، حسين خمري :115

[2] ينظر : الحداثة في الخطاب النقدي عند أدونيس ، د. فارس عبد الله بدر الرحاوي :46

آ- العنوان وتشاكل الفونيم

لقد وظف الشاعر العنوان ليتشاكل مع الفونيم الذي تمثل أصغر وحدة صوتية تتكون منها اللفظة ، و قد أفاد الشاعر من العنوان ليتعالق مع جسد النص ، فراح يشاكل بين أجزاء العنوان الصوتية وبين أجزاء النص الصوتية في الكلمات أو الجملِ؛ لتقوية المعنى في الضغط على صوت بارز في العنوان يهيمن على جسد القصيدة إيقاعاً صوتياً ودلالة , ومن أمثلته قصيدة (سواسية) التي نجد الشاعر يلحُّ على صوت السين في قصيدته ؛ كونه يستشعر أنَّ هناك فرقة بين أبناء الحكَّام وبين أبناء الشعب , يقول :

" سواسية

نحنُ كأسنان كلاب البادية

يصفعنا النباح

في الذهاب والإياب

يصفعنا التراب

رؤوسنا في كلِّ حربٍ باديهْ

و الزهو للأذناب

وبعضنا يسحق رأس بعضنا

كي تسمن الكلاب . " [1]

نجد الشاعر يركز على ثيمة (بعضنا يسحق رأس بعضنا) ، فهي تمثل غرض القصيدة في المساواة بين أبناء الشعب الذي يعاني الاضطهاد , ويمثل صوت السين

---

[1] المجموعة الشعرية : 44

في لفظة (سواسية) مركز إلحاحٍ لديه ، إذ تكرر في العنوان مرتين, وفي الجملة المُعبِّرة عن دلالة العنوان مرتين أيضاً ، فصوتها يدل على عدم التمايز ، كون الهواء الخارج مع صدورها ينطلق باستقامة واحدة مع توازي الأسنان بالانفراج ، فالألفاظ التي فيها السين مثل (سيف , سنا , سجى , رسى , سال , ساوى) تدل على الاستقامه والسكون والمساواة ؛ لذلك نجد صوت السين مهيمناً في العنوان منذ انطلاقته حتى شغل ألفاظاً كثيرة ، تعالق معها ؛ للتأكيد على مايرمي إليه ، فالعنوان هو "نص مختصر يتعامل مع نص مفصَّل" [1]؛ لذلك نجد هذا التعالق لدى الشاعر بين مختصر ينفتح على نص مفصل.

أمَّا قصيدة (بلاد الكتمان) , فقد اتسعت التعالقات الصوتية بين العنوان والفاظ القصيدة , يقول :

" أكلَ الصمتُ فمي

لكنَّني

أشكو من الصمت بصمتي

خوف أن يأكلني

لو أنا بالصوت شكوتْ

ربِّ أنَّ الصوت موتْ

كيف أحيا في بلادٍ

تكتمُ الصوتَ بإطلاقةِ إسكاتٍ

و حتَّى كاتم الصوتِ بها

[1] النقدية العراقية في مجلة الأقلام : 42

في فمهِ (كاتم صوت) . "[1]

شغل صوت التاء مساحة واسعة ، فقد ورد أربع عشرة مرَّة ، فقد دل على السكون ، بوصفه صوتاً هامساً ، لاينفذ معه الهواء فيحدث الحبس ، وصوت الكاف شكَّل في لا وعي الشاعر مساحة واسعة ، إذ تكرر عشر مرَّات ، وهو يدل على معنى (الكبت , التلكوء , الكره , الركل , الكتمان) ؛ لذا منحت العنوان سر دلالته اللفظية وصوت النون أيضاً ورد عشر مرات ، بينما صوت الميم ثمان مرات وكلاهما من أصوات الغنَّة الهامسة . والضغط على أصوات العنوان جعلت منه يلح على تكويناته الصوتية في معظم كلمات القصيدة ؛ مما منحها تكثيفاً ؛ ليؤكد رفضه لما يعانيه من تكميم الأصوات بالقوة .

و قصيدة (صَفتْ النية) نرى فيها سعة التعالقات في الأصوات , !ذ يقول :

" صَفَتْ النيَّة يا لبنان

صَفَتْ النيَّة

لمْ نُهملْكِ ... و لكن كُنَّا

مُختلفين على تحديد الميزانيَّهْ

كم تحتاج من التصفيق

و مِنَ الرقصات الشرقيهْ ؟

...

صَفَت النية يا لبنان

فتهانينا يا لبنان

جامعة الدول العربيهْ

---

[1] المجموعة الشعرية : 62

تهديكِ سلاماً و تحيَّهْ

تهديكِ كتيبة ألحان

و مبادرةً أمريكيَّه [1] " .

لقد تكررت الأصوات في جمل الرفض ، فصوت النون تكرر اثنتين وعشرين مرَّة , وصوت التاء خمس عشرة مرَّة ، بينما الصاد أربع مرات وهي صوت ضاغط يرد في ألفاظ (الصفاء ، الصلاح ، الصمت ، الصبر ، الصلاة ... الخ) ، ولعل الشاعر ينتقي عنواناته التي تتسلسل دلالاتها وأصواتها المتشكلة منها متواشجة مع معظم كلمات النص على الرغم من روح السخرية التي تستبطنها نصوصه الشعرية .

و قصيدته (انهيار المملكة) التي يقول فيها :

" أمسي مات

يومي مشدودٌ في حبل

يتأرجح ما بين القتل و بين القتل

وَ غَدي مشلول الخطوات

يا واهبَ مملكة العقل

كَبُرتْ دائرة المأساة

كَبُرتْ دائرة المأساة

كَبُرتْ

كَبُرتْ

حتى ضاقت

---

[1] المجموعة الشعرية : 111

كيف أحرر ذاتي

و أنا مُعتَقلٌ في الذات ؟

كيفَ أُحرِّر صوتي

وَ فمي قُفلْ؟

مأساتي أثقلُ من لُغتي

زادَ الثُقلُ

زادَ الثُقلُ على كلماتي

زادَ الثُقلُ

و تكسَّرَ ظهر الكلمات ! " [1]

فالقصيدة في مقطعها الأول , و هو يحمل معنى الاحتجاج والرفض ، إذ نجد فيه تكرار صوت الميم ثلاث عشرة مرة ، و صوت الكاف عشر مرَّات , وصوت اللام أربع عشرة مرَّة , وهي الأصوات المهيمنة في لفظتي العنوان؛ لتمتين دلالته داخل النص ؛ ليصف بذلك حريته بوصفها مملكة ، وقد انهارت من شدة ثقل التضييق عليه .

و قصيدة (الكارثة) التي نجد تكرار أصوات العنوان في مقطعها الأول , وهو يرفض ما آل إليه الوضع السيء في البلاد , فنراه يقول :

" حالنا رثٌّ إلى حدٍّ له ترثي الرثاثهْ

بيتُنا المبنيّ هدماً

أحرقَ الباني أثاثهْ

[1] المجموعة الشعرية : 111 – 112

حقلُنا الخالي من التربةِ والفلاح

مُكتَظٌّ بثيران الحراثةْ

بذرنا الفارغ مُلقى في فراغٍ

خوفَ أنْ تملأهُ بالقمحِ آفات الوراثةْ

هُزِلتْ أذواتنا من شِدة الجوع

و لم تُسمن بها إلا الغثاثةْ .

...

آه ... كم نحنُ استغثنا

و استغثنا ... واستغث ...

حتى أتتنا تستغيث الاستغاثةْ !

غيرَ أنَّا شُغِلتْ كلُّ أيادي الغوث عنَّا

بسيولٍ

و مجاعاتٍ

و هزَّاتٍ

و أشياء سِواها دونَ معنى

سامحَ اللهُ وكالاتْ الإغاثةْ

إنَها لو عدَلتْ , واستعرضتْ كلَّ الرزايا

لم تجد كارثةً ماحِقةً مِثلَ الحداثة " [1].

---

[1] المجموعة الشعرية : 198

نـتلمس مـن العنـوان الصـوت المهـيمن ، هـو صـوت الثـاء الـذي يتسـم بصـورة الارتخاء ؛ كون مصدره من التقاء طرف اللسان بحافة الأسنان ، فيتكون من الهواء الخـارج من تحت اللسـان حيث الفجوة المتكونـة أسفله , وفـي كلِّ فراغ وفجوة غيـاب للحـزم ، ممـا يكـون هنـاك اضـطراب وعـدم سيطرة ، فنلحظ الثـاء فـي الألفـاظ (رث , كارثة , ثورة , ثراء , رثاء , ثمر) ، وقد ألحَّ الشاعر على هذا الصوت في قصيدته , إذ ورد إحدى وعشرين مرَّة .

و قصيدته (وفاة ميِّت) التـي مثلـت احتجـاج الشـاعر علـى سكوت النـاس , ولـم تنبس بكلمة رفض حتى يموتوا , ليظلوا في حياتهم أشباه أموات , يقول :

"– ماتَ الفتى

- أيُّ فتى
- هذا الذي كانَ يعيشُ صامِتا

و كانَ يدعو صمتَهُ أنْ يصمتا

و كانَ صمتُ صمتهِ يصمتُ صمتاً خافتا.

- ماتَ متى ؟
- اليومَ .
- لا ..
- هذا الفتى عاش وماتَ ميِّتا " [1].

فنجـد صـوت التـاء المهـيمن فـي العنـوان ورد خمـس عشـرة مـرة ، و التـاء مـن الحروف الهامسة التي لاينفذ معها الهواء خارجاً بإطباق طرف اللسان على الأسنان العلويـة والسـفلية بحيـث يحتـبس الهـواء فـي الـداخل ، فـلا يحـدث إلا السـكون حـين تصدر , فنجده يهيمن في الألفاظ الدالة على السكون (صمت , سكوت , تعب , وفاة , رفـات , بيـت) ؛ ممـا جعـل الشـاعر يـأتي بأصـوات تحمـل تلـك الدلالـة؛ لتتعـالق مـع

[1] المجموعة الشعرية : 207

الصوت المهيمن في العنوان الذي تكرر فيه صوت التاء مرتين . وصوت الميم الذي تكرر ثلاثة عشر مرَّة ، و هو أيضاً من الأصوات الصامته الذي لا يخرج معه الهواء ؛ ليحدث خلخلة ، فضلاً عن هدوئه الذي يمنح الكلمات رقتها بما تحمله من معنى .

و من قصائده (مجلس) التي ينمِّر فيها الشاعر صوت الميم على معظم أسطر القصيدة , فهو يقول :

" القاعةُ المُعتادةْ

غارقةٌ في الصمتِ

و البهائم المُنقادةْ

تجلسُ في دائرةٍ ,

و صاحب السيادة

يدور يحمل العصا لمن عصا

و يُهدر الوقتَ بلا إفادةْ .

في القاعةِ المُعتادةْ

بهائمٌ تغفو بلا إرادةْ

و هائمٌ يمشي بلا إرادة

و طبلةٌ تدقُّ كلَّ ساعةٍ بمنتهى البلادة

تُعلِنُ عن تأييدها

لمجلسِ القيادة." [1]

[1] المجموعة الشعرية : 321

فالشاعر يرفض هذا المجلس الذي يقاد أعضاؤه كالبهائم , بينما صاحب السيادة (الرئيس) هو من يحمل العصا على تلك البهائم التي لا تقدم شيئاً سوى ضياع الوقت ، ومن يقودهم هائم يطيش بلا إرادة , لكن نجد تعالقاً صوتياً بين صوت الميم في العنوان التي تدل على الاستكانة والنغم الشفيف , و هي تشير إلى الضعف والضمور يؤازرها صوت اللام هو الآخر صوت مهموس طري فاتر , بينما السين وهي صوت صفيري يدل على الخواء المصحوب بقسوة , وقد تكرر صوت الميم إحد عشرة مرَّة , بينما ورد صوت اللام إحدى وعشرين مرَّة , والسين أربع مرَّات, ويبدو أنَّ الجلوس هو ليس فيه مايغير أو ينبعث ، بل يدل على الركود والخفوت والراحة بل و الاستسلام .

نجد الشاعر في هذا التشكيل يحقق انسجاماً صوتياً في عنوانه الذي يمثل موضوعه المختصر مع موضوع القصيدة المفصل ، ويبدو النص قطعة واحدة من الدلالة في أقل وحدة صوتية وهي تتداعى لوحدات النص الأخرى ، وهو ما يمنحنا دلالة قاطعة من أنَّ النص يتألف من أنساق متشابكة ، وهي تحمل روح الشاعر الإبداعية ورؤاه الفكرية على مدى نصوصه الشعرية .

ب- تعالق العنوان بالتكرار

لقد تفشى في شعر شاعرنا تكرار العنوان أو جزء منه إن كان مركَّباً ، وقد تجسد ذلك في أشعاره ؛ لتأكيد احتجاجه بتقريره في ذهن متلقيه ، ومن ذلك في قصيدته (خُذ وطالب) :

" خُذ , وطالبْ

هذهِ الأكوان لم تُخلَق بيومٍ

كن سياسيًّا مع الأعداء

راوغهم بضبط النفس ,

طأطئ , وتجرَّد , وانبطِح , وارفعْ

وحاسبْ .

فإذا قصّوا لك اللحيةَ

طالِبهم بتنتيف الشواربْ

و إذا هم نتفوا الأهدابَ

طالبهم بِإخفاءِ الحواجبْ

...

و إذا شقُّوا لك السروالَ

طالبهُم بتقطيعِ الجواربْ

و إذا حطُّوا على ظهرِكَ سرجاً

اقبل السرجَ وطالبهم براكبْ

...

هكذا شيئاً فشيئاً ,

و بطولِ البال تحظى بالمكاسِب

خذ وطالبْ

لا يضيعُ الحقُّ

مادامَ وراءَ الحقِّ طالِبْ " [1].

فالشاعر يرفض كل الاجراءات ؛ كونها لاتأتي إلا بالمطالبة ؛ لذلك يحثُّ المواطنين على المطالبة بحقوقهم وتدعو إلى الرفض لكل أساليب الاستلاب, ومن

[1] المجموعة الشعرية : 277 – 278

ثمَّ بعد تلك المطالب للحقوق المغيَّبة يمكن أنْ تتحقق الطموحات , إذ نرى الشاعر أكَّد فعل الأمر (طالب) الذي هو عنوان القصيدة التي بُنيَ مضمونها على المطالبة والأخذ , ذلك برفض المنع والتقتير وعدم تلبية الطموحات , فهي لاتتأتى إلا بإعلاء الصوت مُردَفاً بضبط النفس كي لايضيع الحق .

وقصيدته (يسقط الوطن) ، إذ نراه يوبخ نفسه ، ويرفض تعلّقَه بهكذا توصيفٍ للوطن ، فهو يحتج على فهمه بهذه الشاكلة ، يقول :

" (أبي الوطن)

(أمّي الوطن)

(رائدُنا حُبُّ الوطن)

(نموتُ كي يحيا الوطن) .

ياسيدي انفلقتُ حتى لم يَعُدْ

من وطنٍ يؤويهِ في هذا الوطَنْ !

أيُّ وَطَنْ ؟

...

الوطنُ المنفيُّ ...

أم منفي الوطنْ ؟ !

أم الرهين المُمتَهَن ؟

أم سِجننا المسجون خارجَ الزمن؟ !

(نموتُ ؛ كي يحيا الوطن)[1] " .

[1] المجموعة الشعرية : 127

فالشاعر يلحُّ لأجل السخرية من التمسك بالوطن ؛ لأنه لا كرامة و لا أمنَ فيه , فيقول :

" نحنُ الوطنْ !

من بعدِنا تبقى الدوابُ والدِّمَنْ

نحنُ الوطَنْ .

إنْ لم يكنْ بنا كريماً آمِناً

و لم يكُنْ مُحترَماً

و لم يكُنْ حُرَّاً

فلا عِشنا و لا عاشَ الوطن[1] " .

فالوطن في القصيدةِ ؛ كونه مفرَّغاً من المحتوى ، فقد كرره عِدَّة مرات , رافضاً أنْ يكون وطناً طالما هو مُستَلبٌ , فالشاعر لا يرجو أنْ يعيش هو و لا الوطن كلاهما وحين يكونان منسلخين عن طابعيهما .

و قصيدة (في جنازة حسون) التي يقول فيها :

" بالأمس ماتَ جارُنا حسُّون

و شيَّعوا جُثمانَهْ

و أهلهُ في أثر التابوت يندبون :

ويلاه ياحسُّون

أهكذا يمشي بكَ الناعون

لِحفرَةٍ مظلِمَةٍ يضيقُ منها الضيق !

---

[1] المجموعة الشعرية : 128

و حينَ تستفيق ،

يُحيطُكَ الموكَّلونَ بالحِساب ،

ثمَّ يسألون ،

ثمَّ يسألون ،

ثمَّ يسألون ،

ويلاه ياحسُّون

و في غمارِ حالةِ التكذيب والتصديق

هتَفتُ في سمعِ أبي :

هل يدخل الأموات أيضاً يا أبي

في غُرَفِ التحقيق ؟ !

فقالَ لا يا ولدي

لكنَّهم

من غُرفِ التحقيقِ يخرجون ! " [1]

فقد تكرَّر اسم حسون ثلاث مرَّات ، ليؤكد على الجرم الذي وقع على المواطن من لدن السلطة القمعية بدلالة (من غُرفِ التحقيقِ يخرجون)، فالشاعر يستنكر على الحكومة بشاعة التحقيق ويحتج على الممارسات الاستبدادية التي تجعل من استلال الاعتراف في نهاية الإنسان

نستشف أنَّ الشاعر يتعامل بفنية عالية في التأكيد والتركيز على المعنى الذي يبغيه من طريق الأبنية والروابط المُحكَمة و العلاقات القائمة بين مكونات النص.

---

[1] المجموعة الشعرية : 80

ج- مكانية العنوان

إنَّ ارتباط الإنسان بالمكان يبدو فطرياً ، فهو منبثق من حدود الرحم كفكرة أولى أخذت تحفر في هواجس الإنسان اللاشعورية ، فنجده مرتبطاً مكانياً في الواقع ؛ لذلك نجده يؤسس دائماً للوطن حين تغيب عنه مقومات استقراره لاسيما النفسي منها ، فالبعد المكاني هو ما يحقق وجوده ، إذ أنَّ الذاكرة الجمعية هي التي تعيد له ذلك الارتباط .

إنَّ المكان هو "مفهوم يترتب عليه مجموعة من المفاهيم ، كما أنَّه الحاوي لجميع تطلعاتنا الفكرية والاجتماعية والنفسية ، وهو الذي يفترضنا كسلوك ؛ لكونه بُعداً (حاويا) ، فليس هناك إذن من فصل بين الفكرة ذات الحقيقة الموضوعية وبين المفهوم الذي حدد ذات الفكرة وأعطاها هذه الحقيقة " [1]؛ مما يجعل الفرد محكوماً عليه بفكرة المكان الذي يلامس المناطق المغيبة في سلوكنا و هو ما يشكل لنا حكما قبليا للنفاذ إلى ماهيتنا [2]، ما يمنحنا القدرة التصويرية للمكان ؛ لأنه قائم بين الفكرة والخيال ، كما أنَّ فكرته تتعالق مع جسد النص ؛ لتداولها لاسيما في سلوك الشاعر حين ينسج قصيدته وحين يستحضر فيها المكان بوصفه أحد شفرات النص .

يبدو أنَّ المكان أخذ بعداً شاسعاً في أشعار الاحتجاج والرفض لدى شاعرنا فشاعت مساحته من خلال الضوء الكثيف الذي تسلطه عناوين النص المكانية وجعل القصيدة تبنى على أماكن تحقق معنى الاحتجاج ، وتجتلب معاني متخفية في ظلال أروقتها منها التأزم الذي يعيشه إنساننا بالتضييق عليه واختناقه وعزلته من خلال القمع الذي يلاقيه من السلطات ضده ، إذ أنَّ المكان بات "من أهم المسائل التي يجترحها الخيال الشعري جاذباً إليه التطلع النقدي الطامح إلى مساءلة التجربة ومقاربة مضامينها الفكرية ، متوسلاً لذلك بجماليات إغراءاتها المتأتية من الاختيار الذي يتجلى من خلال اللغة المعبِّرة عن ملامح شعرية المكان" [3]، ويبدو أن اللغة

---

[1] تجليات النص مسارات تأملية في ذات السؤال ، ماجد الحسن : 115

[2] ينظر : تجليات النص مسارات تأملية في سؤال الذات : 116

[3] سيمياء المكان في شعر محمود درويش ، د. حسن غانم الجنابي : 5

الشعرية "لاتصبح لغة شعرية إلا بفضل اللغة " [1]؛ لذلك نجد واحد من شعرية النص هو المكان حين يحمل دلالات تتشظى ؛ لتساهم في منح النص شعريته ،و حين يرسم الشاعر أمكنته من خلال التحاور بينها وبين ذاته على " وفق الكيفية المباشرة , التي تشترط تمظهر كل منهما ، وهو مسار لايقع في النمطية ، إنما تعقبه فعاليات جوانية تستهدف نمطيته لغرض التنويع في موضوعاته وبالتالي تتعدد تأويلاته ، وهكذا يتم تحويل المكان من كونه معطى مباشر إلى رمز يحقق له وجوده المتحول ويكشف عن ماهيته التي تصبح الشرط الأساس لبناء تصوراتنا عنه ، وهكذا يتحتم على الذات أن تشترط وجودها وقراءتها لهذا الرمز وبالتالي تتخطى الرمز إلى ما وراءه " [2] .

و الشاعر أحمد مطر يحاول أن يبني لقصيدته مرتكزات يحقق من خلالها تجربته الشعرية المتفاعلة مع الحدث والتي تمثل رسائل لأبناء الشعب العربي قاطبة على المستويين السياسي والاجتماعي , فكانت تجربته الناقدة اللاذعة خير ما يستشرفه في أداء رسالته التي تمتَّعت بالحرية للتعبير عن ذات الإنسان والمطالبة في نيل حريتها , فجعل من أمكنته معاني الرفض وهي تجتر في بنائها خلف خيمة العنوان الذي يبرق في القصيدة شعاعه ، فجعل من أمكنته تتأتى بمنازع متلونة تتكاتف مع مكونات النص في البوح بمعانيه ودلالاته لاسيما دلالة الاحتجاج التي نستلها من ظلال عباراته .

ومن أماكنه قصيدة (قمم باردة), يقول :

" قمَّةٌ أخرى ...

في الوادي جياعٌ تتنهد

قمَّةٌ أخرى ...

---

[1] بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن ، ترجمة محمد الولي و محمد العمري :37

[2] تجليات النص مسارات تأملية في سؤال الذات : 119

و قعر السهلِ أجرد

قمَّةٌ أعلى و أبردْ

يا مُحمَّد

يا مُحمَّد

يا مُحمَّد

ابعث الدفـءَ

فقد كادَ لنا عُزَّى ...

وكِدنا نتجمَّد ." [1]

فالشاعر بدأ بعنوانه (قمم باردة) ، وانتهى بالفعل (نتجمد) ، بينما اختار أماكن متعددة يوازي بها رأس هرم القصيدة (العنوان) , فالسهل أجرد بينما الوادي مليء بالجياع والمحرومين ، منادياً أبا الجياع والمحرومين الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وماحلَّ بقومه في محاصرتهم بشِعب أبي طالب أن ينصر الشعب اليوم الذي بات يتضور في كلِّ أنحاء البلاد في جبالها وسهولها وأوديتها , وهذه المشاكلة والتداعي المكاني جعل من اتساع أفق القصيدة وانفتاحها رسم عمق المعاناة التي شملت المجتمع العربي لاسيما العراقي بأطيافه وأعراقه وقومياته بدلالة المكان المتنوع , وقد حقَّقت لفظتا (باردة ، و نتجمد) الجمود والسكون وغياب الحياة مستغيثاً بمنقذ يغير الواقع الجامد ، مومئاً الى الخوف والعزلة ، إذ لا منفذ فيه سوى الحرمان والفاقة وتغييب الحريات .

و لعل المكان يمثل حركة الناس فيه ، فنراه يجسده مجازاً للمكانية , كما أن المكان محل الأرزاق والأحداث وموطن الراحة , و بيروت واحدة من أماكن الشاعر

---

[1] المجموعة الشعرية : 22

التي رمز لها بعنوانه الذي منحها صفة الخراب ، لما اعتملها من نكسات قامت بها أيدٍ آثمة من أيادي الصهاينة وأذنابهم ؛ وذلك في قصيدته (كلمات فوق الخرائب) التي يقول فيها :

" قِفوا حولَ بيروت

صلُّوا على روحِها واندبوها

و شدُّوا اللحى وانتفوها ؛

لكي لا تثيروا الشكوك

و سُلُّوا سيوفَ السباب لِمن قيَّدوها

و مَنْ ضاجعوها

وَ مَنْ أحرقوها ؛

لكي لاتثيروا الشكوك

و رصُّوا الصكوك

على النار ؛ كي تُطفِئوها !

و لكنَّ خيطَ الدخان

سيصرخُ فيكم : دعوها ,

و يَكتُبُ فوقَ الخرائب

" .....

إذا دخلوا قريةً أفسدوها . " [1]

---

[1] المجموعة الشعرية :34

و الشاعر يتألم على خراب بيروت التي عاثت بها المؤامرات الداخلية من أحزابها المتناحرة الإسلامية والعلمانية , فضلاً عن غزو الكيان الصهيوني لها، فكانوا سبباً في خرابها , وقد رأينا الظرف (فوق) ولفظة (الخرائب) كلاهما دالَّان على المكان , وفي النص وجدنا أنَّ المكان هي بيروت , وقد رأينا الضمير (الهاء) عائداً عليها في الكلمات (اندبوها , قيَّدوها , ضاجعوها , أحرقوها , تطفِئوها , دعوها , أفسدوها) وكل هذه الأفعال تدل على رفض الشاعر لما آلـ ببيروت من خرابٍ وتدمير بسبب دعاة الحرية والنفعيين وأعداء الإنسانية والتحضر .

و قصيدة (حكمة الغاب) أيضاً مثَّل عنوانها المكان الذي وسمه بالحكيم ساخراً ورافضاً من الحكَّام الذين انتفعوا من حكمة الغاب , فهو يقول :

" تعدو حميرُ الوحشِ في غاباتِها

مُسوَّمهْ

قويَّةً مُنتقِمهْ

لا تقبلُ الترويض والمسالَمَهْ

فالغابُ قد علَّمها

أنْ تركلَ السلمَ وراء ظهرِها

لِكي تظلَّ سالِمهْ

...

و في زرائبِ القُرى ... المُنظَّمهْ

تغفو الحميرُ الخادِمهْ

ذليلةً مُستَسلِمهْ ؛

لأنَّها قد نزعتْ جلودَها المُقلَّمهْ

و عافتْ المُقاوَمهْ

و أصبحتْ مُطيعةً

تسيرُ حسْبَ الأنظِمهْ " [1]

فالشاعر برؤياه يرى ، وهو يرمز بحمير الوحش المسوَّمة في الغابة بأنَّها تعدو قوية لكنَّها مُنتَقِمة ، إذ فرضت عليها بيئتها ذلك ، فهي لاتقبل الترويض والمسالمة إشارة إلى الحكومات وقيادات الأحزاب داخل بلدانها ، وهي تعيش على الانتقام من الآخر , بينما نراها في زرائب القرى المُنظَّمة تغفو ذليلة مستسلمة تنزع كلَّ ما تدعيه من قوة وبأس ، وتترك شعاراتها ، وتصير مطيعة خادمة لرؤسائها من الدول الكبرى ، فتسير حسب أوامرها , إذ لاتمتلك إرادتها . فنجد الشاعر اهتم بالمكان ، فجعله عنواناً ؛ ليبني عليه فكرةَ قصيدته في رفض هذا الواقع المهين ، واحتجاجه على سطوة الحاكم المعكوسة ، إذ وصف البلد بالغابة، بينما حين يكون الحاكم خارجه , يظهر وداعته واستسلامه لأسياده .

و قصيدة (حديقة الحيوان) واحدة من القصائد التي يشير بها الشاعر إلى جامعة الدولة العربية التي مثَّلها بمُلتقى الأضداد والتشابهات , مشيراً إلى أماكن متعددة ؛ ليرسم لنا مسرحية شخوصها في الأداء حيوانات ، تمثل سياسات العرب من مختلف أصقاع البلدان العربية ، فنراه يقول :

" في جهةٍ ما

من هذي الكرة الأرضيهْ

قفصٌ عصريٌّ لوحوش الغاب

يحرسهُ جندٌ وحِراب

---

[1] المجموعة الشعرية : 65

فيهِ فهودٌ تؤمنُ بالحريَّه

و سِباعٌ تأكلُ بالشوكةِ والسكّين

بقايا الأدمغةِ البشريهْ ،

و كلابٌ بجوارِ كلاب

أذنابٌ تخبطُ بالماءِ على أذناب ،

و تُحنّي اللحيةَ بالزيتِ

و تعتَمِرُ الكوفيَّهْ

فيه قرودٌ أفريقيه

رُبِطتْ في أطواقٍ صهيونيهْ

...

فيه نمورٌ جمهوريهْ

و ضباعٌ ديمقراطيهْ

و خفافيشٌ دستوريهْ

و ذبابٌ ثوريٌّ بالمايوهات الخاكيَّهْ

يتساقط فوقَ الأعتابْ

و يناضلُ وسطَ الأكوابْ

...

قفصٌ عصريٌّ لوحوش الغاب

لا يسمحُ للإنسانيه

أنْ تدخُلَهُ

فلقدْ كتبوا فوقَ الباب :

(جامعة الدول العربية) ! " [1].

فالشاعر يوسم الحكام العرب بالحيوانات منها المفترسة ومنها الانتهازية ومنها الضعيفة, لكنَّه حاول أن يجمع أطيافهم بمكان واحد عنونه بـ (حديقة الحيوان) , و ختم قصيدته بتوصيف تلك الحديقة بما يسمى بجامعة الدول العربية ؛ ليتيح لرؤياه أبعادها من خلال إشباع النص إيضاحاً ورؤياه رفضاً لكلِّ المسميات التي لا تغني ولا تسمن إلا اتباع شهواتها و الانقياد بسلاسل أمريكا والصهيونية التي يأسف الشاعر و هو يرفض كل أشكال التبعية و الاستسلام ، فضلاً عن هذا الحكم الذي لم يخلِّف سوى ضياع حقوق أبناء الشعب في تحقيق إرادته في الاستقلال .

وقصيدة (الدولة) هي الأخرى يتداعى فيها المكان , مع الأمكنة الواردة في النص ، فنراه يقول :

" قالتْ خيبر

شِبران لاتطلب أكثر

لا تطمَعْ في وطنٍ أكبر

هذا يكفي

الشرطةُ في الشبر الأيمن

و المسلخُ في الشبر الأيسرْ

إنَّا أعطيناكَ المخفَر

فتفرَّغْ لحماسٍ وانحرْ

---

[1] المجموعة الشعرية : 74

إنَّ النحرَ على أيديكَ سيغدو أيسر ! " [1].

فالشاعر يحتج من خلال أمكنته التي حقق من خلال عنوانه فتح نافذة للإشارة إليها ، فالدولة مايتداول بها شؤون الشعوب , لكنَّ دولته فجَّة ، فوسمها بخيبر إشارة إلى السياسة اليهودية ، و خيبر معروفة في التأريخ ؛ كونها كانت سكن لليهود ولعلَّه يقصد دولة إسرائيل في تعاملها مع الفلسطينيين الذين يضايقونهم على أرضهم السليبة , فالشبر يوميء إلى المساحة الضئيلة ، وكلا الشبرين يمثلان أماكن للترهيب ، فمن يطالب بحقوقه في وطن كبير لا يكون نصيبه إلا شبرين ، الأيمن هو شبر الشرطة إشارة إلى التضييق والمصادرة , والمسلخ في الشبر الأيسر هو مكان القمع والتقتيل , وكلا المكانين ليس فيهما الرحمة أو الميسرة , ولعل في توظيفه الأمكنة في القصيدة يعلن خلالهما احتجاجه تجاه اليهود ؛ لمصادرتهم حقوق الفلسطينيين واضطهادهم .

و لعل اشتغالات المكان وتداعياته في النص الذي يشير إليه العنوان , يبرق في خيال المتلقي صور ما يحدث فيه , لكن الشاعر من خلال أغلب عنوانات قصائده يرفض الواقع المحاط في دائرة , في قصيدته (دائرة) ، التي يقول فيها :

" نخافُ من رئيسِنا

لأنَّهُ يخافْ .

هوَ الذي أخافنا

وحينَ خِفنا خافْ

مَنْ سيزيل خَوفَنا

و كلُّنا خوَّافْ ." [2]

---

[1] المجموعة الشعرية : 198

[2] المجموعة الشعرية : 272

فالشاعر يرفض الخوف المُطبق حينما يكون عند علية القوم أو مسؤوليهم ، فهو يوظف المكان هنا حين يكون محيط الفكر والنظرة من خلال الأثر النفسي الذي تفرضه أفكار المكان ، ليكون له دور واضح في انغلاق الفكر دون تقبل غيره , فهي دعوة الشاعر لأن يكون الانسان حرًّا مجرداً مما يدفع به للتراجع ومن ثم التقهقر والخنوع .

نستنتج أنَّ عنواناته المكانية حققت دلالاتها في جسد القصيدة وهي تتداعى للأمكنة الواردة في جسد النص ، مشكلة نسقاً مهيمناً قصده الشاعر لتحقيق رؤاه.

د- زمانية العنوان

استثمر الشاعر الزمن في منح قصائده دلالات متنوعة تنطلق إذ حملت بعض عنوانات قصائده وهي تمثل ثريا النص ليتداعى مع أزمنة النص مشكلاً نسقاً له دوره الفاعل في بناء القصيدة ودلالتها المضمونية .

ومسألة الزمن شغلت الفلاسفة منذ زمن بعيد من هيرقليطس وارخميدس مروراً بأفلاطون وأرسطو مروراً بالقديس أوغسطين وسبينوزا وليبنتز ونيتشة وبرغسون ، ومن ثم نيوتن وأنشتاين , وقد نظر الفلاسفة المثاليون على أن الزمن من تصورات النفس الإنسانية ، أي هو يصدر من دواخلنا وليس له علاقة بالمادة بينما الفلسفة المادية تؤمن بموضوعية الزمان والمكان، وترفض أية حقيقة خارجهما ، وأنَّ الزمان والمكان لاينفصلان عن المادة إنما هي تجلٍ لكليهما[1] وأن الزمن لديهم قسمان نسبي ومطلق ، فالنسبي "هو مقياس حسي خارجي لأية مدة بواسطة الحركة وهو الزمان المستعمل في الحياة العادية " [2]بينما الزمن المطلق فهو " الزمان الحقيقي الرياضي " [3] ، وهو عند نيوتن " قائم بذاته مستقل بطبيعته في غير نسبة إلى أي شيء خارجي ، ويسيل باطراد ورتوب ويسمى أيضاً باسم المدة " [4] ، بينما في المثالية يمكن أن

---

[1] ينظر : الموسوعة الفلسفية , روزنتال : 216

[2] الزمن الوجودي ، عبد الرحمن بدوي : 100

[3] الزمن الوجودي : 100

[4] الزمن الوجودي : 100

يدخل الزمن النفسي فهو ينبثق من داخل الذات ومن أعماق أحاسيسنا ومشاعرنا أي لايمكن أن يكون موضوعياً بالمعنى الذي أرادته تفسيرات الفلسفة المادية " [1] ، ويبدو أنَّ الزمن الداخلي "هو الذي يثير توترنا ويجعلنا ننفعل بإيقاعه الذي يبدو بطيئاً خافتاً حيناً ، وقد يزداد وقعه حدَّةً وعنفاً حيناً آخر – وعندئذٍ نتحول – في ضوء الزمن إلى حالاتٍ شعورية يمكن تفسيرها تفسيراً كيفياً " [2] , وهذا الزمن يتوحد مع العالم الموضوعي الخارجي فهو زمن لايخضع للتعريف والتحديد [3] .

و الزمن النفسي يتأثر بالحالات الوجدانية " كذلك يتأثر بضروب المعاناة الإنسانية من ضياع واغتراب وحرمان وتحفز في أعماقنا النزوع إلى حالة القلق الذي يجعل من الزمن بطيئاً كشعورٍ بدواخلنا [4]، و الزمن النفسي هو الزمن الذي نراه يتواشجع في النصوص الشعرية التي تعبر عن دواخل النفس وانصهارها بالعالم الخارجي حين تعبّر عن الذات تجاه الوجود .

و يبدو أنَّ الشاعر استثمر الزمن في نصوصه وجعلها تتداعي بعضها لبعض مما شكلت نسقاً مهيمناً داخل بعض قصائده ، إذ نراه في قصيدته التي عنوانها (سطور من كتاب المستقبل):

" بعد ألفي سنةٍ

تنهضُ فوق الكتبِ

نبذةٌ

عن وطنٍ مُغتَرب

تاهَ في أرضِ الحضارات

---

[1] الزمن في شعر الرواد :39

[2] ينظر الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة ، سعد عبد العزيز: 36

[3] ينظر الزمن التراجيدي : 35

[4] ينظر الزمن في شعر الرواد : 40

منَ المشرق حتى المغرب

باحثاً عن دوحةِ الصدق

و لكن

عندما كاد يراها

حيَّةً مدفونةً

وسط بحار اللهبِ

قُربَ جثمان النبي

مات مشنوقاً عليها

بحبال الكذبِ

...

وطنٌ

لم يبقَ من آثارهِ

غير جدارٍ خَرِبِ . " [1]

نراه يرى المستقبل لوطنٍ استلبته إرادة الحكومات التي سخِّرت الماضي؛ لأجل مآربها بينما هي تعمل على خرابه الذي يراه الشاعر مستقبلاً سيء الحال؛ بسبب كل الادعاءات الكاذبة ، فمات الوطن أزاء ذلك مسلوب الإرادة ، بينما الشعارات ترفع على أسواره المهدمة . ولعل زمن الشعر في النصوص ، هو زمن وجودي كونه يجمع

[1] المجموعة الشعرية : 39-40

اللحظات الثلاثة : لحظة الماضي والحاضر والمستقبل في لحظة واحدة هي اللحظة الشعرية الكليَّة حين ينبئنا الشاعر بالمستقبل لقضية ما.

أما قصيدته (صفقة مع الموت) التي يقول فيها :

" أيُّها الموت انتظر

و اصبر علي

فأنا لا وقتَ للموتِ لديْ

و أنا لا وقت للعيش لديْ

...

أيُّها الموتُ ... عزيزي

لكَ شكري

انتظر

إنّي سأدعوكَ إليْ

عندما أشعرُ يوماً

أنني ياموتُ حي . " [1]

نرى الشاعر يخاطب الموت ، والموت زمن جامد ، بينما هو يعيش وسط لحظة الأمل وضياعه ، إذ أنَّ " قلق الإنسان إزاء مستقبله فهو يجعل من زمنه النفسي بطيئاً رتيباً ، كأنه يوشك على التوقف "[2] ، فكيف وفقدان الأمل والشاعر يشعر أنه في حياته ميتٌ ؟ إذ نرى صفقته مع الموت تكاد ترسو بعقدها على ميناء

---

[1] المجموعة الشعرية :92

[2] الزمن في الشعر العراقي المعاصر مرحلة الرواد ، د. سلام كاظم الأوسي : 44

الموضوع الذي آثر إلا أنْ يكون في زمنٍ متوقف لايعدو لحظة الحاضر الذي نطق القصيدة به.

و قصيدته (يا ليل ... يا عين) التي يقول فيها :

" آه يا ليل .. و يا عيني

متى الثورةُ تُشعَلْ

لترى عيني .. و هذا الليل يرحلْ

...

آه يا ليل .. لقد أطفأتَ عيني

غيرَ أنّي سأغنِّي

و أسمِّي كلَّ شيءٍ

و أعرِّي كلَّ كرشٍ فوقَ عرشٍ

من دمائي يترهَّل

أيُّها الشاعرُ لاتعجلْ

فإنَّ الموتَ أعجَلْ . " [1]

و يبدو أنَّ الزمن الشعري قد جسده في الليل الذي ينم عن واقعٍ مظلمٍ تفشى فيه الظلم وسيادة الباطل ، فضلاً عن الاضطهاد والعنف ، وقد قرن الموت مرة أخرى مع الليل فوصفه بأنه أعجل على الشاعر مما هو يتعجل نحوه ، ولعل السياسة المقيته التي دهمت معظم أبناء الشعب بكمِّ الأفواه واستلاب الحريات والاستعباد ، ويكون ذلك " في المجتمعات أحادية الفكر ، ويقل في المجتمعات المتعددة التي تؤمن

[1] المجموعة الشعرية : 97

بالمشاركة عبر آليات ديمقراطية وقانونية شرعية " [1]؛ لذلك أشار الشاعر للعنف السلطوي ، فأزلامه تبني كروشاً على حساب تطلعات الناس من دون أن تسعى لخدمتهم ؛ لذلك استعمل الليل لزمنه الساكن و لظلمته التي تشبه ظلام الجور والقهر والاستبداد مما رأينا دلالته تشيع في مجمل النص.

و المجاز الزماني واحد من تقنيات اللغة الشعرية ؛ لتحمل دلالة الزمان ومن ذلك قصيدة (شيخوخة البكاء) التي يقول فيها :

" – أنتَ تبكي

- أنا لا أبكي

فقد جفَّتْ دموعي

في لهيبِ التجربة

- إنَّها منسكبة!
- هذهِ ليست دموعي

.. بل دمائي الشائبةْ . " [2]

إنَّ فرط بكائه و على طول الوقت ؛ ما جعلها تشيخ من قسوة التجربة تجاه الواقع ، فتحولت الدموع دماءً ، وهذه إشارة إلى المدة الطويلة من المعاناة والقسوة التي نالت من شاعرنا ، وهو يمثل صوت الشعب المظلوم . ولعل الزمان ينحو باتجاهين، هما : الاتجاه نحو ارتقاء الحياة ، و الآخر : تغيُّر باتجاه الموت وفي ذلك الجزء من الزمان الذي نسميه المستقبل ، نجد أنَّ الزمان خوف وحزن ورجاء وسرور وقلق ونجاة [3] ، وهو ما يعزز قول الشاعر في تجربته التي كانت تجربة سلبية ، إذ شاخ لديه البكاء فبدلاً أن يذرف الدموع في أقاصي مستقبله نراها قد تحولت إلى ذرف دماء .

---

[1] العنف في العراق : 28

[2] المجموعة الشعرية : 141

[3] ينظر : العزلة والمجتمع ، نيقولاي برديائيف : 123

و الخلود واحد من إشارات الزمان بوصف الزمان يرتبط بالديمومة عند برجسون، إذ يرى أنَّ الزمن لاينطلق من الحركة ، بل من الأنا الشخصية التي تمثل الخلق المستمر [1] حين يدأب الإنسان إلى تقديم عطاءاته المستمرة حتى ينتهي إلى المبدأ الإلهي نفسه ، وهو السمو والرفعة ؛ لبناء حياة حرة كريمة ، فهو يقول في قصيدته (لن تموت) :

" لا .. لن تموت أمَّتي

مهما اكتوت بالنارِ والحديد

لا لن تموت أمَّتي

مهما ادَّعى المخدوع والبليد

لا .. لن تموت أمتي

كيف تموت ؟

مَنْ رأى من قبلِ هذا ميِّتاً

يموتُ من جديد . " [2]

فهو يرى أمته مستمرة في عطائها مهما تمر عليها من قسوة ، وإنْ ماتت فإنها منبعثة حيَّة مهما ادعى المخدوع والبليد من أنَّها لم تنهض "فبرغم جميع مظاهر الزمن المنبئ برسوخ دورة الذبول واستمرارها فأنَّ الإيمان بالنضارة يظل العنصر الأكثر غلبة ووضوحاً " [3] ، إذ هي أمة ولود معطاء على الرغم من كل الشدائد والمحن التي تتعرض لها وقد أكد عندم موتها بتداعي العنوان لما يؤول إليه من الدلالات التي تصب في شرنقته .

و قصيدته (صباح الليل يا وطني) التي جسد فيها بطء الزمان حين يعيش الإنسان قلقاً مأزوماً من وطأة الاستلاب لحقوقه ، فهو يقول :

" كان النهارُ قائماً

---

[1] ينظر : الزمن في الشعر العراقي المعاصر ، مرحلة الرواد : 27،29

[2] المجموعة الشعرية :192

[3] الخطاب الشعري الحديث في الإمارات ، د. صالح هويدي : 124

من شِدَّة القتامْ

لو سلَّمَ المرءُ على صاحبهِ

لاحتاجَ أنْ يلبس نظارتهُ ؛

ليسمعَ السلام

لم يكتفِ النظامْ

...

صار النهارُ ليلةً داجيةً

من شدَّةِ الظلمةِ

صارت لاترى طريقها الأحلام !

قلنا عسى أنْ يكتفي

لم يكتفِ النظام . " [1]

إذ نراه يحيلنا إلى الماضي بواسطة الفعل (كان) وقد أشار في عنوانها إلى زمن ساكن بوصف الليل هو وقت السكون والدعة لكن حينما يكون النهار ليلاً نراه يومئ إلى سوداوية مفرطة يعيشها أبناء جيله من شدة القهر والعنف والوحشية ، فقد أصبحت حتى الأحلام لم تكن تعرف طريقها و لا الناس إلا أن يلبسوا نظاراتهم ؛ كي يروا طريقهم ، ولعل التركيز على الحسي في النص وهو يعبر عن المعنوي منحه دلالة عالية الوضوح ، وإشارة مكتنزة بالمعنى من دون الإفصاح مباشرة من دون استعماله وسائل بيانية بأظهار ظلم النظام وقسوته تجاه رعيته فأشاع السوداوية في النص من خلال التداعي الحر لرمز الليل وظلمته .

و من هذا نجد أن الشاعر يستثمر الدلالة الزمانية التي تمثل ثريا النص فتطغى بشعاعها على مجمل مفاصل القصيدة لتشكل نسقاً مهيمناً على بنائها المضموني .

---

[1] المجموعة الشعرية : 202 – 203

المبحث الثاني

تداعي الرمز الشعري

الرمز الشعري واحد من تقنيات النصوص الأدبية الذي به تتجسد رؤيا الأديب لا سيما الشاعر , والرمز وسيلة مهمة تحقق دلالتها الإيحائية وهي تتداعى مع مضمون وتمنحه عمقاً ، إذ أصبح الرمز دالاً والمدلول تُرِكَ للمتلقي الذي يفترض فيه أن يمتلك حسَّاً مفتوحاً ، مما جعل الشاعر يستحدث مثل هكذا متجليات تحيل إلى الدلالة التي يقترحها القارئ للنص.

و الرمز الشعري هو كلمة أو عبارة تعبِّر بدورها عن دلالة أو دلالات تنسجم والمعنى الذي يتضمنه النص الشعري ، كما أنه "وسيط تجريدي للإشارة إلى عالم الأشياء"[1] , و هو "الملجأ أمام الشاعر والمتلقي حين تُسد أمامهما كل الكوى فلا يجدان مثل الرمز أداة تفجر اللغة وتجعلها تعطي إمكانياتها وطاقاتها جميعاً "[2].

و الرمز هو "قبل كل شيء معنى خفي وإيحاء ، إنَّه اللغة حين تنتهي لغة القصيدة ، أو هو القصيدة التي تتكون في وعيك بعد قراءتها "[3] ، أي أنَّ اللغة "هي مؤشر على الظاهر والمستتر والممكن والمحتمل والمعلوم والمجهول " [4]

و الرمز الشعري لم يقتصر في المفردة ، فيكون في العبارة ، ويكون النص رمزاً ، إذ يرى الدكتور علي جعفر العلاق وهو يصف الخطاب الأدبي على أنه "خطاب رمزي في الاعتبار الأول ، فهو رمزي في محصلته النهائية ورمزي أيضاً في حلقاته الجزئية النامية ، أي أنَّه جهد تعبيري يحتشد بالدلالات الرمزية التي تتفاوت حيوية وفرادة من شاعر إلى آخر " [5] و قد وظف الشاعر مفردات مستعارة دالة على معانٍ

---

[1] معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، د. سعيد علوش

[2] الزمن في الشعر الفلسطيني الحديث والمعاصر ، د. غسان غنيم : 8

[3] زمن الشعر ، أدونيس ، دار العودة : 160

[4] معارج المعنى في الشعر العربي الحديث ، د عبد القادر فيدوح : 141 – 142

[5] في حداثة النص الشعري دراسة نقدية : 55

يتقصدها الشاعر بوصفها صارت مرموزاً لقدرتها على الإيحاء داخل نصوصه الشعرية حين تتداعى دلالتها داخل النص لتمتزج مع تيمات النص الأخرى لتولد معاني يتطلبها السياق الذي ترد فيه ، ومن ذلك قوله في قصيدته (خطاب تاريخي):

" رأيتُ جرذاً

يخطبُ اليوم على النظافة

ويُنذِر الأوساخ بالعقابِ

وحولُه يصفق الذئاب[1] " .

و لعل الاستعارة واحدة من الرموز التي تحمل دلالات تنسجم مع السياق وتدفع برؤيا القصيدة إلى أن تبوح بمجملها بالمعنى , إذ أنَّ الاستعارة " هي استعمال اللفظة في غير ما وضعت له في أصل الوضع لعلاقة قائمة بين المعنيين القائمين الحقيقي والمجازي مع قرينة ملفوظة أو ملحوظة تمنع إرادة المعنى الحقيقي الذي وضع اللفظ له "[2] محاولاً شحنها بما يجعلها أكثر غنى وصلة بتوترات عصره وضغوطه وطيشه حتى بات محتجاً على الواقع ، وهو يرمز للسلطة بالجرذان وأذنابها بالذئاب ؛ ليفارق بين حياة الجرذان التي تعيش مع الأوساخ ، بينما هي تدافع عن النظام وتبغي معاقبة الأوساخ التي تعيش عليها , بينما يصفق التبع لإيدلوجيته التي تنافي الواقع ، وهذا ما يمنح دلالة الاحتجاج قوة ومضاء .

ويبدو لما يلاقية المواطن من حيف من فجاجة السلطة أنذاك يرمز الشاعر لها بالحيوانات غير المقبولة في المجتمع في بعض صفاتها , فيتوسمها رموزا لهم ، ساخراً منها ؛ ليعبر عن احتجاجه ورفضه لأساليبها القمعية ، نراه يقول في قصيدة (مصادرة) :

" من بعدِ طول الضربِ والحبسِ

---

[1] المجموعة الشعرية : 15

[2] نباهة العرب وبلاغة القرآن الكريم : 107

و الفحص والتدقيق والجسّ

و البحث في أمتعتي

و البحث في جسمي وفي نفسي

لم يعثر الجندُ على قصيدتي

فغادروا من شدة اليأسِ

لكنَّ كلباً ماكراً

أخبرهم بأنني

أحملُ أشعاري في ذاكرتي

فأطلق الجندَ سراح جثَّتي

و صادروا رأسي . " [1]

فنراه يقص لنا كيف كانت الحكومة تعذب المحتجين ، وأنها تزرع حراسها في كل مكان فيستعير لفظة (كلباً) التي تدل على العض والنهش والمكر ؛ كي يمنح النص فاعلياته التي أنشئ ؛ لأجلها معبّراً على عمق الاحتجاج والرفض للسلطة الحاكمة آنذاك ، وهو يدلي لنا مؤرخاً حال العراق في تلك الحقبة الزمنية التي تفردت بها السلطة آنذاك فأوغلت بالبطش والتقتيل لأبناء الشعب .

و مما نعده رمزاً ، وهو اسم مستعار لفظة (قنبلة) في قصيدته (التكفير والثورة) التي يقول فيها :

" في زمن الآتين للحكمِ

على دبابةٍ أجيرهْ

[1] المجموعة الشعرية : 62

أو ناقةِ العشيرةْ

لعنتُ كلَّ شاعرٍ

لا يقتني قنبلةً ؛

كي يكتبَ القصيدةَ الأخيرةْ " [1]

فهو ينتقد الآتين إلى الحكم على دبابة أجيرة أو بقوة العشيرة ، ما جعله يلعن الشعراء الذين لم يقتنوا قنبلة حينما يكتب قصيدة ، والقنبلة هنا تمثل وعي الشاعر وكلمته الرافضة للحاكم العميل أو المتسلط بالقوة ، فالقنبلة وهي في سياق مباشر إلا أنها خرجت إلى المجاز ، فغدت رمزاً من رموز التفجر والرفض والاحتجاج ؛ ولمَّا كانت بعض الألفاظ " توحي بأكثر من مدلولها الظاهري , ويتجدد المقياس الفني في تقدير قيمة اللفظ بمدى قدرته الفائقة على خلق إيحائية خاصة به فهو مجال الانفعالات النفسية والتأثر الداخلي للإنسان ... وقيمة اللفظ تتأثر بهذه الإيحائية ونوعيتها" [2] ، وأثر تداعيها الدلالي داخل النص ..

و في قصيدته (ذكرى) التي يقول فيها :

" لا تسألوا

كيف اختفت لافتتي الشعريةْ

لا تسألوا

فهذهِ الأوطان

تعتقلُ الفأسَ

إذا ما حلَّت الأوثان

---

[1] المجموعة الشعرية : 54

[2] فلسفة المعنى : لواء الفواز : 76

و هذه الأوطان

تودِّعُ الملاكَ دوماً

عندما تستقبل الشيطان

و هذهِ الأوطان

إذا أتاها ظالمٌ

تذبحُ كلَّ طائرٍ مُغرّدٍ

و زهرةٍ بريَّةْ . " [1]

و لعل الشعر يمنح المفردات سر كثافتها حين يستعملها الشاعر مجازاً ، فنراها تشع بالدلالات المنزاحة من دلالتها الحقيقية ، فتصير رموزاً تفيض بمعانٍ تسبح في فضاء القصيدة . وقد وردت في النص مفردات أشارت إلى معانٍ ثانوية يمكن أن نطلق عليها استعارات لكنها في دراستنا نعدّها رموزاً ؛ لما تفشى في شعر الشاعر وهي تفيض بالإشارات لمعانٍ بعيدة تتداعى معانيها متساوقة مع بقية أجزاء النص ، ومن بين المفردات هي (الفأس , الأوثان، الملاك ، الشيطان ، طائر) ، وجميعها ألفاظ مستعارة ، فالفأس تمثل السلاح ، بينما الأوثان فتشير إلى السلطان الجائر ، أما الملاك ، فيمثل الحرية والحق ، بينما الشيطان فيرمز للباطل ، و الطائر المغرّد هو الشعب الناطق لاسيما المثقفين والشعراء والفنانين ممن هم دعاة الحرية والكلمة الحقة .ونرى الشاعر يحتج على السلطات العربية التي ظلت وما تزال سائرة في هذا الدرب التي ليس لها سوى التبعية للأجنبي .

أما في قصيدته (أقزام طوال) يجسد فيها تبعية القادة العرب للمحتلين فنراه يقول :

" أيُّها الناس , قفا نضحك

على هذا المآل

---

[1] المجموعة الشعرية : 59

رأسنا ضاع فلم نحزن

و لكنا غَرِقنا في الجدال

عند فقدان النِّعال

لا تلوموا نصف شبرٍ

عن صِراط الصفِ مال ,

فعلى آثارهِ يلهثُ أقزامٌ طوال

كلُّهم في ساعة الشدَّة

(آباء رغال)

فكلّ الصف خارج الصفِ

و كل العنتريات قصورٌ من رمال . " [1]

ويبدو أنَّه يصفهم بالخيانة رامزاً لكل واحد منهم بأبي رغال ذلك الذي أتى دليلاً لإبرهة الحبشي لغزو مكة ، كما أشار بلفظة (العنتريات) التي يستعملها اللسان الشعبي لمن يجعل من نفسه عنتر بن شداد بالقوة والشجاعة والإقدام بينما هو فارغ من المحتوى .. ولعل الشاعر يرفض ما يقوم به الحكام العرب من تطاول على أبناء شعوبهم بيد أنهم تابعون صاغرون لأسيادهم المحتلين .

و الرمز من أدوات النص الهامَّة في التعبير الشعري ، فهو يعمل من أجل الدلالة المعمقة لمعاني القصيدة ، معبراً عن عمق تجربة الشاعر كما أنه يعد طاقة إبداعية للابتكار وتوظيفه يجعل من السياق أكثر حيوية وفاعلية في اضافة دلالات مشرقة على المعنى الذي يرمز إليه خارج سياق النص , فضلا عن الرونق الجمالي

[1]) المجموعة الشعرية : 76

المعنوي، فالنسر حين وظفه الشاعر ، جعله شخصاً نبيلاً ذائداً عن حمى الوطن ، يقول الشاعر في قصيدته (الجارح النبيل) :

" اللهُ أبدعَ طائراً

و حباه طبعاً

أن يلوذ من العواصف بالذرى

و يطيرُ مقتحِماً ، و يهبطُ كاسراً

فيعفُّ عن ذلِّ القيود

فلا يباعُ ويشترى .

...

اللهُ قال لهُ : إذن

ستكونُ خلقاً آخرا...

لكَ قوَّةٌ مثل الصخورِ

و عزَّةٌ مثلَ النسورِ

و رقَّةٌ مثل الزهورِ

وهيأةٌ مثل الورى

(كن)

أغمضَ النسرُ النبيلُ جناحَهُ

و صحا ...

فأصبح شاعرا . " [1]

و الشاعر في استعماله رمز النسر لما له من صفات ومنها الكبرياء والشموخ والقوة والافتراس ، إلا أنه عنون النص بـ (الجارح النبيل) فوسمه بالنبل مشيراً بالنسر إلى الشاعر المتحدي والرافض للسلطة الظالمة ، وقد وسمه بالنبل ؛ لأنه يمثل صوت الحق ضد الباطل ويناصر المظلومين وهو يرفع اصواتهم عاليا كما هو النسر الجارح لكنه جارح لكل أفاك اثيم .

و الساعة شكَّلتْ رمزاً معبّراً لأكثر من دلالة في بعض قصائده ، ومنها الموقف الجاد في الحياة ، إذ نراه يقول في قصيدته (مطلع) :

" في ساعةٍ واحدةٍ

أجمع خمسين سنةْ

أزمنةً وأمكنةْ

و أطرحُ الوجوه في وجوهها الملوَّنةْ

مُخلِصةً ، وخائنةْ

ثائرةً ومُذعِنةْ

مدينةً ، ودائنةْ

و أضرب الأرقام

إنْ لم تلبس المخالِبْ

وألدغُ العقربَ بالعقارِب

و أنطِق الصمتَ بكلِّ الألسنةْ

---

[1] المجموعة الشعرية : 214-215

و أنتضي جلدَ السلاطين

نعالاً لحفاة السلطنةْ . " [1]

فمثلت الساعة لديه اختزال المواقف والأحداث المهمة ، وتحديد موقفه أزاء جميع المواقف ؛ ليطلق عنان صوته ، كما أنه ينتضي جلد السلاطين ؛ ليجعل منها نعلاً لحفاة السلطنة ؛ إشارة إلى احتجاجه ضد حكام العصر الذي يمثل له اختزال كل أزمنة النضال من أجل التغيير لنيل الحرية والاستقلال من أجل حياة كريمة .

" و في قصيدة (الساعة) التي يقول فيها :

دائرةٌ ضيّقةٌ

و هاربٌ مُدانْ

أمامَه و خلفَهُ يركضُ مُخبِرانْ.

هذا هو الزمانْ . " [2]

نراه هنا يشير إلى أنَّ الساعة ترمز إلى الضيق النفسي الذي يعيشه الشعب تحت ظِلِّ السلطات التي تعمل على قمع جماهيرها .

و في قصيدة (درس) التي يقول فيها الشاعر :

" ساعةُ الرملُ بِلادٌ

لا تُحبُّ الاستلابْ ,

كلَّما أفرغها الوقت من الروحِ

استعادتْ روحها

---

[1] المجموعة الشعرية : 316

[2] المجموعة الشعرية : 317

... بالانقلاب . " [1]

نجد الساعة ترمز إلى صوت الشعب الرافض للوقت الذي يمثل الأنظمة المستبدة ، فكلما أفرغ الوقت البلاد من المقاومة كلما استعادت الساعة روحها مستعدة لإحداث الانقلاب ضد تلك الانظمة .

أما الرقَّاص فقد مثَّل رمزاً للضياع في ظل الأوضاع الراهنة ؛ لما يجده المواطن من عسفٍ وتضييق للحريات في قوله :

" يَخفِقُ (الرَّقاص) صُبحاً ومساءْ

و يظنُّ البسطاءْ

أنَّهُ يرقصُ

لا يا هؤلاءْ .

هوَ مشنوقٌ

و لا يدري بما يفعلُهُ فيه الهواءْ ." [2].

و لعل الشاعر الرافض لممارسة الحكومات يصور أنَّ الوقت هو ليس له أي قيمة تجاه تطلعات الجماهير حتى أنَّ رقاص الساعة شأنه شأن المواطن الذي يعيش الاستلاب كما هو الرقاص المشنوق الذي لايحسب الوقت ، فهو حين يتدلى لم يكن ؛ ليرقص إنَّما هو مشنوق في الهواء ؛ لذلك لم يعد يمثل سعادة الإنسان حينما يستشعر أن وقته ثمين ، بل هو الوقت المضيِّع لكل مقدراته وهذا ما أوحت به القصيدة مع تداعي رمز الرقاص داخل مظلة القصيدة .

أما خيبر فهي رمز لليهود ، فنراه يضمِّن قصيدته (الدولة) بما توحي إليه من سياسة إسرائيل تجاه الفلسطينيين ، إذ نراه يقول :

---

[1] المجموعة الشعرية : 317

[2] المجموعة الشعرية : 317

" قالتْ خيبرْ :

شِبران ... لا تطلب أكثرْ

لا تطمعْ في وطنٍ أكبرْ .

هذا يكفي

الشرطةُ في الشبر الأيمن

و المسلخ في الشبر الأيسرْ

إنَّا أعطيناكَ (المخفر) !

فتَفَرَّغْ لحماسٍ وانحَرْ

إنَّ النحرَ على أيديك سيغدو أيسرْ. " [1]

و لعله هنا يشير إلى القضية الفلسطينية وتغييب اليهود لحقوق الفلسطينيين التي لاتمنحهم سوى التهديد إذا ما طالبوا بوطنٍ يلمهم . وخيبر هنا تمثل الحكومة الاسرائيلية وسياساتها القمعية التي هدفها الاحتلال بالسطوة من أجل تغييب الحقوق ؛ وبالرمز الذي تداعي بما يحمله من دلالات ومنها الوعي الرافض لكل من يسعى ؛ لتغييب الحريات واضطهادها واقتضاء دروب الخلاص للإنسان[2] فاستطاع شاعرنا وهو واحد

من الأصوات التي أدركت القيم الأخلاقية في الالتزام الثوري والإخلاص الروحي لقضايانا العربية المعاصرة ومنها قضية العرب الكبرى فلسطين أن يرمز بخيبر محتجاً على سياسة اليهود وأساليبهم القمعية المقيتة .

---

[1] المجموعة الشعرية : 198

[2] دراسات نقدية في الأدب الحديث : 73

المبحث الثالث

تداعي حركة عين الأفعال المضارعة

تلعب اشتقاقات الأفعال دوراً كبيراً في دلالة الفعل وتساوقها في السياق؛ مما تمنح دلالة النص قوة مضافة إلى المعنى ، ولما كانت اللغة العربية في أساسها شفاهية ، فقد منحت الحركات الإعرابية دلالة توازي دلالة أصوات الألفاظ ولعل ما يتضح لنا من دلالة الحركة هو ما يرد في بنية الفعل المضارع حين تتغير حركة عينه ، وقد ضمَّ العرب الكلمات التي تنتهي بالضمة لمعاني الفاعلية وما يتجسد بها من معاني التفوق والعلو والكبرياء ، بينما الفتحة ما يدل على الارتياح والهدوء والانطلاق ، بينما الكسرة تدل على الضعف والانكسار والهبوط أو الانحناء [1]؛ مما يعد ذلك ظاهرة لافتة في شعر الشعراء العرب حين تكون أشعارهم فطرية ليس فيها من تصنع أو تكلف ، و قد لاحظنا هذه الظاهرة واضحة لدى شعرائنا العرب الكبار الذين مازالت أشعارهم تداعب أذواق المتلقين[2]

و هذا اللون يتجسد في لاوعي الشاعر هي انتقاء الأفعال في ضوء حركة العين منسجمة مع السياق الذي ترد فيه مما يشكل تداعياً مشتركاً للمعاني التي تنوء بها دلالة الحركات في مجرى السياقات المضمونية للنص ، ومنه قول شاعرنا أحمد مطر في قصيدته (يقظة) :

" صباحَ هذا اليوم

أيقظَني منبِّهُ الساعهْ

و قال لي يا ابنَ العرب

قد حانَ وقتُ النوم ." [3]

---

[1] ينظر نباهة العرب وبلاغة القرآن الكريم ، د. رحيم عبد علي الغرباوي :22

[2] ينظر نباهة العرب وبلاغة القرآن الكريم : 30 وما بعدها .

[3] المجموعة الشعرية : 13

فالفعل المضارع (أيقظ) مفتوح العين وهو ينسجم مع ما يرومه الشاعر للتعبير عن روح العربي ؛ ساخراً مما يدهمه من برود تجاه قضاياه الكبرى ، فاليقظة هي لون من ألوان الانفتاح الذي يشير إلى الانطلاق من دون الاهتمام أو التحسر لواقعه .

أما صورة التحمس التي يبديها تجاه الجرذ الذي يرمز به للحاكم الجائر , فهو يأتي بالفعل (يخطب) مضموم العين ؛ ليدل به على الأنفة والسطوة ؛ لينسجم والسياق الذي ورد فيه . إذ يقول :

" رأيتُ جُرذاً

يخطُبُ اليومَ عن النظافهْ

و ينذرُ الأوساخَ بالعِقاب

و حولهُ

يصفِّق الذباب ." [1]

و الذباب هنا يمثِّل الرعية من المتملقين ، فجاء بالفعل يصفِّق مكسور العين دلالة على تبعيتهم وضعفهم أمام أسيادهم . وبهذا يحقق الشاعر رفضه لتلك الترهات التي يسخر من الحاكم ، فينعته بالجرذ و المتملق المنكسر ، فيصفه بالذباب .

أما قصيدة (الجزاء) ، فنرى الشاعر أيضاً يأتي بسياق الاحتجاج على الحاكمين بالفعل (يبصُق) مضموم العين ؛ لإدانتهم على أفعالهم البذيئة تجاه رعيتهم ، إذ يقول :

" في بلاد المشركين

يبصُقُ المرءُ بوجه الحاكمين

فيُجازى بالغرامهْ

---

[1] المجموعة الشعرية : 15

و لدينا نحن أصحاب اليمين

يبصُقُ المرءُ دماً تحتَ أيادي المخبرين

و يرى يومَ القيامه

عندما ينثرُ ماءَ الوردِ والهيلِ

_ بلا إذنٍ_

على وجهِ أمير المؤمنينْ " [1]

فالشرك لايحل معه العدل ؛ مما جعل الشاعر يرفض العيش في بلاد الحكام الذي لم يقيموا دولتهم على أساس الحق ، فالمرء يبصق محتجاً ورافضاً لحكمهم من منطلق قوة وعزيمة تتوهجان في داخله ، ثم يبصق دماً مقابل رفضه لهم واحتجاجه على سوء أفعالهم وإنْ كان البصق نتيجة عنف وقسوة المخبرين إلا أنه لم يتنازل ، فالبصق يبقى بين أيديهم بدلالة التحدي والتحمل لا الاستسلام والضعف ، في الوقتِ ذاته يرى يوم القيامة وهو بحالة انشراح وطمأنينة بدلالة الفتحة على عين الفعل (يرَى) حينما يكون المرء موالياً للسلطان الظالم ، فيأمن عقابه حين يقنط و لا يحرك ساكناً ، بل يرضى بما قسمه وقدَّره له الحاكم , وهي معادلة يضعها الشاعر بين أيدينا بين الفعلين يبصق ويرى ، فالأولى تمثل الرفض ، بينما الفعل يرى فيمثل السكوت طلباً للدعة والأمان .

و في قوله من قصيدته (نحن) :

" نحنُ من أيَّةِ مِلَّة ؟!

ظِلُّنا يقتلعُ الشمسَ

و لا يأمنُ ظِلَّهْ

[1] المجموعة الشعرية : 24

دَمُنا يخترِقُ السيفَ

و لكنَّا أذلَّهْ

بعضُنا يختَصِرُ العالمَ كُلَّهْ

غير أنَّا لو تجمَّعنا جميعاً

لغدونا بجوارِ الصِّفرِ قِلَّهْ . " [1]

نرى الشاعر يعجَبُ أنَّه من ملَّةٍ متحدية قوية ، لكن لا أمان فيها حتى من الظلّ ، فالدماء تخترق السيف ، والاختراق يمثل التحدي ، لكنه تحدٍ منكسر ؛ لأن الدماء تذهب بذلَّة حسب رؤيته ، أما استعماله الفعل الآخر (يختصرِ) مكسور العين ، و على الرغم من دلالته على القدرة ، لكن قرنه بعدم الصمود للنهاية حين تُختَبر الهمم ؛ مما جعله يقنط ويعجب للتناقض الذي يحصل بهكذا حال ، وما جعل من تشابك للمعنى بهذه الحركات هو تداعيها الحر لمنح النص دلالاته المنشودة .

و قصيدة (شخص واقعي) يورد فيها أفعال مضارعة مكسورة العين تبعاً للموقف الذي ينم عن ضعفه وانكساره في وقت تعذيبه ، يقول :

" (إنزع ثوبكَ)

نازِعْ

(ارفع رجليكَ إلى الأعلى)

رافِعْ !

ما أنا صانِعْ ؟

شفَتي لا تقترفُ السبَّ ، فثغري ناصعْ ,

و يدي لاتَرتَكِبُ الضربَ فعندي وازِعْ . " [1]

---

[1] المجموعة الشعرية : 150

فنراه يدعم معنى نصه بالنبر من خلال الحركات الإعرابية ، وبما أنَّه في موضع الانكسار؛ لذلك استعمل تلك الأفعال التي تنسجم وتتداعى في النص معنىً ولفظاً .

و قصيدة (مكاسب ثورية) التي يقول فيها :

" كنتُ أمشِي فوقَ أشواكِ الليالي

صابِراً ، مهما نأى وردُ النهارْ

مؤمِناً بالانتصارْ .

أوقَفَتني ثورةٌ واقِفةٌ فوقَ الطوارْ

حَلَفتْ بالشعبِ أنْ تنقُلني بالطائرةْ ,

ثمَّ من بعدِ سنينٍ أقبَلتْ مُعتَذِرةْ :

لعنةُ اللهِ على النسيانِ ...

ما عندي مَطارْ !

حَلَفتْ بالشعبِ أنْ تُرسِلَ لي سيارةً ،

لكنَّها ما أرسَلتْ بعدَ سنينِ الانتظار. " [2]

نرى هنا نغمة العواطف داخل النص ومقدار ما تلعبه من متغيرات في بنية المفردات داخل سياقاتها تبعاً للجانب النفسي الذي يعيشه الشاعر ، إذ نرى في السطر الأول الفعل (أمشي) مكسور العين كون الشاعر يمشي على الأشواك ، بينما نجد المفارقة حين عاش نشوة الثورة ، أتى بالفعل (تنقُلني) مرفوع العين ، ثم نجده ينكسر حينما لم تصله حتى سيارة الثورة ، وقد مثل ذلك خذلاناً له ؛ ما جعله يأتي بالفعل (تُرسِل) المكسور العين .

---

[1] المجموعة الشعرية : 219

[2] المجموعة الشعرية : 223

و قصيدة (غليان) فعلى الرغم من أنَّ الغليان يشعرنا من أول وهلة أنه يعيش حالة من قوة الإرادة إلا أننا نجد العكس أنه مُضنى ؛ كونه يغلي لكن دون تحقيق غاية تُذكر ، مما أشعرنا بانكساره . يقول :

" ألمَحُ القِدرَ على الموقد تغلِي

و أنا من فرطِ إشفاقي أغلِي

تَنْفُخُ القدرُ بخاراً

هازئاً بي وبنبلي :

قُمْ إلى شُغلِكَ ... واتركني لِشغلي

أنا لا أُوضَعُ فوقَ النارِ إلا

بعدَ أنْ يُوضَعُ في بطني أكلي .

أنا أُرغِي حُرَّةً من حَرِّ ناري

و أنا أُزبِدُ لو طالَ استعاري

و أنا أُطفِئُ بالزفرات غِلّي .

أيُّها الجاهلُ قُلْ لي :

هل لديكم عربيٌّ واحدٌ

يفعَلُ مِثلي ." [1]

فالفعل ألمَح مفتوح العين ، واللمح بالنظر هو توجيه الرؤية باستقامة وفي حالة من الاسترخاء ولم يقل أبصُر بضم العين لما فيها من شدٍّ و قوة من أجل التدقيق في المُبصَر إليه . بينما الفعلان (تغلِي و أغلي) هما مكسورا العين ؛ لما لدلالتهما من

[1] المجموعة الشعرية : 273

عدم تحقيق المأرب ، والفعلان : (ينفُخ ويترُك) كلاهما مرفوعان؛ لما يحملانه من شعور استعلائي لفاعلهما . بينما الفعلان : (أُرغِي و أُزبِد) كلاهما مكسورا العين ، فيمثلان حالة الانكسار حين لايتم تحقيق ما يرمي إليه من قبل الجاهلين الذين يقف بوجوههم من الحكَّام الظالمين .

أمَّا قصيدته التي عنوانها (الحصاد) التي يحتج بها على أمريكا ، يقول فيها :

" فسيبقى واحدُ

أمريكا لو استعبدتِ الناسَ جميعاً

واحدٌ يشقى بهِ المستَعبِدُ

واحدٌ يفنى و لا يُستَعبَدُ

واحدٌ يحمِلُ وجهي ،

و أحاسيسي

و صوتي

و فؤادي

و اسمُهُ من غيرِ شكٍّ : أحمدُ !

...

أمريكا ليست الله

و لو قلتم هي اللهُ

فإنّي مُلحِدُ . " [1]

[1] المجموعة الشعرية : 153

فالشاعر يحاول أنْ يأتي بأفعال تنوعت فيها حركة العين ؛ تبعاً للدلالة المطلوبة داخل السياق ، فأتى بالفعل يشقى مفتوح العين ، ولم يأتِ بمكسورها (يشقِي) ؛ ليمنح الفعل دلالة إطلاق الشقاء للمستعبِد ، كذلك الفعل يفنى أورده مفتوحاً ، ولم يورده مكسوراً (يفنِي) للدلالة نفسها في إطلاق الفناء والشقاء للمحتل فهو في حالة من الارتياح ، بينما جاء بالفعلِ (يحمِل) المكسور العين ؛ ليبين الشقاء الذي دهمه ؛ ليشابه شقاءه شقاء النبي أحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) . مما وفَّر لنا بهذه الأفعال في تداعياتها للمعاني المتشاكلة بما فيها من دلالات تمناها للمحتل الغاشم والمستعمر الآثم للبلاد العربية .

كما نراه يستعمل للمفارقة المزدوجة للفعل (يموت) المرفوع العين فأورده منفياً بحرف النفي (لن) ؛ لتعميق دلالة الاحتجاج ، فأورده عدَّة مرات في قصيدته (لن تموت) ، يقول :

" لا لن تموتَ أمَّتي

مهما اكتوت بالنار والحديد

لا ... لن تموتَ أمَّتي

مهما ادَّعى المخدوع والبليدْ

لا ... لن تموتَ أمَّتي.

كيفَ تموتُ ؟

مَن رأى من قبلِ هذا مَيِّتاً

يموتُ من جديد . " [1]

فقد أورد الفعل (يموت) خمس مرات ثلاث مرات منها منفياً بـ(لن) ومرة واحدة أورده في سياق الاستفهام الانكاري ، ثم يعجب في إيراد (يموت) في السطر الأخير

[1] المجموعة الشعرية : 192

من النص متعجباً بحالة الموت من جديد ، ولعل الفعل (يموت) مضموم العين حين شحنه بدلالة التحدي ، مما منح الفعل في السياق هذه الدلالة ، لذلك اختاره على الرغم من دلالته على التلاشي والانتهاء بينما نرى الشاعر ينفي وعلى الرغم من دلالته إلا أنه وظفه للدلالة على الشموخ والأنفة كمظهر من مظاهر الاحتجاج والرفض .

أما قصيدة (الخاسر) التي يقول فيها :

" عندما يلتَحِمُ العقربُ بالعَقرَبِ

لاتُقتَلُ إلَّا اللحظاتْ

كم أقامَا من حروبٍ ،

ثُمَّ قاما ، دونما جُرحٍ

و جيشُ الوقتِ ماتْ ! " [1]

فالفعل يلتحم هو مكسور العين ، إذ وظفه الشاعر لدلالة الذوبان في الآخر ، ثم صاغ الفعل تُقتَل على المبني للمجهول لدلالة الإطلاق في القتل ، ثم حصره على اللحظات بأسلوب القصر وكسر أفق توقع المتلقي فيه .

و قصيدة (أسباب للأرزاق) التي نرى الشاعر قد عبَّر عن مشاعره وأحاسيسه في سياقات نفسية متعددة ، يقول :

" قبلَ النومِ ... أصُبُّ بِسمعي

شاحِنَتَيْ بترولٍ خامْ ؛

كي أطمِسَ لغوَ الحُكَّامْ

أغسِلُ عينَيَّ بديتولٍ ؛

---

[1] المجموعة الشعرية : 317

كي أمحوَ صُوَرَ الحُكَّامْ

أزرعُ في أنفي قنبلةً

و بِصدري عشرةَ ألغامْ ؛

كي أنسِفَ ريحَ الحُكَّامْ !

استَسلِمُ للنومِ ... ولكنْ

يتسَلَّمُني أرقٌ تامْ

أرثي لغباوةِ تدبيري :

ألغيتُ وسائلَ تخديري ...

كيفَ أنامْ ؟ ! " [1]

نجد الفعلين (أصبُّ وأمحُو) مضمومة العين ؛ لما يستشعرهُ من زهو وهو يرى نفسه منتصراً على الآخر ومن دون جهد في إحداثهما ، بينما الأفعال (أطمِس وأغسِل , وأستسلم ، وأرثي) ؛ لما فيهما من عناء فأتى بهما مكسورين ،أما الفعلان (أزرعُ و يتسَلَّم) فهما مفتوحا العين ، وقد وظفهما في السياق ؛ لتداعياتهما لدلالة الاعتدال .

و قصيدة (المفقود) هي الأخرى تبين رؤيا الشاعر محتجاً على سياسة الترهيب، وهو يطلق عنان أفعاله عبر حركة العين ، مجسداً رؤاه العميقة في انتقاء ألفاظة عبر آهاته وتطلعاته في آن ، فنراه يقول :

" رئيسنا كان صغيراً وانفقدْ ،

فانتابَ أمَّهُ الكمدْ ,

و انطلقتْ ذاهِلةً

[1] المجموعة الشعرية : 305

تبحثُ في كلِّ البلد

قيلَ لها : لاتجزعي

فلن يضِلَّ للأبدْ

إنْ كانَ مفقودُكِ هذا طاهراً

و ابنَ حلالٍ ... فسيلقاهُ أحدْ

صاحَتْ إذنْ : ضاعَ الولدْ . " [1]

فالشاعر في سخريته اللاذعة تجاه الحكام يطلق قصائده معبّراً فيها عن سخطه واحتجاجه ، فنراه في النص يستحضر أم الرئيس الذي يصوّره صغيراً فانفقد مبيناً لوعة أمه وذهولها أزاء الفقد ، موضحاً أنَّها تبحثُ عليه في كل البلاد، ما جعله يجيء بالفعل المضارع المفتوح العين (تبحث) للدلالة على فرط البحث لما للفتحة من دلالة على سعة الأفق والانفتاح في البحث ، و الفعل (يضِل) المنفي المكسور العين الذي يدل على الضلالة والتيه وعلى الرغم من وروده منفياً؛ لدلالة ضياعه وخسرانه لها ، أتى بالفعل (يلقى) مفتوح العين والذي يدل على الطمأنينة والارتياح حين يكون الرئيس ابن حلال . وبهذا الانتقاء للافعال التي توائم الباعث النفسي للشاعر وقدرته على نظم الشعر بطبع وفطرة استطاع أن يتعامل مع اللغة كما ينبغي لها مستحصلاً بلاغتها حتى مع حركات بنى ألفاظها .

---

[1] المجموعة الشعرية : 244

المبحث الرابع

تداعي الصورة الشعرية

ما زال الشعر يفتح نوافذه للقراءة الجمالية ، لكن برؤى تنسجم وتطلعات الشعراء بوصفها تغيير دائم " في نظام الأشياء وفي نظام النظر إليها "[1] . ولعل الصورة " في أبسط معانيها رسم قوامه الكلمات ، إنَّ الوصف والمجاز والتشبيه يمكن أن تخلق صورة ، أو أنَّ الصورة يمكن أنْ تقدَّم إلينا في عبارة أو جملة يغلب عليها الوصف المحض "[2] و هي المساحة التي بإمكانها تشع بالدلالات الإيحائية منها والمباشرة ، فهي " عنصر رئيس في العمل الأدبي ومعيار من معايير المفاضلة بين شاعر وآخر , وأساس للموازنة منذ القدم ، وهي روح القصيدة وقيمتها الفنية المتجددة المبدعة ، والمعيار الفني الجمالي للقصيدة على وجه الخصوص والشعر على وجه العموم " [3] ، و الشاعر الحديث ينطلق كما هو الشاعر القديم في رسم صوره بوصفها " مجموعة العلاقات اللغوية والبيانية والإيحائية القائمة بين اللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون"[4]

و الشاعر أحمد مطر استطاع أن ينسج صوراً معبرة تخدم مغزى قصائدة التي كتبها وتنسجم مع القارئ في أدنى مستوياته الثقافية إلى أعلى مثقف على

الرغم من أنَّ نصوصه ليس فيها غموض يشكل على الفهم أو التأويل ؛ كونه كان يكتبها كلافتتات في الصحف اليومية ؛ ليقرأها جميع القراء على اختلاف مستوياتهم الثقافية.

و الشاعر إذ يعبِّر عن خلجاته تجاه قضايا أمته وبلده يعبِّر ساخطاً مرَّة وساخراً مرَّات ، وهو يحاول أن ينهض بالهمم تجاه التغيير بسلاح الوعي الذي يمثله الشعر ؛

---

[1] زمن الشعر ، أدونيس : 9

[2] الصورة الشعرية ، سي – دي لويس : 21

[3] آدام الفن : 107

[4] الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية بلاغية : 37

فيترجم مشاعره وأحاسيسه بصورٍ متنوعة منها بيانية وحسية ونفسية ، تعكس حبه وأخلاصه الكبير لوطنه الذي تناوشة الاستعمار والتبعية اللذان أفقدا الشعب الكثير من مظاهر الحرية والعيش الرغيد ، فمن قصائده الحسية قصيدة (على باب الشعر) التي يقول فيها :

" حين وقفتُ بباب الشِّعر

فتَّشَ أحلامي الحرَّاس

أمروني أنْ أخلعَ رأسي

و أريقُ بقايا الإحساس ،

ثمَّ دعوني أنْ أكتبَ شعراً للناسْ!

فخلعتُ نِعالي في البابِ

و قلتُ :

خلعتُ الأخطرَ يا حرَّاس

هذا النعل يدوس

و لكن ...

هذا الرأسُ يُداسْ . " [1]

فهو يصور لنا منظراً حيَّاً بين الشاعر ورجال الأمن ، وهم يفتشون في أحلامه التي يحملها الشعر ؛ ما جعلهم يأمرونه بخلع رأسه إشارة إلى أفكاره المضادة للنظام الذين تكلفوا بحراسته فأراقوا إحساسه خلال إهانتهم له ؛ ثم أفرغوا أفكاره المعارِضة لأسيادهم وطلبوا منه أن يكتب أشعاره للناس لا لقضيته الوطنية لكنه خلع نعله الذي يدوس فيه على عقيدتهم جاعلاً من رأسه هو من يداس أي أن حرية الفكر ليس لها

[1] المجموعة الشعرية : 13

فـي البلـد إلا أنْ تهـان وتجتـث . والصـورة تحكـي تـداعيات الشـجب والـرفض للـذل والخضوع .

و لعل الشاعر يحاول أن يقرب الصورة لمتلقيه بأسلوب مبسط وبحوادث واقعية ليست ببعيدة عن الوعي والواقع الذي تعيشه عامة الجماهير .

و التشبيه واحد من الصور التي استثمرها الشاعر للبوح عما يريد إيصاله لمتلقيه تيتداعى معظم مظاهر النص لتنفتح على دلالة الصورة .

و يبدو أنَّ شعر أحمد مطر هي عبارة عن خطابات مباشرة للجماهير لاسيما العراقية ، فمن صوره البيانية ، قوله في قصيدة (اللغز) :

" قالتْ أمِّي مرَّةً

يا أولادي

عندي لغزٌ

مَنْ منكم يكشف لي سِرَّهْ ؟

(تابوتٌ قشرتهُ حلوى

ساكِنُهُ خشبٌ ...

و القِشرهْ

زادٌ للرائحِ والغادي)

قالت أختي : التمرهْ

حضنتها أمِّي ضاحكةً

لكنِّي خَنَقَتني العبْرهْ

قلتُ لها :

بل تلكَ بلادي . " [1]

فنراه بأسلوبه البسيط وبروح إنسانية متواضعة شفيفه و بأمثلة من الواقع لكنَّها ملغَّزة بألغاز شعبية ألفها المجتمع العراقي ، نراه يبث حبه لوطنه ويذكِّر بقضيته وإظهار شجونه تجاهه وخوفه عليه ، وهو يقص لنا حدثاً لأمه حين حزرت لهم لغزاً ، وكانت تعني للوطن الذي صورته على شكل تمره ؛ لشهرته بالتمر؛ ذلك الغذاء الذي يغني عن أغلب الأغذية وأوفرها طعماً ، لكن مطر حاول أن يوسع من دائرة حل اللغز؛ ليومئ بدلالته غير المباشرة من أنه الوطن وبهذا الأسلوب في كسر أفق توقع المتلقي يعزز صورة الوطن الطيب واللذيذ في خيراته لمتلقيه فيحول اللغز من معناه البدائي إلى قضية جماهيرة ومطلبية في التذكير دائماً بإحياء صورة الوطن المستَلب . وكأننا نجد أنَّ في صورة اللغز وحلِّه من لدن الشاعر بأسلوب التشبيه التمثيلي مازجاً بين صورتين ، هما التمرة والوطن .

و تداعي الصورة في النص يكون أكثر انفتاحاً على أجزائه الأخرى التي وردت سلفاً لما للصورة من لم شتات المعنى وصهره تحت بوتقتها لتجعل الجميع يتداعى لها ويزيد من دلالتها المعنوية ، فالصورة هي ما يتمثل بها مضمون النص وتحقق فرضاً مهماً من فروض مطلبه .

و قصيدته (الثور والحظيرة) التي رسمها الشاعر لنا بمشهد تصويري ، ينمُّ عن قدرة مخيلته في تقريب المثال ؛ ليجعل متلقيه يقفز إلى المعنى الخفي الذي يرومه ، إذ يقول :

" الثورُ فرَّ من حظيرة البقر

الثورُ فرْ ،

فثارتْ العجولُ في الحظيره .

تبكي فرارَ قائد المسيرهْ

---

[1] المجموعة الشعرية : 16

و شُكِّلتْ على الأثر

محكمةٌ ومؤتَمر

فقائلٌ قال : قضاءٌ وقدرْ

و قائلٌ : لقد كَفرْ

و قائلٌ إلى سَقَرْ .

و بعضهم قال امنحوهُ فرصةً أخيرهْ

لعلَّه يعودُ للحظيره .

و في ختام المؤتمر

تقاسموا مَربِطَهُ ... وجمَّدوا شعيرهْ

...

و بعدَ عامٍ ، وَقَعتْ حادِثةٌ مثيرهْ

لم يَرجِع الثورُ

و لكن

ذَهَبتْ وراءهُ الحظيره . " [1]

فهو بأسلوبٍ لاذع حاول أن يرسل رسالته للمتلقين ، مصوراً لنا كيف أنَّ الثور فرَّ من الحظيرة ، فثارت العجول فيها ، إشارة إلى مصطلح المسيرة للأحزاب الحاكمة وشعاراتها في مسيرة البلاد نحو التقدم والتطور وحل القضايا الكبرى ، لكن وصف القائد بالثور ليومئ إلى الرعونة التي يتمتع بها كما هو الثور في التصرف من دون تفكير أو وعي ، كما أنه ينتقد في هذا التصوير الفكر الذي يحمله تبع هذا القائد من

[1] المجموعة الشعرية : 21

أنه تقليد أعمى ، ما جعل الحظيرة جميعها تتبعه على الرغم من فراره ، ذلك ما يمثل من خلال هذا التصوير أنَّ الحكامَ في بلداننا مقادون ، ولم يكونوا متحررين من ربقة أسيادهم ؛ لأنهم لا يعملون بفكرهم المستقل إنَّما بأيدلوجية مصاغة لهم على مقاسات معيَّنة ، وبهذا نرى الشاعر قد حقق فكرته في رسم صورة مبسطة تداعب مخيلة القارئ ، لكنها تنم عن فكرة مبطنة يمكن لأدنى وعي لواقع الحياة السياسية يكون قد اتضحت مرامي الشاعر خلال هذه الصورة الحسية القريبة على الأذهان .

و في قصيدته (مقتل شاعرين) يصور معاناة الشعراء في بلدٍ يكمُّ الأفواه ويجعلها تلوذ بالخوف من شدة القسوة والعنف والإيذاء ، فلا يسلم داع للحرية ومطالباً بالحقوق من ظلم السلطات ، فنراه يقول :

" في أوَّل الليل

رأيتُ شاعراً يناضلْ

يرقعُ بالعروضِ نعلَ الوالي

رأيتُهُ مُختَنِقاً

في عَرَقِ النضالِ

مستفعلن مستفعلن مفاعِلْ .

...

في آخِرِ الليلِ

رأيتُ شاعراً يرسفُ بالسلاسلِ

مُختَنِقاً بينَ جنودِ الوالي

رأيتُ ذلَّ ماسةٍ

في وسَطِ المزابلِ

مستفعِلن ... مفاعلْ .

...

عند الضحى تحوَّلَ المُناضِلْ

كعباً لنعلِ الوالي

و برعمَ الوردِ على السلاسلْ . " [1]

فالشاعر يسرد لنا مصوراً حالين الأول هو الشاعر المدَّاح للوالي مشيراً بذلك إلى نضاله في رقع نعل الوالي وهي إشارة إلى التملق الذي انماز به الشاعر ، ثم ينتقل إلى الآخر الذي هو معارض للوالي لكن العنف وذل القيود جعله كالماسة المُذلَّة في وسط المزابل الذي هو ليس مكاناً ملائماً لها في إشارة إلى ضحالة الجنود وخسة تعاملهم معه كونه معارضاً للسلطةِ ... إلا أنَّ الضحى قد كشف عن عورتهم في إرغامهم له على أن يكون تابعاً للوالي (الحاكم) لكن السلاسل تظل تحمل رأي الشاعر والتزامه بعقيدته ، لأن الشاعر إذا ما أجبر على الكلام في غير موضعه بالقوة فذلك لايغير من حقيقة رأيه ومبدئه شيئاً .

و لعل صورَهُ تصاغ بقصص مسترسلة عبر بعض الصياغات المجازية ؛ بوصفها لوناً أدبياً ، كما يمنح الصورة مساحة مكانية وزمانية ؛ كي تصل أفكاره عبر تلك الصور ، ومنها قوله :

" كان يحبو بين أنقاض المنازلْ

فارغ العينين ، مقطوع الأناملْ

غارقاً وسطَ دم القتلى

و أحزان اليتامى والثكالى والأرامل

---

[1] المجموعة الشعرية : 33

فمهُ يصرخُ : باطلْ

دمُهُ يصرخُ : باطِلْ

صمتُهُ يصرخُ : باطلْ

قلتُ : لن تُجدي عطورُ الورد

في هذي المزابلْ

نحنُ في التابوت

ما بين محيطٍ وخليج

نحنُ في غابةِ موتٍ وضجيجْ

...

وهذا القصف نازل

لاتحاول

إنَّ صوت الحق باطلْ

سيدي القانون ,

هذي غابةُ

إنْ شِئتَ أنْ تجتازَها

... فاحمل قنابلْ . " [1]

و يبدو أنَّ الشاعر حين يرسم صوره عبر قصص قريبة من الواقع بوصف الصورة هي " مادة القصيدة وقيمتها الجمالية ، وهي انعكاس متقن للحقيقة الخارجية

[1] المجموعة الشعرية : 85-86

، إنَّ كل صورة لذلك هي إلى حدٍّ كبير ما مجازية ، أنَّها تتطلَّع من مرآة لا تلاحظ الحياة فيها وجهها بقدر ما تلاحظ بعض الحقيقة حول وجهها " [1]، فالشاعر كثيراً ما يقرِّب صورة الواقع بأساليب مجازية تمنحها سر إبداعه واستشفافه من خلالها لما يبغي إيصاله كرسالة خطابية غير مباشرة لمتلقيه ، إذ نراه يصور شخصاً يحبو تحت أنقاض المنازل ، وكأنَّ المنزل قد تفجر على ساكنيه ، وكل ما فيه يصرخ باطل : فمه ، دمه ، صمته ، ويبدو أنَّه يشير بالمنزل إلى الوطن المُهدَّم , ولعل الشاعر دائماً يصور الجزء ؛ ليشير به إلى الكل ، فالمنزل هو جزء من الوطن. ثم ينتقل إلى صورة أخرى للوطن ، وهي صورة التابوت ، والتابوت يمثل رمز الموت فقد عدَّه الوطن العربي برمته (ما بين محيط وخليج) مصوراً الشعوب العربية ما بين الموت والتقتيل والضجيج من أثر القصف وهذا القصف ليس إلا عنف السلطات تجاه رعاياها ، مخاطباً القانون الذي يتمثل بالشعب ؛ كونه مصدر السلطات مناشداً إيَّاهم بلفظة (القنابل) أنْ يحملوا السلاح ؛ كي يجتازوا تلك المرحلة من طريق التغيير والخلاص من الاستبداد والتغييب .

أما صوره في الجمل ، فهو يسعى بمتراكماتها حتى يخرج بمعنى يبغيه ، ومن ذلك في قصيدته (طوارئ) التي يقول فيها :

" – طائرةٌ تمشِّط الأجواءْ

بارجةٌ تكشِطُ جلدَ الماءْ

زوارقٌ حربيَّةٌ

غصَّتْ بها الأرجاءْ

ماذا جرى ؟

- طوارئٌ ... كما ترى

---

[1] آدام الفن :107 – 108

العاملون انتفضوا

... وأغلقوا الميناءْ ." [1]

نجده يستعمل صوراً متعددة منها الطائرة ، وهي تمشط الأجواء ، والبارجة التي تكشط جلد الماء ، والزوارق التي غصت بها الأرجاء وجميعها وضحت حالة الإنذار الذي عجَّ بالبلاد ، بينما العاملون انتفضوا وأغلقوا الميناء ، فشكل بذلك لوحة عن انتفاضة الجماهير ومنهم العمال وبهذا حقق الشاعر تصويراً لهذا التكثيف الأمني نتيجة لرفض الجماهير واحتجاجهم على السلطة ودعوته للإصلاح .

و لعل ما ينماز به الشاعر تصويره الشعري الحي من طريق خياله ، فكأنه ينتج فيلماً سينمائياً ؛ ليقرب أفكاره للمتلقي بإقناع سهل مسترسل مشفوعاً بالوضع السياسي الذي يعرفه القاصي والداني للأنظمة العربية ؛ مما جعله يزداد شعبية وقرباً على الجماهير التي تحتاج لمن يعاضد حقوقها ولاسيما أصحاب الكلمة من المثقفين ومنهم الشعراء .إذ نرى الشاعر أحمد مطر يقول في قصيدته الحفلة :

" في باحة قصر السلطان

راقصةٌ كغصين البان

يفتلُها إيقاع الطبلة

(تِكْ تِكْ ... تِك تِكْ)

و السلطانُ التنبل

بين الحين وبين الحين

يراودُ جاريةً عن قُبلةْ

و يراودها ...

---

[1] المجموعة الشعرية : 319

(ليسَ الآن)

و يراودها ... (ليس الـ ... آن)

و يُرا ... وِدُها

فإذا انتصفَ الليلُ ، تراختْ

و طواها بينَ الأحضان !

و الحرَّاس المنتشرون بكلِّ مكانْ

سدُّوا ثغرات الحيطان

و أحاطوا جدَّاً بالحفلةِ ؛

كي لايخدِشَ إرهابيٌّ

أمنَ الدولةْ . " [1]

فهو يصور حياة السلاطين بين رهيفات الخصر من الراقصات وهنَّ أحضانهم ، بينما الحراس منتشرون يحمون أسيادهم من الإرهابيين وهنا تكمن المفارقة التي أحدثتها الصورة بين حماية أمن البلاد وأمن السلطان حين يفسد ، ويعدُّ المواطن المستلبة حقوقه هو الإرهابي . وبهذا التجسيد الدرامي للتصوير الشعري لدى الشاعر إذ يبدع في نقل المزاوجة بين الصورة الصوتية واللفظية؛ كونه مولعاً بالمحاكاة الصوتية ، فيختار ألفاظاً تدل صوتياً على معناها ، كما أنَّ تكرار بعض الألفاظ يحدث لنا تأكيداً صورياً مما يجعلهما تبرقان لنا رسائل واضحة محتجاً بها على السلطة ، وهي تتبنى الفسق والاستعباد بعيداً عن تحقيق مطالب الجماهير في نيل حرياته واستقرار أمنه .

---

[1] المجموعة الشعرية : 320 – 321

الفصل الثالث

الرؤى وأنماطها

المبحث الأول : الرؤيا الاجتماعية

المبحث الثاني : الرؤيا السياسيـة

المبحث الثالث : الرؤيا الوجوديـة

المبحث الرابع : الرؤيا النفســـية

شكَّل مفهوم الرؤيا لدى النقاد أراء وتعريفات متعددة بصفتها قفزة على المفاهيم السائدة كما يرى أدونيس [1]، وهي في مفاهيمها لدى المتصوفة الوسيلة التي توصلنا للمعرفة الغيبية وسبيلاً للكشف العرفاني فهي تجاوز للواقع المحسوس ومقولات العقل والمنطق لولوج ما وراء الواقع[2] ، ويبدو أنَّ د. جابر عصفور يرى أن رؤى العالم تتحدد بثلاث دوائر من الدلالة منها : الحسية وهي التي اقتصرت على الرؤيا البصرية أو ما يقع في مداه ، والدلالة المجازية : التي تنتقل فيها الدلالة من الإبصار الحسي إلى النظر العقلي ، وهي التي تدخل في الفنون الإبداعية والتي تعتمد الخيال ، أما الدلالة الثالثة : فهي انتقال الرؤى من المستوى المجازي إلى المستوى الروحي , ومن الوعي إلى اللاوعي ؛ تلبيةً للرغبات المقموعة [3] ، ولعل "الرؤيا الفنية – والشعرية بخاصة تتطلب شبكة واسعة من الرؤى ، فقد يتشكل في ذهن الفنان الشاعر مزيج من فكر الفيلسوف ، وفرضيات العالم ، وعن طريق الحدس يمكنه بلوغ العمل الفني " [4]

و هناك من الشعر تتداخل فيه الرؤيتين البصرية والبصيرية ، فالبصرية على رأي الدكتور علي جعفر العلاق على اعتبارها فعل حقيقي " فإنها تعني فعلاً جسدياً ، لايلامس غير السطح من المرئيات (أي شكله ووجوده الخارجي المادي) و لا يصل إلى مكنونها الداخلي وما في صمتها البارد من دلالة وتوحش" [5] وهذه نجدها في لاسيما الشعر الذي يحاكي الواقع بصورة مباشرة ، أما الرؤيا البصيرية التي عرَّفها أدونيس التي " لايعود الرائي ينظر إلى العالم بعين الحس ، وإنما ينظر إليه بعين الخيال أو بالعين الثالثة ، أو بعين القلب " [6]

و لعل شاعرنا أحمد مطر على الرغم من بساطة أسلوبه وكتاباته الأفقية إلا أنَّه حقق إلى جانب الرؤية البصرية رؤى حدسية متنوعة منها اجتماعية وسياسية و وجودية ونفسية ، بوصف الرؤيا لديه أخذت جميع مساراتها الدلالية منها الحسية والمجازية والباطنية .

---

[1] ينظر : زمن الشعر ، أدونيس : 9

[2] ينظر الرؤى الفلسفية في الشعر العراقي الحر ، د. بشير عريعر: 23

[3] ينظر : رؤى العالم عن تأسيس الحداثة العربية في الشعر ، جابر عصفور : 24

[4] الرؤيا والتشكيل في الشعر العربي المعاصر : 32

[5] في حداثة النص الشعري : 16

[6] الثابت والمتحول , أدونيس : 3 / 168

المبحث الأول

الرؤيا الاجتماعية

مثلت الرؤيا الاجتماعية ديدن نصوص الشاعر الشعرية ؛ لما للجانب السياسي من تأثير كبير على فكر الشاعر ومحاكاته للواقع الذي أضرَّت به السياسة ؛ مما جعل نصوصه تتجه إلى معالجة قضايا المجتمع العربي والعراقي وتنبيههم على ما نيل منهم من حقوق وضياع للحريات ؛ إذ أنَّ الشعر " قيمة اجتماعية ، والشاعر ملزم فيه بضرورة تمثل قيم الجماعة والتعبير عنها سواء أكانت هذه القيم قد تمت صياغتها وقوننتها أم لم تتم بعد وليس ثمة شاعر يكتب لنفسه أو يود ذلك في سريرته ، إذ ليس له أنْ يبتر نفسه من جسم الجماعة التي يعيش بين ظهرانيها "[1] ، وأحمد مطر هو واحد من الشعراء الذين أفاض بشعره لمعالجة الواقع الاجتماعي خلال قصائده التي أدانت الواقع المزري ووقوفه على أسباب المعاناة التي أزرت بالشارع العراقي ، فجاءت مجموعته تحمل رؤاه عن الواقع الاجتماعي الذي يعيشه هو وأبناء جيله ، كما أنه حين كتب كأنه لايتوقف على مايحدث إنما كان يقرأ الواقع المستقبلي للبلدان لعربيه الذي تغولت فيه التبعية التي نتج عنها الاضطهاد والقهر والحرمان والتجويع .

يقول أحمد مطر في قصيدته (قمم باردة)

" قمَّةٌ أخرى

و في الوادي جياعٌ تتنهدْ

قمَّةٌ أخرى ...

و قعر السهل أجردْ

قمَّةٌ أعلى ... و أبردْ

---

[1] الوعي الشعري ومسار حركة المجتمعات العربية المعاصرة ، محمد مبارك : 65

يا مُحمَّد

يا مُحمَّد

يا مُحمَّد

ابعث الدفـءَ

فقد كاد لنا عُزَّى

و كدنا نتجمَّد . " [1]

نرى الشاعر وهو يتحدث عن لسان الجماهير يصف معاناتهم ، وهم يعيشون حالة القحط والجوع ، بينما السهل أجرد ليس فيه ما يدفع عنهم قحطهم ، وحتى المناطق الجبلية ويقصد إقليم كردستان العراق ، فالوضع أكثر مأساة ، ما جعل الشاعر يطلق صيحاته مستغيثاً بالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)عن الضيم الذي دهم الناس ، فجعلهم فقراء بسبب البطالة ، والتقاعس اللامسؤول من لدن الحكومات تجاه مواطنيها ، فعمَّ ذلك جميع مدن البلاد .

و من سوء ظن الجماهير بالحكام ، نراه يقول في قصيدته (الله أعلم) :

" أيُّها الناس اتَّقوا نارَ جهنَّم

لا تيئسوا الظنَّ بالوالي

فسوء الظنِّ بالشرعِ محرَّمْ

أيُّها الناس أنا في كلِّ أحوالي

سعيدٌ ومُنعَّمْ

ليس لي في الدربِ سفَّاحٌ

---

[1] المجموعة الشعرية : 22

و لا في البيتِ مأتمْ

و دمي غير مُباحٍ ، و فمي غير مُكمَّمْ

لا تُشيعوا أنَّ للوالي يداً في حبسِ صوتي

بل أنا يا ناس ... أبْكم .

...

قلتُ ما أعلمهُ عن حالتي

... و اللهُ أعلم . " [1]

ويبدو أنَّ الشاعر يتحدث عن قضية مهمة هي قضية تكميم الأصوات وأن المجتمع يخفي حقيقة الحاكمين دون أن يظهروها ؛ خوفاً من جواسيس السلطات على الرغم من العسف الذي يعم البلاد ، فالمجتمع في رؤيته لايقوى على المواجهة وقول الكلمة الحقَّة ؛ لأنَّ الحريات مقيدة بقوة السلاح .

و الشاعر تبلور لديه الحس الواقعي ؛ كونه ابن هذا البلد الذي عاش في ذراريه وعانى مثلما عانى ابناؤه مستشعراً حالهم ، وما يلمُّ بهم من حيف إزاء الهيمنة الاستعمارية و السلطوية التي أودت بطموحات الكثير من أبنائه . يقول في قصيدته (جاهلية) :

" في زمان الجاهلية

كانت الأصنام من تمرٍ

و إنْ جاعَ العبادْ ،

فلهم من جثَّة المعبود زادْ

و بعصر المدنية

---

[1] المجموعة الشعرية : 25

صارتْ الأصنام

تأتينا من الغرب

و لكن بثيابٍ عربيهْ !

تعبدُ اللهَ على حرفٍ ،

و تدعو للجهاد ،

و تسبُّ الوثنيهْ

وإذا ما استفحلتْ

تأكلُ خيرات البلاد

وتُحلّي بالعباد!

...

رحِمَ اللهُ زمانَ الجاهليَّهْ ." [1]

فهو يقارن بين مجتمعين : المجتمع الجاهلي الذي كان حين يجوع يأكل آلهته المصنوعة من تمر ، بينما اليوم يرى أصنامهم تأتي من الغرب ويقصد الحكام التابعين لها ، فهم يعبدون أربابهم عبادة ضالة ، بيد أنهم يدعون للجهاد ويسبون الوثنية كما أنهم حين يزدادون سطوة هم من يأكل خيرات شعوبهم ، فيرى الشاعر الفرق الكبير بين وثنيي الجاهلية ووثنيي الحاضر .

و الجانب العقدي في نظر الشاعر بات مغلوباً على أمره ، فلا يرى له في المجتمع العربي أي جدوى منه ، لاسيما رد الظلم (إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ كَلِمَةَ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ) ، فنرى شاعرنا يتهكم على ما يراه من صور الإذلال في المجتمع محتجاً على كثير من هذه المواقف ، بينما يجعل من الشيطان هو الذي يسود البلاد؛

[1] المجموعة الشعرية : 39

لقلة مناصري الإيمان ، وكأنه يقرأ المجتمع " بذهنية سوسيولوجية متفتحة باعتباره مرآة المجتمع التي تعكس ما يسود فيه من قيم وتقاليد تتحكم في فكر وسلوك أفراده وما يزخر به من تناقضات ومفارقات" [1]، إذ نرى الشاعر يبين في رؤياه الشعرية ذلك الحال الذي بات لا يطاق من أن تكون سمة الخنوع متفشية لدى الناس والسلطات ، يقول في قصيدته (ورشة إبليس) :

" وجوهكم أقنعة المرونهْ

طلاؤها حصافةٌ

وَ قَعرُها رعونهْ

صفَّقَ إبليسُ لها مندهِشاً

و باعَكم فنونهْ

وقالَ : إنّي راحلٌ

ما عادَ لي دورٌ هنا

دوري أنا

أنتم ستلعبونهْ !

...

فكلما نامَ العدوُّ بينكم

رحتُم تقرّعونهْ . " [2]

فهو يرى جميع طبقات المجتمع بما فيهم الحكَّام هم من يستنهض العدو بضعفهم وانكسار شكيمتهم تجاهه بعدما وضع إبليس بين ظهرانيهم شيطنته مستولياً

---

[1] رحلة الفكر الاجتماعي ، أ.د. قيس النوري : 175

[2] المجموعة الشعرية : 32

على عقولهم وولى راحلاً عنهم ، وحين تضيق بالحكام السبل يستنهضون صلاح الدين الأيوبي الذي يمثل رمزاً للبطولة والإقدام ، يقول :

" و غاية الخشونهْ

أنْ تندبوا :

قُم يا صلاحَ الدين قُمْ

حتى اشتكى مرقدُهُ من حولِهِ العفونهْ

كم مرَّةٍ في العامِ توقظونه

كم مرَّةٍ على جدار الجبنِ تجلدونهْ .

أيطلبُ الأحياء من أمواتهم معونهْ ؟ !

دَعوا صلاح الدين في ترابهِ

و احترِموا سكونهْ ؛

لأنَّه لو قامَ حقاً بينكم

فسوفَ تقتلونهْ . " [1]

فالشاعر يطالب الحكومات أن لايستبد بها الضعف ، ولا يستهويها الغدر بالمناضلين والأحرار ، وكأنَّ السمة التي تلفعوا بها صارت سمة اجتماعية مثلما هي العادات والتقاليد ؛ لفرط ما تشبث بواقعها الكثير ؛ لاستحصال الأمان مقابل الذل والخنوع الذي تغشاهم .

و إجرام السلطة صار واحداً من مظاهر الترويع المجتمعي والعنف والتقتيل من خلال المخبرين السريين الذين صاروا عين الحكام في كلِّ مكان بينما المواطن يعيش بين تلك الجموع الفتاكة ، وقد رصد الشاعر هذه الظاهرة التي أصبحت حالة

[1] المجموعة الشعرية : 32

مجتمعية ، لكنها مقرفة ومؤلمة إلى حد بعيد ، يقول الشاعر في قصيدته (لأقسم بهذا البلد) :

" و الطور

و المخبر المسعورْ

و الحبل ، و الساطورْ

و نحرنا المشنوق و المنحور

...

الموتُ في بلادنا

خلاصةٌ للموت في مختلف العصورْ

لم يبقَ منَّا أحدٌ

جميعنا موتى بلا نشورْ ." [1]

نرى الشاعر يتناص مع القرآن في عنوان القصيدة لسورة البلد ، ثم سورة التين بلفظة (الطور) ؛ ليجعل من موضوعه أعلى درجة من الغضب ؛ لما في الصياغتين من قسم صدر من الله سبحانه وتعالى ، وهو يروي لنا حال البلد وما حلَّ به من ذعر وترهيب وموت جراء المخبرين , فضلاً عن مظاهر الزور والغدر ، يقول :

" و الزورْ

و الحاكمين العوُر

و شعبنا المغدورْ

...

[1] المجموعة الشعرية : 126

و السور

و الوطن المأسورْ

و الدمِ ، و الديجورْ

إنَّ المنايا في البرايا دائرهْ

تركضُ من مجزرةٍ لمجزرهْ

تورَّمتْ خاصرة التراب

من ترابنا المقبورْ . " [1]

فهو يصف حال الحياة المجتمعية في العراق إبان الأنظمة التي حكمت العراق بالنار والحديد ، فصار المجتمع في فكي كماشة وهما المخبرون والحكام الذين بلغت سطوتهم الترويع والتقتيل .

كما أننا لايمكننا أن نلزم الأديب لاسيما الشاعر في رؤيته التي تمثل وجهة نظره ، لأنَّه يحاكي الواقع وينقل التجربة بإحساسه ؛ مما جعلت كتاباته ذات مصداقية لدى جمهوره ؛ كونه يعبِّر عن معاناتهم وقسوة الضالعين بالسلطة تجاههم ، فلم نجد في أشعاره ما بني على الأمل لبناء مجتمع آمنٍ ومطمئن بوصفه يكتب عن الحياة اليومية محتجاً بها على السلطات الحاكمة في جميع البلاد العربية ؛ لتبعيتها وقسوتها السلطوية تجاه الجماهير .

و من قصائده التي يبين فيها حال العربي في المهجر واصفاً المذلة في بلاده ، بينما بلاد المهجر أقسى وأمرّ ، إذ نجد في قصيدته أحزان (أصيلة) تلك المغربية الشابة التي تمارس البغاء في لندن ، يقول :

" النُّزلُ يغرقُ في القتامِ ...

---

[1] المجموعة الشعرية : 126-127

فلندنٌ ليلٌ

و موج الليل يغرق لندنا

ليلان يقتحمان في أعماقِنا

ليلاً طويلاً مُزمِنا

...

جلست تغالبُ نومها ... شمسٌ

و تنضحُ بالسنا من حولنا

و تَمُدُّنا

بصراخِ أهدابٍ

يترجمُ صمتها بسعارنا

...

- من أيّ قطرٍ
- مغربية
- من أنتِ
- إنّي آدميهْ
- أدري ...

فلا ترضى البهائم أنْ تكون كجنسِنا

أو أنْ تعيشَ حياتنا

أو أنْ تفكِّر مرَّةً

في الانحطاط لمستوى حكَّامنا .

...

- أختاه

ماذا تفعلينَ إذن هنا ؟ !

- لاشيء ... أرتكبُ الزنى !
- أتفارقينَ بلادنا

لِتهدمي شرفَ العروبةِ

في بلادِ عدوِّنا؟!

- إنّي أهدِّمهُ ؛

لأبني في بلادي من حجارةِ عفَّتي

بيتاً لنا .

و بكتْ فسال الكحلُ في الدمعات ... ليلاً رابعا. " [1]

ويبدو أنَّ الليل يمثل ظلمة النفوس واكتوائها ، فما يعانيه الإنسان من ظلم يهاجر؛ لكنه يواجه أقسى قدر في بلاد الغربة ، فهو يشير إلى "اضطهاد القانون الأوربي للغرباء ومعاملتهم معاملة تختلف عن سكان أوربا الأصليين ، أي أنَّ تلك الحضارة لم تكن إنسانية في نظرتها ، وقد حاولت اضطهاد الشعوب "[2] ؛ مما أيقظ مشاعر الشاعر مطر وتمسكه ببلاده العربية ، نراه يقص لنا غربته التي مثلت هروبه من بلد الأحزان ؛ ليدخل معترك الغربة النفسية ؛ نتيجة لذلك ، بينما النساء لاحول ولا قوة لهن فهو يمثلهن بالفتاة المغربية التي تزني في سبيل بناء بيت لها في وطنها الذي كانت تعيش به بلا وطن ؛ محتجاً على فعلتها التي هدمت فيها عفَّة العروبة في بلاد أعدائها.

---

[1] المجموعة الشعرية : 134- 135

[2] أدام الفن دراسات في الأدب العربي الحديث : 154

و لعل الاحتجاج يتجسد في كثير من الأمور التي يرفضها المجتمع ولا يتقبلها ، ومنها ما يشاع على السلاطين في عوالمهم الخاصة في القصور و(الفلل) مع الجواري بيد أنه ترك رعيته تحت خط الفقر وعلى شواطئ المجابهة وهو استهتار بشريعة السماء التي قسمت الأرزاق بالتساوي ، فيصف مجتمع الحكام بأنهم غارقون في الفسق والفجور .

و قصيدته (لفت نظر) تمثل احتجاجه ورفضه لعالمهم الحيواني المبتذل :

" السلطان

لايمكن أنْ يفهم طوعاً

أنك مجروح الوجدانْ

بل لايفهم ما الوجدانْ !

السلطان مصاب دوماً

بالنسيان وبالنسوانْ.

مشغولٌ حتى فَخِذيه

لا فرصةَ للفهمِ لديه

و لكي يفهم ." [1]

و هذا الاحتجاج على مجتمع الزعماء ، وهم الموسومون بالشبهات ، وذلك لولعهم بالنساء الذي يناقض الشعور بالرعية والاهتمام بها ؛ للفساد المتغول في نفوسهم كمجتمع قيادي لايهمه غير جوعه وشبقه ، ويلاحظ " دور كايم أنَّ المجتمعات الحديثة سريعة التحول ... بحيث أن موقع الفرد أصبح هو الآخر معرَّضاً للتغير أو التحول المستمر ... فالمجتمع العربي الحديث ككل عاجز عن أنْ يحدد

[1] المجموعة الشعرية : 158

للفرد دوره الذي ينبغي عليه أنْ يؤديه "[1]؛ مما حدا به أن يعيش في متاهة الحرمان إزاء هذا الاستلاب واحتكار المقدرات لفئة قليلة من أفراد المجتمع ممن يمثلون الحكومات .

و قصيدة (من الأدب المقارَن) هي الأخرى تفضح فساد الحكام ومدى بلوغهم الفحس والاستهتار بقيامهم للموبقات ، نراه يقول :

" في (فيفي) أربع خصْلاتٍ

تجعلُ حاكِمَنا قبقابا :

(فيفي) راقصةٌ مُبدِعَةٌ

تستَثمِرُ جسماً خلَّابا

يهتزُّ ، فيمطرنا عجباً

و يميلُ ، فيحصدُ إعجابا

أبردُ ما فيهِ حرارتهُ

أثقل مافيهِ رهافتهُ

أقبَحُهُ ما لذَّ وطابا ! " [2]

يؤكد على هذه الظاهرة الاجتماعية المقيتة لدى الحاكمين وأذنابهم بينما أبناء الشعب يعيشون ذواتاً خارج نطاق الاهتمام والرعاية .

و يبقى أحمد مطر في نصوصه الشعرية يحتج على مجتمعات الحاكمين ؛ لتفريطهم بمقدرات الشعوب والاهتمام بموائدهم المدنسة ، إذ أثْروا من خيرات البلدان

---

[1] الفكر والمعاصرة ، محيي الدين إسماعيل : 67

[2] المجموعة الشعرية : 261

التي يحكمونها ، بيد أنَّهم لايحبذون إلا أنفسهم وصنع عوالمهم على مقاساتهم المليئة بالدنس والفحشاء .

و من حياة المناضلين الذين يموتون رهن الاعتقال ، بينما عائلاتهم تعيش المطاردة السياسية من خلال التقارير التي يرفعها المخبرون ضدهم ، يقول الشاعر مستاءً للظلم الذي يفتك بالناس من خسة السلطات في قصيدته (الناس للناس) :

" أمّ عبد الله ثاكلْ

مات عبد الله في السجنِ

و ما أدخَلهُ فيه سوى تقرير عادلْ

عادلٌ خلَّفَ مشروعَ يتيمٍ

فلقد أُعدِمَ ، و الزوجةُ حاملْ

جاء في تقريرِ فاضل

أنَّهُ أغفلَ في تقريرهِ بعض المسائلْ

فاضل اغتيلَ

و لم يتركِ سوى أرملةٍ ماتت

...

بنتُ عبد الله في التقرير قالتْ :

أنَّها قد سَمِعتْ في بيتها صوت بلابلْ

بنت عبد الله لن تحيا طويلاً

إنَّها جاسوسةٌ طبعاً ...

و جاري فوضويٌّ

و شقيقي خائنٌ

و ابني مثيرٌ للقلاقلْ

سيموتون قريباً

حالما أُرسلُ تقريري للحزب المناضل . " [1] .

ويبدو أنَّ الإقصاء والموت والتقتيل هي صرخات احتجاج وتمرد على المهانة والمصير المجهول ، ولعل الموت يمثل وقفات تأمل في مجتمع دموي اسمه حزب السلطة الذي لايتعامل مع المواطنين بالديمقراطية التي يدعو بشعاراته لها ، بل للتغييب ؛ مما جعل الشاعر ينقل لنا مأساة ضحاياهم بتهمٍ جميعها تؤدي إلى الموت.

أما قصيدة (الكارثة) فهي تمثل الجوع والجهل الذي سببه سوء السياسات التي تقود البلدان العربية ، فنراه محتجاً على الواقع المزري الذي يعم البلاد :

" حالنا رثٌّ إلى حدٍّ له ترثي الرثاثهْ .

بيتنا المبنيّ هدماً

أحرقَ الباني أثاثهْ

حقلنا الخالي من التربة والفلَّاح

مكتَظٌّ بثيران الحراثهْ !

بذرُنا الفارغُ مُلقى في فراغٍ

خوفَ أنْ تملاهُ بالقمحِ آفات الوراثهْ

هُزِلتْ أذواقنا من شدَّة الجوعِ

و لم تَسْمُن بها إلا الغثاثه. " [1]

---

[1] المجموعة الشعرية : 186

ينقل لنا الشاعر الواقع الاجتماعي وما فيه من سوء تدبير الحكومات . فالبلد فارغ من التربة والفلاح إذ لم تستدام التربة الزراعية ، ولا هي وفرت للفلاح ما يحتاجه لإصلاحها ، لكنه مكتظ بثيران الحراثة و يقصد بذلك أن المجتمع مليء بالرعية التي لم تحرك ساكنا سوى التصفيق للحكومات ، بينما آفات الوراثة يعني بها المشاكل التي تتفرع من الأعراف ومنها النعرات القبلية والطائفية ، فليس فيها إلا الغثاثة بوصفها مصدراً من مصادر الجهل والتخلف .

و في حديثة عن واقع المستَعمِر والمُستَعمر اللذين يمثلان بنية المجتمع العربي يقول :

" رجلٌ أبيض

يغفو مُبتَرِداً في الظلِّ

رجلٌ أسود

يعملُ مُحتَرِقاً في الحقلِ

هذا الأسودُ يجني القطنَ

و ذاك الأبيض يجني عَرَق الأسود " [2]

و لعل التمييز بين طبقات المجتمع بات مسوغا للشاعر أن يقيم احتجاجه على راعي السلطة ، و يقصد بذلك الإقطاع ما جعله يوسمهم بالبيض ، أما الأسود وهو من اسودَّ أديم وجهه من حرارة الشمس من فرط عمله في الحقول . فالشاعر في رؤيته الاجتماعية يبين مدى غياب العدالة بين من يجهد في سبيل قوته اليومي، وبين أصحاب السلطة من الإقطاع والمتنفذين ولربما أبعد من هذا يجرنا إلى المستعمرين الذين تصلهم جهود الشعوب بأبخس الأثمان .

---

[1] المجموعة الشعرية : 198

[2] المجموعة الشعرية : 201

و لما كان الشاعر هو " نبتة إنسانية تتفق من تربة الواقع وتتعايش مع مجتمع له عاداته وتقاليده ومُثله وتاريخه ، والشاعر العربي المعاصر تمثَّل واقعه بوعيٍ دافق ، وحساسية مرهفة وانطلاقاً من الشعر الريادي العربي ، وبالتحديد قبل عام 1948م كانت ثمة إرهاصات في فهم واستيعاب الواقع " [1] ، والتعامل معه بجديه بوصف الشاعر صار يفهم أخطار الحروب الكونية وانعكاساتها على بلاده فراح يترك الاتجاهات الرومانسية والكلاسيكية ؛ ليعبر عن واقعه ، ويبث رؤاه لما يخدم المرحلة الوطنية والسياسية ويكون على قدر التحديات التي باتت تحيق بالشعب العربي .

كما ونراه يحتج على الثقافة المؤدلجة التي تمثل في فروضات الديمقراطية صوت الشعب إلا أنه يراها على العكس من ذلك تابعة ذليلة ، والإعلاميون هم من يمثل الأصوات المأجورة لسياسة الدولة ، يقول في قصيدته (كيف تأتينا النظافة) :

" العِرافةْ :

جُثَّةٌ مشلولةٌ تطوي المسافةْ

بينَ سجنٍ وقرافةْ

و الحصافةُ :

غفوةٌ ما بين كأسٍ وَلِفافةْ

و الصحافة :

خِرَقٌ ما بين أفخاذ الخلاقةْ

...

و المذيعون ... خرافٌ

و الإذاعات ... خرافةْ

---

[1] الرؤيا والتشكيل في الشعر العربي المعاصر : 106

و عقول المستنيرين

صناديقُ صِرافةْ

كيف تأتينا النظافةْ ؟ ! " [1]

و من هذا المنطلق نرى الشاعر يدين مجتمع الإعلام ، كونه يعمل لصالح السلطة وبوسائلها المرئية والسمعية والمقروءة .

و يرى في قصيدة أخرى أنَّ الكثير من الشعراء يحابون الحكومات ، فنراه يقول في قصيدته (نعال الأحذية):

" قلتُ للإسكافِ : أحتاجُ لنعلٍ

خشن الجلدةِ ...برَّاق الطلاءْ .

أومأ الإسكاف للرفِّ ورائي

قال لي : خذ واحداً من هؤلاء.

كانَ فوقَ الرفِّ صفٌّ

من مئات الشعراءْ !

ثقلَ الأمرُ على قلبي

و أبديتُ استياءْ

...

قالَ لم أخدعْكَ صدِّقْ .

إنَّ هذا الصنفَ

---

[1] المجموعة الشعرية : 224

مخصوصٌ للبس الخلفاءْ

قلتُ : إنِّي ابتغي نَعْلاً لرجلي.

أنا لم أطلبْ حذاءً لحذائي . " [1]

فرؤية الشاعر أن مجتمع الحكَّام ومن تبعهم هم قوم سوء ؛ لأنَّهم هادنوا الظالم ، بل كانوا تبعاً له ، وهذا يجرُّ على إيذاء المجتمع ككل ، ولعلي لا أوافق الشاعر وهذا الرأي في تعميمه لجميع شعراء السلطة ؛ لأننا وجدنا بعض الشعراء لم يتركوا الحاكمين ومدحهم كونهم آمنوا بقضايا تختلف بعضها عن رؤية الشاعر التي عممها على ممن يراهم تزلفوا للأنظمة وعلى الرغم من زوالها ظلَّ بعضهم يمدح بعض المواقف التي كانوا يرونها مواقف ناهضة بالأمة ، ومنهم من كان يحابي من أجل الحفاظ على ذاته , كونه من عائلات لها مواقف معارضة للحكومة ؛ مما ضيق بهم؛ و هذا لايعد شرخاً على الأبناء حينما أرادوا أن يخلِّصوا أنفسهم وذويهم من قسوة الحكَّام .

و إنَّ من أسباب ظهور الحكام واستفحالهم على الناس هم الناس أنفسهم حسب رؤيا الشاعر وهو يحاول أن لايلقي الأسباب جميعها على الحاكمين منتقداً الشعوب التي تفتح قلوبها للشر ؛ فيستفحل بهم هذا الأمر ، ما يجعل الحكام يولدون من رحم هذه الشرور ، وهي طبيعة اجتماعية يأسى الشاعر منها ، إذ نراه يقول :

" في الأساسْ

لم يكن في الأرض حُكَّامٌ ...

فقط

كان بهذي الأرض ناس !

...

---

[1] المجموعة الشعرية : 226

الشعوب

حين لم توصِد بوجه الشرِّ

أبواب القلوب

و خَطتْ سِرَّاً

على دربِ الخطايا

و تعاطتْ خُفيَةً كلُّ الذنوب

ظَهَرَ الحكَّام فيها

هكذا عاقبها اللهُ وأخزاها

بإظهار العيوب . " [1]

نرى الشاعر يتهم الناس بالفساد ؛ مما يجعل من فسادهم ولادة لحكَّام فاسدين لايرعوون للناس ، وكأنه يرى أنَّ كل معاناتهم من الحاكمين يعود إليهم وهو يرى هذا الظلم هو مقايضة إلهية لفرط ذنوب الناس ، و في رأيه أنها محنة اجتماعية استطاع صياغتها كموضوع لنصه الشعري ، ليحتج بها على الناس ؛ لعدم استقامتهم ومن ثم يؤهّل لهم العذاب أزاء أفعالهم غير المشروعة .

أما الفوضى الإدارية التي هي جزء من حياة المجتمع ، وأنَّ سببها الحكومات فهو يروي لنا في قصيدته (إصلاح زراعي) تلك الحكاية ، يقول :

" قرَّرَ الحاكمُ إصلاح الزراعةْ

عيَّنَ الفلاَّحَ شرطيَّ مرورٍ ،

و ابنهُ الفلَّاح بيَّاعة فول .

---

[1] المجموعة الشعرية : 278

و آبنهُ نادلَ مقهى

في نقابات الصناعةْ !

و أخيراً

عُيِّنَ المحراث في القسم الفلكلوريّ

و الثور ... مديراً للإذاعةْ!

...

قفزةٌ نوعيةٌ في الاقتصادْ

أصبحتْ بلدتُنا الأولى

بتصدير الجرادْ

و بإنتاج المجاعةْ. " [1]

ويبدو أنه من فرط استخفافه بإدارة البلاد من قبل السلطة ، بإعادته إلى زمن التخلف ؛ كونها لم تضع صاحب الاختصاص باختصاصه ، وهي ظاهرة شائعة بكل قطاعات الدولة الإدارية ، إذ نرى رفضه المطلق لعدم توزيع المهن حسب الاختصاصات ؛ ما جعل البلد يتدهور اقتصادياً حسب رؤية الشاعر ، ولما يدهم المجتمع من فوضى إدارية سببه سوء إدارة البلاد .

فالشاعر في رؤيتيه الاجتماعية البصرية والبصيرة احتجَّ على كثير من المظاهر السلبية التي نخرت حياة البلاد اجتماعيا ، وأثرت على بنائه الذي هدمته أباطيل الحكومات وازدرائها حقوق أبناء الشعب ، فأفقرته وأذلته واستلبت منه أدنى حقوقه ، كما أنها عاثت بمرافق الدولة فساداً ؛ ما جعلتها متأخرةً ثقافياً وعلمياً وحضارياً بسلبها حقوق الجماهير في بناء بلدانها بالوجهة الصحيحة.

---

[1] المجموعة الشعرية : 328

المبحث الثاني

الرؤيا السياسية

يبدو أنَّ الأوضاع السياسية في المنطقة لاسيما العربية هي من تؤثر على جميع مفاصل الحياة سواء أكانت الاجتماعية ، أو الاقتصادية ، وحتى حياة الأفراد ، ولما كانت الحكومات لاتلبي طموحات الجماهير ؛ لأسباب كثيرة منها التبعية للأجنبي أو القلق الإقليمي والتحديات الكبرى للأمة ومنها الأطماع الامبريالية لاسيما إسرائيل وأمريكا ، كذلك تسلط الحكومات الدكتاتورية على رقاب الشعوب في كثير من بلدان الوطن العربي ؛ ما أنتج نقمة في أوساط الجماهير وإن كانت داخلية إلا أنَّ بعض المثقفين والشعراء الذين لهجوا ضد الحكومات التي كانت لاتلبي طموحات الجماهير ، ولعل شاعرنا أحمد مطر واحد من هؤلاء ، فكانت أغلب قصائده هي احتجاج ورفض لتلك السلطات تجاه شعوبها ، وتجاه قضايا الأمة المصيرية إزاء التحديات والتراجع المستمر عن قضية العرب المهمة فلسطين ؛ مما جعل شاعرنا ينتقد وينتفض ويحتج على تلك الحكومات منذ سبعينيات القرن الماضي شأنه شأن المعارضين لها من بعض الأحزاب التي تحمل أيدلوجيات يسارية ودينية ، كانت قد ناهضت الحكومات التي تحكم البلاد منذ مطلع تأسيسها في العصر الحديث .

و خلال قراءة الشاعر للواقع السياسي نجده يبرق رؤاه تجاه سياسة الحكومة مع رعاياها ، فيحاول أن ينظمها شعراً ، فمن بين ما نظمه عن سياسة الحكومة أنها تحاول أنْ تُأقلِم مواطنيها تبعاً لسياستها ما نجده في قصيدة (ثورة الطين) التي يقول فيها :

" وضعوني في إناءْ

ثم قالوا لي تأقلمْ

و أنا لستُ بماءْ

أنا من طين السماءْ

و إذا ضاقَ إنائي بنموّي يتحطَّمْ !

...

خيَّروني

بينَ موتٍ وبقاءْ

بين أنْ أرقصَ فوقَ الحبلِ

أو أرقصَ تحتَ الحبلِ

فاخترتُ البقاءْ . " [1]

إذ يرى أنَّ الحكومات تضع المواطن في إناء، إشارة إلى القالب الذي تسوس الحكومة رعاياها على مقاساتها ، في حين إذا ما تطلَّع أحدهم إلى حياة حرة كريمة تحطَّم هذا الإناء ، لكن النتيجة ستكون حسب أحكامهم أما الموت أو البقاء ... هكذا يرى سياسة الحكومات التي تسعي إلى كتم صوت الشعب بالقوة، فليس هناك من أمل معهم إلى نشدان حياة حرَّة كريمة .

و لعل الاستبداد هو المتحكم "في التعامل ، أي الجبر بالاستناد إلى القوة ، أي الرأي الواحد ... المفتوحة أبوابه ؛ لتداخل المفاسد وما هو إلا أساس الظلم وما هي إلا الأنانية ... وهو الذي أيقظ الأغراض والخصومات "[2] ما جعل الحكام يسلكون سياسة التخويف و الترهيب ؛ ما جعل الشاعر يشير إلى هذا السلوك الذي تخاف فيه الأصابع من الأظافر ، إذ نراه يقول في قصيدته (دوائر الخوف) :

" في زمن الأحرارِ

أصابعي تخافُ من أظافري

---

[1] المجموعة الشعرية : 18

[2] العنف في العراق : 64

دفاتري تخاف من أشعاري

و مقلتي تخافُ من إبصاري !

فكَّرتُ في التفكير بالفرارِ

من بدني

لكنَّني

خشيتُ من وشايةِ الأفكارِ . " [1]

و بهذا جعل من الأحرار أذلة يخيم عليهم السكوت ، بينما الحاكم صار دكتاتوراً يلعب بمقدرات البلاد حسبما يشتهي وما تأمره به نفسه الأمَّارة .

و من مآسي السياسات الإجرامية الحكومية تجاه رعاياها يقول :

" بالأمس مات جارنا حسونْ

و شيَّعوا جُثمانهُ

و أهلُه في أثر التابوت يندبون :

و يلاهُ يا حسُّون

...

في غمارِ حالة التكذيب والتصديقْ

هتفتُ في سمعِ أبي

هل يدخل الأموات أيضاً يا أبي

في غُرَف التحقيق ؟ !

---

[1] المجموعة الشعرية : 47

فقال لا يا ولدي

لكنَّهم

من غُرَف التحقيق يخرجونْ . " [1]

نرى الشاعر ينحو في كتاباته تجاه المظلومية في كثير من قصائده لما يشهده من عنف وتعذيب تجاه السياسيين وغير السياسيين الذين يتَّهمون زوراً وبهتاناً حتى تصل بهم حالات التعذيب حد الموت ومن ذلك قصيدته (صفقة مع الموت) :

" أيُّها الموت انتظر

و اصبر عليْ

فأنا لا وقت للموت لديْ

و أنا لا وقتَ للعيش لديْ

إنَّني بينكما أجهلُ عمري

إنَّني منذ الصبا

أجري , و أجري ،

ثمَّ أجري , ثم أجري

و خُطى المُخبِرِ من خلفي

و من بين يَدَي !

رحمة اللهِ عليْ

إنَّني في ما دمتُ شيئا . " [2]

---

[1] المجموعة الشعرية : 80

[2] المجموعة الشعرية : 92

و لعله يجد العيش محالاً مادام المخبر يتبع خطواته أينما جرى ، والجري هنا يمثل الهروب من سطوة المراقبة التي تؤدي إلى الموت المحتَّم .

" أيُّها الموت ... عزيزي

لكَ شكري

انتظرْ

إنّي سأدعوكَ إلي

قَسماً أنِّي سأدعوك إلي

عندما أشعرُ يوماً

أنَّني ياموتُ ... حيْ . " [1]

و يبدو أنَّ الشاعر يشير إلى أنَّه مراقب ، وهو غير معني بأمر لكن لما كان هذا الإصرار على التجسس ، فأنه يحبُّ أن لايموت من دون تهمة ، بل يفخر حينما تكون موتته ، وهو مُعارض حقيقي للسلطة .

و في قصيدته التي عنوانها (قضاء) يدين سياسة القضاء الذي يعمل تحت ظل الأنظمة السلطوية الظالمة وطاعة وحشيتها وسياستها تجاه مواطنيها ، فنراه يقول :

" الخراطيم وأيدي ونِعال المخبرين

أثبتتْ أنَّ السجين

كانَ من عشرةِ أعوامٍ

شريكاً للذين

حاولوا نسف مواخير أمير المؤمنين !

---

[1] المجموعة الشعرية : 92

...

نظرَ القاضي طويلاً إلى ملفات القضية

بهدوءٍ ورويَّهْ

ثمَّ لمَّا أدبرَ الشكُّ و وافاهُ اليقين

أصدرَ الحُكمَ بأنْ يُعدَم شنقاً

عِبرةً للمجرمين

...

أُعدِمَ اليوم صبيٌّ

عمرُهُ ... سبعُ سنين . " [1]

فهو يرى حتى القضاء هو مُقاد لسياسة الحكومة . ولم يفلت حتى الطفل من عقوبات الإعدام لما للقضاء من فقدان للعدالة في ظل حكومات ظالمة .

بينما يرفض الشاعر الاستكانة والرضوخ للظلم والباطل والقنوط لكل فعل يخدم مسيرة الحياة ، فهو يقول في قصيدته (التكفير والثورة) :

" كفرتُ بالأقلام والدفاترْ .

كفرتُ بالفصحى التي

تحبلُ و هي عاقرْ .

كفرتُ بالشِّعر الذي

لا يوقف الظلمَ , و لا يحرِّك الضمائر.

[1] المجموعة الشعرية : 110

لعنتُ كلَّ كلمةٍ

لم تنطلِق من بعدِها مسيرةٌ

...

في زمنِ الآتين للحكمِ

على دبَّابةٍ أجيرهْ

لعنتُ كلَّ شاعرٍ

لا يقتني قنبلةً ؛

كي يكتب القصيدةَ الأخيرهْ . " [1]

إنَّ السياسة هي ليست في أروقة الحكَّام إنما للشاعر سياسته حين نراه محتجَّاً على أصحاب الكلمة التي ليس من شأنها التغيير ، إنما التلكوء والتخاذل والمحاباة " وسيادة ثقافة اللامبالاة ، وعدم تحمُّل المسؤولية أدى إلى تبدد طاقات وإمكانيات الأفراد " [2] أمام الظلم المستشري ، مما جعل الشاعر يتبنى مشروع المقاومة في الكلمة التي تعادل البندقية حينما يتحرك الشعب ضد الحكام من أجل التغيير بعد الخلاص ممن جاءوا على دبابات أجيرة، وكأنَّ الشاعر يحاكي جميع الأزمنة ، فالشعر هو " استشراف وقراءة ذكية للمجهول تصدر عن طاقة الخيال التي يرتفع بها الوعي اللغوي إلى ما يتجاوز طاقة الوهم: [3] ، فالشعر الحقيقي والملتزم يرى أنَّ الاستعمار لا ينصف الشعوب المحتلَّة ،لذلك فإن أحمد مطر بالتزامه الشعري يأسف على الأقلام التي ليس من طبع سياستها المقاومة أو الحث على الجهاد في سبيل نيل الحرية .

---

[1] المجموعة الشعرية : 54

[2] العنف في العراق : 40

[3] الوعي الشعري : 117

و يبدو أنَّ الشاعر في كثير من أشعاره الاحتجاجية ليس فقط ينبه الشعب على التغيير بل يحاول أن ينبه الحاكم على أخطائه السياسية وعلاقاته الخارجية، فقصيدته (نمور من خشب) ينبه ويحذر بها الحكام العرب الذين يتعاملون مع أمريكا ومن يسعى لإقامة علاقات مريبة معها ، يقول :

" قُتِلَ السادات ... و الشاه هربْ

قُتِل الشاهُ ... و سوموزا هربْ

و النميريُّ هربْ

و دوفالييه هربْ

ثمَّ ماركوس هربْ .

كلُّ مخصيٍّ لأمريكا

طريدٌ أو قتيلٌ مُرتَقَبْ !

كلُّهم نمرٌ ، و لكن من خشَبْ

يتهاوى

عندما يسحقُ رأس الشعب

فالشعبُ لهبْ .

كلُّ مخصيٍّ لأمريكا

على قائمةِ الشطبِ

فعُقبى للبقايا

من سلاطينِ العربْ . " [1]

فكأنه يقول أنَّ من يتآمر على مقدرات شعبه، سوف يجد من يعمل لحسابه في نهاية المطاف أم الهرب أو التقتيل في كل الأحوال ؛ لأن المحتل لايلتزم عملاءه ، وليس الشعب إلا ثورة ضدَّ من يستبيح مقدراته ، ولسوف يجد ما سولت له نفسه بحق الشعب لهيباً حارقاً ، وذلك ما تنتجه الأزمات الدافعة " إلى الثورات من هذا الاختلال في التوازن بين قوى تحتكر فضاء القرار ولكن بدون الرصيد العمومي الذي يمنحها الحصانة والمصداقية ، وبين قاعدة مسلوبة من الأخذ بزمام الكلام والقرار ، ولكن تشكل طاقة دفينة تنتظر الشرارة المواتية لتحريرها " [2] ولعل الشعوب برمتها حين تصل إلى حالة الغليان يشتدّ كفاحها تجاه قضاياها المصيرية .

و الشاعر أفرط في وصف الأنظمة بالتبعية ، إذ أنَّ الحكومات العربية في سياساتها ماهي إلا تبع لغيرها من الدول الغربية لاسيما أمريكا التي هي من تأمر وتنهى ، وبيدها زمام شؤون البلدان ، فهو يصرح بذلك في كثير من قصائده ، يقول في قصيدته (يوسف في بئر البترول) :

" سبعُ سنابل خضرٍ من أعوامي

تذوي يابسةً

في كفِّ الأمل الدامي

أرقبُها في ليل القهرِ

تضحكُ صفرتها من صبري

و تموتُ فتحيا آلآمي

...

---

[1] المجموعة الشعرية : 72

[2] الفلسفة الغربية المعاصرة : 2/ 960

و أرى حولَ البيت الأسود

بيتاً أبيض

يجري بثيابِ الإحرامِ

يرمي الجمرات على صدري

و يقبّل خشمَ الأصنامِ

و يحدُّ السيفَ على نحري

يومَ النحرْ . " [1]

فنراه يحتج على الحكومات ؛ كونها جعلت زمام سياساتها واقتصادها بيد الدول الإمبريالية لاسيما أمريكا ، في إشارة إلى البيت الأبيض ، و لعله هنا يدين دول الخليج يومئ لها بآبار النفط وبيت الله الحرام .

أما سياسة الدول الكبرى تجاه الحكَّام العرب فيلخّص لنا الشاعر من أنَّ الأدوار تُبدَّل بين الفينة والأخرى في اختيار حكامهم ، فيقول في قصيدته (إهانة) محتجَّاً ، إذ يعدُّ ذلك إهانة للشعوب العربية المستضعفة من لدن الدول الكبرى ، فنراه يقول :

" رأت الدول الكبرى

تبديل الأدوارْ

فأقرَّتْ إعفاء الوالي

و اقترحَتْ تعيين حمارْ !

و لدى توقيع الإقرارْ

نَهَقَتْ كلُّ حمير الدنيا باستنكارْ :

---

[1] المجموعة الشعرية : 92-93

نحن حمير الدنيا لا نرفضُ أنْ نُتعَب

أو أن نُركَب

أو أنْ نُضرَب

أو حتَّى أنْ نُصلَبْ

لكنْ نرفض في إصرار

أنْ نغدو خدماً للإستعمار

إنَّ حمُوريَّتنا تأبى

أنْ يلحَقنا هذا العارْ . " [1]

فهو يرفض سياسة الدول الاستعمارية لاسيما أمريكا ؛ كونها تنصِّب الزعماء العرب وجعلهم تابعين صاغرين، فسياستهم هي سياسة الذليل تجاه سيده , لكن إعلامياً أنهم الزعماء الذين لايستسلمون خوف العار و بالمقابل يرتضون أن يُركَبوا أو يُتعَبوا أويُضرَبوا أو حتى يُصلبوا ، فهم في طاعة عمياء في سياساتهم تجاه أسيادهم، وهذا الاستخفاف من الشاعر ما هو إلا رسائل إلى الحكَّام التابعين و إلى الشعوب العربية التي ذعنتْ لحكامها من أن تعيش القنوط والإذلال .

كما أنَّه يربط الجامعة العربية بأمريكا ، وهو يتحدث عن القضية اللبنانية عندماغزتها إسرائيل في ثمانينيات القرن العشرين , فهو يقول في قصيدته (صفَتْ النيَّة) :

" صَفَتِ النيَّةُ يا لُبنانْ

صَفَتِ النيَّةْ

...

[1] المجموعة الشعرية : 106- 107

ما مقدار جفاف الريق

في التصريحات الثوريه؟

و تداولَنا في أوراقِكَ

حتَّى أذبلَها التوريق !

...

صفتْ النيَّهْ

فتهانينا يا لبنان

جامعة الدول العربيهْ

تُهديكَ سلاماً وتحيَّهْ

تهديكَ كتيبة ألحانْ

و مبادرةً ... أمريكيهْ . " [1]

ويبدو أنَّ ما أنْهك لبنان من حروب أثر الاجتياح جعلت الجامعة العربية تقدِّم مساعدتها له بواسطة أمريكا بوصفها حسب رؤيا الشاعر هي مرجع البلدان العربية والقائمة على أحوالهم ، ساخراً ومستهيناً بذلك بوصف أمريكا هي الآمرة و الناهية وذلك " لأنَّ الصراع الثقافي بين الإمبريالية والمجتمعات التي تعاني الهيمنة لايزال مستمراً إلى الوقت الحاضر "[2])، وهذا التفكير من منطلقات ما بعد الكولونيالية ، إذ أنَّ الشعب لم يقتنع بحكامه ؛ لأنه يجد فيهم الرضوخ والاستسلام أمام القوى الغاشمة، وهذا مدعاه احتجاج الشاعر ضد الحكام العرب ومواقفهم القاسية تجاه أبناء شعبهم ، فنراه يحتج و بأسلوب ساخر في قصيدته (ربِّ ساعدهم علينا):

---

[1] المجموعة الشعرية : 111

[2] إدوارد سعيد ، سيرة فكرية ، بيل أشكروفت : 25-26

" أدعُ للحكام بالنصرِ علينا

يا مواطنْ .

و اشكُر اللهَ الذي ألهمهم موهِبةَ القمعِ

و إبداع الكمائن

قُلْ : إلهي إعطهم مليونَ عينْ

إعطهم ألفَ ذراعٍ

إعطهم موهِبةً أكبر

في ملء الزنازين و تقريع الخزائن !

ربِّ ساعدهم علينا

فهم اثنان وعشرون شريفاً مُخلِصاً حُرَّاً

و إنَّا يا إلهي

مِئتا مليون خائن ." [1]

و يبدو أنَّ أسلوب السخرية لدى أحمد مطر هو في قلب الدلالة وكأنَّ المهجو هو الممدوح بما يسمى بالبلاغة الذم بما يشبه المدح من أجل السخرية بالحكام العرب الذين أثخنوا جراح شعبهم بالاعتقالات والتعذيب والقسوة ، بينما (فهم اثنان وعشرون شريفاً مُخلِصاً حُرَّاً) ، بينما الشعب (مِئتا مليون خائن) وبهذه المفارقة يسلط جام غضبه للاستهتار الذي قامت به تلك الحكومات مع شعوبها .

و في قصيدة (الراية) يعبِّر بها الشاعر عن تهكمه على السياسات التي تدَّعي الديمقراطية ، فيقول :

---

[1] المجموعة الشعرية : 113

" عرس الألوان الوطنيةْ

فوقَ الرايات العربيةْ

يشربُ فيه الاستقلال ويسكرْ

و تغنِّي الديمقراطيةْ !

أبيض

أسودْ

أخضرْ

أحمرْ

أبيض : بيتُ إله الإنظمة الشرعيةْ !

أسودُ : حكم العسكر .

أخضر : ثوب العسكر.

أحمر : وجه الثورات البيضاء

و تاريخ الحريَّةْ . "

فالرايات تمثل مرموزات سياسية ، لكن الشاعر يصورها أشكال من دون دلالات، إذ ليس هناك من استقلال أو ديمقراطية ، بل هي شعارات وهمية تتحصن بها الحكومات من جماهيرها . لكنه يرى بعين الغيب أنَّ الرايات سوف تتغير معانيها ، إذ يقول :

" معنى الرايةِ في ذهني يتغيَّر

يُصبحُ أطهَرْ

فأرى ساريةَ الرايةِ و الرايةْ

في كلِّ سماءٍ عربيهْ

مشنقةً

يتدلى منها

جثمانُ رموزِ التبعيهْ . " [1]

و كأنـه يـرى بعـين الغيـب أن الثـورة قادمـة ، وسـوف تكـون السـاريات أعـواداً للمشانق التي ستتدلى فيها جثامين الحكام التابعين للاستعمار والإمبريالية . ويبدو أن الشـاعر يـرى فـي الحتميـة التاريخيـة التـي يقـول بهـا اليسـاريون خيـر معْبـر لطروحتـه النبوئية, وهكذا نرى التاريخ قد ذكر لنا ويظل يشهد نهاية التابعين للمستعمر الأجنبي بالقتل ، أو العزل ، أو التهجير .

و لمـا كـان الشـاعر ذا فكـر إشـتراكي ، فإنـه نـادى بإنصـاف الفقراء والمعـوزين فطالـب فـي معظـم قصـائده علـى محاسـبة الحكـام ، والـدعوة إلـى المسـاواة بـين أبنـاء الشعب في الحقوق والواجبات خلال رفضـه لأدعاء الحكام وظلمهم لرعيتهم وتحريرهم من الأغـلال التـي تمثلت فـي الرقابـة وكمِّ الأفواه ، فضـلاً عن العنف المستشري ضد المواطنين .

و لعلَّ سياسـة الشـاعر هـي التحـدي للسـلطات بوصـف الشـاعر هـو مـن يمثـل الشـعب ، فالشـاعر لايتهـادن مـع مـن يغمـط حقوق الجمـاهير ، وهـو المتحـدي بقلمـه الباذخ في الاحتجاج ضد قمع السلطة ، فلا مهادنة لها ، و هو لون من ألوان سياسة المحتج ، يقول :

" قلمي رايةُ حُكمي

و بلادي ورقةْ

و جماهيري ملايين الحروف المارقةْ

---

[1] المجموعة الشعرية : 114

فحدودي مُطلَقةْ

ها أنا أستنشقُ الكونَ

لَبِستُ الأرضَ نعلاً

و السماوات قميصاً

و وضعتُ الشمسَ في عروةِ ثوبي

زنبقةْ !

أنا سلطانُ السلاطينِ

و أنتمْ خدمٌ للخدمِ

فاطلبوا من قدَمي الصفحَ

و بوسوا قَدَمي

يا سلاطين البلادِ الضيّقةْ ! " [1]

فنراه يرسم وطناً من أشعاره ، فقلمه هو حُكمه ، بينما الورقة بلاده ، أما جماهيره فهي ملايين الحروف التي ينطقها هذا القلم مؤسساً بذلك جمهورية تلد من رحم واحد هي الحكومة إشارة إلى التآلف و التوافق بين الطرفين الحاكم والمحكوم بمنظور الأب لأبنائه ، والكبرياء هو رونقه بدلالة (لبستُ الأرض نعلا) وأن خير بلاده سيكون وارفاً (لبست السماء قميصا) ، أما المجد فبدلالة (ووضعت الشمس في عروة ثوبي زنبقة) ، وبذلك صار سلطان السلاطين ، بينما الحكام الذين أوغلوا في الإجرام والتقتيل ،هم من صاروا نعلاً له إشارةً إلى أنفته وشعوره بانتصار الكلمة ؛لأنها تحمل رسالة الحق ، فهي المدافعة والهاجية والمستنهضة لهمم الشعوب تجاه مصائرها.

[1] المجموعة الشعرية : 141

كما أنَّه يظهر سياسة الدولة تجاه المثقف و غيره سواء ، ولعل الديمقراطية هي قول الكلمة الحرَّة والنقاش البنَّاء ، وحينما تُعارَض الحكومة لأجل الإصلاح ، ومن يجادلها هنا فسوق مما يضطره أن يقع في مأزق عنف السلطة. يقول في قصيدته (تفاهم) :

" عَلاقتي بحاكمي

ليسَ لها نظيرْ .

تبدأ ثمَّ تنتهي ... براحة الضميرْ .

مُتَّفقان دائماً

لكنَّنا

لو وقع الخلافُ فيما بيننا

نحسِمُهُ في جدلٍ قصيرْ

أنا أقولُ كلمةً

و هو يقولُ كلْمةً

و إنَّهُ من بعدِ أنْ يقولها ...

يسيرْ .

وإ نَّني من بعدِ أنْ أقولها ...

أسيرْ . " [1]

---

[1] المجموعة الشعرية : 145

فهو يرى أنَّ سياسة المثقفين في طبيعتها هي سياسة مهادنة وتحاور ، لكنه أظهر أنَّ المقابل هي الحكومة التي تحسمة بجدلٍ قصير فهي تسير في طريقها بينما الشاعر الذي يمثل المثقفين فيكون أسيراً ومكانه في دهاليز السجون . ولعل سياسة العنف هي التي شرعتها الحكومة المرفوضة من لدن الشارع العربي لاسيما العراقي .

و لعل السياسة لها وجوهها وأدواتها ، فالنفط مثلاً من وسائل السياسة الإجرامية بحق الشعوب .

إذ نجد في قصيدته (تعاون) التي يقول فيها :

" أُقسِمُ بالله الصمدْ

و والدٍ وما وَلدْ

و كلِّ ما في الدين والدنيا وَرَدْ

إنَّ الحرائقَ التي

قد أكَلَتْ هذا البلدْ

و ما نجا من حرِّ نارِها أحدْ

أشعلها فيلٌ

بعيدانِ ثقابٍ من حمارٍ

و بنفطٍ من فهَدْ . " [1]

و لعله يشير بالفيل إلى الدول الاستعمارية والعدوانية (أمريكا , وإسرائيل) وبعض زعماء الخليج الذين يمتلكون الأموال من ريع النفط ، هم من يتحكمون في تغيير الحكومات والأزمات في البلدان الأخرى بواسطة حمير بعض تلك الحكومات ، وقد

[1] المجموعة الشعرية : 145

رأينا كثيراً من البلدان قد تغيرت أنظمتها بمساعدة سياسة تلك البلدان ومنها العراق وليبيا وسوريا واليمن .

و يبدو أنَّ شعر أحمد مطر منبعث من الفكر الاشتراكي شأنه شأن السياب والبياتي والجواهري وسعدي يوسف وسامي مهدي وغيرهم بما تحمله أشعارهم من احتجاج وأسى وغضب على الظروف السياسية والاجتماعية في العراق والعالم العربي [1]

أمَّا سياسة التسويف هي الأخرى شغلت الشاعر أحمد مطر ، فالحكومات التي تدَّعي أنَّها ثورية لاتمنح مؤيديها وشعوبها من المكاسب الوعودة ، فهو يقول في قصيدته (مكاسب ثورية) :

" كنتُ أمشي فوقَ أشواك الليالي

صابراً مهما نأى ورد النهارْ

مؤمناً بالانتصارْ .

أوقفتني ثورةٌ واقفةٌ فوقَ الطوارْ

حَلفتْ بالشعب أنْ تنقلني بالطائرةْ

ثم من بعدِ سنينٍ أقبلتْ مُعتَذِرةْ .

لعنة اللهِ على النسيانِ ...

ما عندي مطارْ !

حَلَفتْ بالشعبِ أنْ تُرسلَ لي سيارةً

لكنَّها ما أرسلت بعد سنين الانتظارْ

---

[1] ينظر : الشعر العراقي الحديث 1945– 1980 في معايير النقد الأكاديمي العربي , د. عباس ثابت حمود : 272.

...

وُجِدَ الكلبُ انتهازياً ثُنائيّ المَسارْ

راقصاً بينَ يمينٍ ويسارْ

انتظرْ لاتحمل الهمَّ ... سأعطيكَ حِمارْ

و لفرطِ الاضطرارْ

قلتُ لا بأس

فجاءتني بهِ مُنكسِراً

تحتَ ملايين النياشين و أطنان الوقارْ

لم أزلْ أمشي ببطءٍ ,

فوقَ أشواكِ الليالي

و على ظهري حمارْ." [1]

و يبدو أنَّ الشاعر يدين سياسة بعض الحكومات التي تتمايل يميناً وشمالاً مع شعوبها و هي توعدهم بمعطيات منجزاتها , التي هي عبارة عن وعود كاذبة ليس لها سوى استغلال طاقاتهم وهدر طموحاتهم وما شعاراتها إلا أكاذيب باهتة وباطلة .

و في قصيدة (الغابة) يرى أنَّ سياسة أمريكا تسلطية قاهرة لكل سياسات الأرض طالما وسيلتها القوة والتسلط ، نراه يقول :

" الأرض ماعادت سوى

عاهِرةٍ رسميهْ

و باختصارٍ بالغٍ

---

[1] المجموعة الشعرية : 223

الأرض أمريكيةْ !

و (مجلس الأمن) هو اسمٌ

إنَّما

معنى المُسمَّى : (موقف الوحشيةْ) !

و الدول الدائمة العضويةْ

دائمةٌ ... لأنها قويةْ ! "

أما عن سياسة الشعب ، فهو يلومهم على عدم هديهم وخوفهم من الوالي الذي صنعته سياستهم البكماء التي ليس سوى فطرةٍ فطروها ، وكأنَّ لاشعورهم الجمعي هو من يدفعهم لقبول الطغاة ، وأنهم مرهونون بأوامره ، فنراه محتجاً لانصياعهم لتشريعاته وسكوتهم على إساءاته وخشيتهم من بطشه ، فهو يقول :

" يا شعبي ... ربي يهديك .

هذا الوالي ليس إلهاً ...

ما لكَ تخشى أنْ يؤذيكْ ؟

أنتَ الكلُّ , و هذا الوالي

جزءٌ من صنعِ أياديك

من مالكَ تدفع أجرته

و بفضلكَ نالَ وظيفتهُ

و وظيفتُهُ أنْ يحميكْ

أنْ يحرسَ صفوَ لياليك . " [1]

فهو يحتج معلنا أنَّ سياسة الجماهير مع الولاة والحكام يجب أنْ تكون رقابية لا خضوع ، و لا استسلام ؛ كون الحكَّام عيَّنهم الشعب وكلفهم بواجبات كثيرة منها حمايتهم وتوفير الأمن والأمان لهم .

و بهذا القدر من التمثيل نستطيع أن نقول أنَّ الشاعر توقف على أبرز الرؤى التي حاول إيصالها لمتلقيه محتجاً على سياسة المستعمر وحاكم البلاد ناصحاً وناقداً ومعترضاً ، ثم محتجَّاً وناقماً كما وجدناه يلوم أبناء الشعب الذين هم من نصَّب الحكام وأعطاهم رواتب لقاء توفير الأمن والأمان لهم لاخشيتهم والخوف منهم .

و لعلنا نجد الشاعر قد خضع للظروف السياسية في مجمل كتاباته وهو يسخر من الحكومات ، فهو المحتج والمتأسي والرافض لتلك السياسات المستضعفة من قبل الخارج لكن يجدها حازمة متعسفة على أبناء الشعب المقهور.

[1] المجموعة الشعرية : 302

المبحث الثالث

الرؤيا الوجودية

الرؤيا الوجودية تمثل طريقين هما : رؤية الوجود من الداخل بوصف الانسان عالماً مكانياً و زمانياً في آن ، يسعى إلى طرح حقيقته الوجدانية والفكرية مدافعاً عن ذاته ومعبّراً عن قيمه تجاه الوجود الخارجي ، بينما الوجود الآخر هو الخارجي أي عالم الإنسان بما يحيط به ، ولعل رؤيا الفنان لاسيما الشاعر " تتمحور حول الذات الإنسانية والعالم ؛ لتستكشفه باستمرار ، وهي تنطلق من الوعي والتأمل والتجربة ذات الخصوصية إلى الوظيفة الجمالية التي تكون مشغل الفنان وواجهته التي يجليها بالوسيلة اللغوية ، ويهذبها بالتجربة الواعية ؛ لتصير مرآة للحقيقة الماثلة أمامه في إدراك مفهوم رؤيا العالم " [1]، فالأولى تبناها بعض الفلاسفة ومنهم سارتر ودي بوفار والبير كامو التي تعني في بحثها الفكري والفني في الوجود الخاص أي (الوجود البشري) في تطلعاته ومصيره دون الخوض في بحث الوجود العام ، بينما فلسفة الوجود هي التي بحثت في الوجود العام ، أي تتناول الجزء والكل معاً أي التوفيق بين الموضوعة والذاتية إذ طرحت قضية الإنسان و عدَّت الأدب هو القادر على أن يتبنى قضيته وعلاقته بالحياة والموت والزمان والحرية، كما أنَّ الأدب الوجودي صار خير مُعبِّر عن الإحساس الحاد بإشكالية المصير الإنساني ، و أنَّ أبرز روادها كيركيغورد وبردياييف وباسبرز وهيدغر[2]

و يبدو أنَّ الشاعر حين يشعر يفكر وأن تفكيره يشده إلى نزعته الإنسانية تجاه الوجود والكون والإنسان . فالشعر يمثل " مظهراً من مظاهر الوجود الإنساني ، فمن خلاله تكتسب الأشياء كل معانيها حينما يقدمها لنا بصورتها العيانية ، من هذا ترى الوجودية : أنَّ الفن عموماً و لاسيما الشعر هو الوسيلة الناجعة لفهم هذا الوجود من

---

[1] دراسات في الشعر والفلسفة , د. سلام الأوسي : 53

[2] ينظر : الرؤيا والتشكيل في الشعر العربي المعاصر : 157 وما بعدها

خلال معتركه مع الحياة " [1] ، ويبدو أنَّ الذات هي بؤرة للعالم ومحرقاً ومولداً له في أروقتها ينبثق العالم ويولد [2] ، وقد اتخذت الوجودية من موضوعاتها في الأدب خير معبِّر لها فهي " أقوى الاتجاهات الفكرية المعاصرة في الأدب ، ففي طبيعة الاتجاه الوجودي ما يجعله مركباً سهلاً ؛ ذلك لأنَّ الفن كان دائماً أقدر على تحسس الجرح الداخلي في الفرد ورؤيته جرحاً يشكو منه المجتمع " [3]، و يبدو أنَّ الشاعر أحمد مطر بوصفه يعبِّر عن الذات الإنسانية وما تستشعره هذه الذات نتيجة الضغوطات التي تدهمها إزاء كبت حرياتها وتعرضها لأبشع وسائل الاضطهاد والتقتيل ، راح يعبر عن وجوده تجاه تلك الضغوط وما يستشعره من قلق وحرمان واغتراب وتضييع ؛ ليعبِّر عن احتجاجه للأساليب التي مورست تجاه شعبه برؤيا وجودية ؛ كون الشعر هو المعبِّر عن رفض واحتجاج تلك الجماهير و شعورها بالضياع فهو يأسى على تلك الجماهير معبِّراً عنهم بما يستشعره تجاه عالمه المفقود ، يقول :

" سبعون طعنةً هنا موصولة النزفِ

تُبدي ... و لا تُخفي

تغتالُ خوفَ الموت في الخوفِ

سمَّيتُها قصائدي

و سمِّها يا قارئي حتفي !

وَ سَمِّني ... مُنتَحِراً بخنجرِ الحرفِ

لأنَّني ، في زمنِ الزيفِ

---

[1] النبوءة في الشعر العربي الحديث ، دراسة ظاهراتية : 85 , وينظر :الخبرة الجمالية دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية ، سعيد توفيق :76)

[2] ينظر : آليات الشعرية الحداثية عند أدونيس ، دراسة في الأصول والمنطلقات والمفاهيم ، د. بشير تاوريريت : 166

[3] في الأدب الفلسفي ، محمد شفيق شيا : 48

و العيش بالمزمار و الدفِّ...

كشفتُ صدري دفتراً ,

و فوقهُ

كتبتُ هذا الشعر بالسيفِ . " [1]

فهو يعيش في زمن الرعب والزيف ، لذلك نجد أشعاره تمثل التمرد على زمن الضياع ، كما أنه يعيش كصاحب المزمار والدف الذي يقتات عيشه بهما وكلاهما يمثلان اللهو وضياع الوقت , كما أنَّه يظل متحدياً على الرغم من كل ما يحيق به من تحديات بدلالة السطر الأخير من القصيدة .

و حالة الاستعباد التي يستشعرها المواطن العربي من قبل الحكام يمثل شعوراً بالضياع ، إذ لامستقبل منشود و لا راحة بال حينما لا يعبِّر الإنسان عن آرائه فيرى نفسه مسلوب الإرادة ، وهذا ما نراه في قصيدته (عقوبات شرعية) :

" بتَرَ الوالي لساني

عندما غنَّيتُ شعري

دونَ أنْ أطلبَ ترخيصاً بترديد الأغاني

...

بتَرَ الوالي يدي لما رآني

في كتاباتي أرسلتُ أغانيَّ

إلى كُلِّ مكانِ

...

[1] المجموعة الشعرية : 12

أمرَ الوالي بإعدامي

لأنّي لم أصفِّقْ

- عنندما مَرَّ –

و لم أهتف ..

و لم أبرَحْ مكاني . " [1]

فالشاعر يتطوف ببساطة في عوالم ذاته و هو يعيش عالمه الخارجي الذي ينبض بالحيرة تجاه الواقع المعيش ، و الشعر حين يعبر عن تلك الظروف في "تجربة حضارية تتصدى للقلق والتمزق اللذين يثيران الحيرة واللبس ويدفعان بالشاعر أنْ يتطوف في خضم العالم ، أي في خضم الذات "[2]حين تنظر إلى موضوع العالم القاسي ومدى تأثيره ؛ مما يشكل لدى الشاعر إشكالية المصير ، وهو يعبر بشعره عن روح الجماعة ، التي تعيش ألواناً من التآمر السلطوي من أجل تغييب ذاتها لاسيما الإنسان الشاعر الذي يعبّر عن خلجاته تجاه شعوره بالواقع المتردي ، أما من لا يصفِّق للوالي ، كناية عمَّن لايمدح الحاكم بأشعاره ، فأنه سوف يحاكم بالإعدام .

و الدفاع عن الذات والتعبير عن معاناتها هو طريق لإثبات وجودها وتحديها ومقاومتها للاستلاب المعنوي الذي يدهم دواخل الذات ؛ ما يجعل أبسط التعبير عن احتجاجها هو الكلام سواء أكان شعراً ، أو قولاً معبّراً عن حالة الرفض الإنساني تجاه المخاطر التي تهددها ، فنراه يمازج بين القلق من مدلهمات قسوة الأنظمة وحالة الخلاص منها برؤيا انبعاث الحياة من جديد وتسلق غصون الحضارة في بلده الجريح، يقول :

" أدري أجل أدري

و أحبس الأشعارْ

---

[1] المجموعة الشعرية : 15

[2] الرؤيا والتشكيل في الشعر العربي المعاصر : 161

أخشى من الأنياب و الأظفارْ .

...

أدري بأنَّ النارْ

موقدةٌ ... من حطبِ الفقرِ ؛

ليدفأ الدولارْ !

...

أدري بأنَّ الثارْ

سحابةٌ تحبل بالأعذار

سيزأرُ الرعدُ ... ولكنْ بعدَهُ

ستهطِلُ الأمطارْ . " [1]

و لعل زئير الرعد يمثل غضبة الجماهير التي ستشتعل يوماً بوجه الظالمين ومن ثم يهطل المطر الذي يومئ إلى انبعاث حضارة العرب من جديد .

و ظاهرة الاغتراب هي مظهر من مظاهر النزعة الوجودية راسماً خلالها ملامح التضور والقلق ، يقول:

" لا تُهاجِر

كل من حولك غادرْ

لا تدع نفسكَ تدري بنواياك الدفينهْ

و على نفسك من نفسكَ حاذرْ

---

[1] المجموعة الشعرية : 17

هذهِ الصحراء ما عادتْ أمينهْ

هذه الصحراء من صحرائها الكبرى سجينهْ

حولها ألف سفينهْ

و على أنفاسها مليون طائرْ.

أين تمضي ؟

رَقَمُ الناقةِ مَعروفٌ

و أوصافُكَ في كلِّ المخافِرْ

و كلابُ الريح تجري

و لدى الرمل أوامرْ

أنْ يماشيكَ ؛ لكي يرفعَ بصمات الحوافرْ

خفِّف الوطءَ قليلاً

فأديم الأرض من هذي العساكرْ " [1]

إذ نجد صور اغتراب الشاعر في جميع مفازات الأرض وهي تمثل أزمة للوجود الشعبي العربي إزاء التحديات الخطيرة التي ظلت الشغل الشاغل للمواطنين وهم يعيشون محنة الاغتراب في أوطانهم التي تشعرهم بتغييب وجودهم الإنساني .

و الشعور بالقسوة الصارمة وحظر التعبير عن الرأي تحدد مصير الإنسان وتهتك حرمة حريته ، فهي عند الوجودي إلغاء لكينونته ، فإذا ما كُبتت صارت الحياة سجناً قاهراً وظلاماً فاحشاً يقول في قصيدته (إنجيل بولس) :

" في البدء كان الكلمة

[1] المجموعة الشعرية : 49

و يومَ كانتْ أصبحتْ مُتَّهَمهْ

فطوردتْ

و حوصِرتْ

و اعتُقِلتْ

و أعدمتها الأنظمهْ

...

في البدء كان الخاتمهْ . " [1]

هنا نراه يواجه العدم المطلق حين تصادَر الكلمة من الأفواه طالما تعبِّر عن مصداقية صاحبها تجاه الواقع المزري ، ولعل الاغتراب في مجتمعاتنا قد تجاوز أسبابه الفردية والجماعية لاسيما العادات والتقاليد أو أحلام الأفراد الخاصة واصطدامها بالواقع ، فقد أصبح وليد " العسف الطبقي والبيروقراطية وغياب الحرية والتقاليد الديمقراطية وفقدان الثقة بكثير من الأنظمة والمبادئ" [2]، وما تقوم به تلك الأنظمة من قسوة واستبداد تجاه رعيتها .

و يبدو أنَّ صور الخوف والتشاؤم وجدناها مبثوثة في نصوص شاعرنا وهي مظاهر وجودية تدفع الإنسان إلى الاكتئاب والقلق إزاء واقعه المُعاش . يقول :

" اسكتوا

لا صوتَ يعلو

فوقَ صوتِ النائحهْ

---

[1] المجموعة الشعرية :52

[2] مرايا جديدة ، عبد الجبار عباس : 169

نحنُ أمواتٌ

و ليستْ هذهِ الأوطان إلا أضرحهْ

قُسِّمتْ أشلاؤنا

بين دِبابٍ ونسورٍ

و أُقيمتْ في زواياها القصورْ

لِكلابِ المشرحهْ . " [1]

ما يجعل الإنسان يعيش بمشاعر الاكتئاب، لأن صور الموت ضاربة سرادقها في كل مكان .

و يبدو أنَّ الموت هو واحد من مظاهر النزعة الوجودية الذي استثمره الشاعر موضوعاً من موضوعاته , فهو في رؤية سارتر إنه "يحرم الحياة من كل مغزى ، وإذا كان علينا أنْ نموت فإنَّ حياتنا تخلو من المعنى ؛ لأنَّ مشكلاتنا لا تتلقى أي نوع من الحل " [2]، فهو يرى أنَّ الموت نوع من أنواع العبث ، و العبث يمثل لوناً من ألوان الاغتراب الدائمي في الوجود .وخلال قراءة نصوص الشاعر نجد فيها الكثير يعيش في دوامة عبث السلطة في مقدرات الناس ، وعبث الإنسان في إيجاد حلول ناجعة للخلاص مما يتلقاه منها ، فنراه يعقد جام غضبه عليها ، ما جعل الشاعر لا يقوى إلا على تصوير قسوتها ، بينما الموت ينشر أذرعه بين الضحايا ، يقول في قصيدته (يحيا العدل) :

" حَبَسوه

قبلَ أنْ يتَّهموه !

عذَّبوهْ

---

[1] المجموعة الشعرية :61

[2] ميتافيزيقيا الموت والوجود ، دراسة فلسفية ، علي محمد اليوسف : 145

قبل أن يستجوبوه !

أطفأوا سيجارةً في مقلتيهْ

عرضوا بعضَ التصاوير عليهْ :

قُلْ لمن هذي الوجوهْ ؟

...

و لمَّا عجزوا أن ينطقوهْ

شنقوهْ

...

بعدَ شهرٍ برَّأوهْ !

أدركوا أنَّ الفتى

ليس هوَ المطلوب أصلاً

بل أخوهْ ,

و مضوا نحو الأخ الثاني

و لكن ... وجدوهْ

ميّتاً من شدَّة الحزنِ

فلم يعتقلوه . " [1]

إنَّ شعور الشاعر في الموت والعبث ليس هي ما يستشعره غيره من الشعراء ذي النزعة الوجودية مثل الشاعر حسين مردان ونازك الملائكة و بلند الحيدري وخليل

[1] المجموعة الشعرية : 70

حاوي ولميعة عباس عمارة ، ومالرو وهم ينظرون إلى الجبرية الكونية في مسألة العبث الوجودي ، إنما هو يلقي تبعات ذلك العبث وتقرير المصير على السلطات التي هي سبب ما يعيشه الإنسان من تلك النزعات التي جعلت الحياة لاتطاق ، فصار يشعر بالاغتراب والقلق والضياع من غياب الحرية؛ نتيجة استبدادها وظلمها ، فهو أكثر واقعية ؛ لمنح تلك الظواهر أسبابها المنطقية .

و قصيدة (القتيل والمقتول) واحدة من بين الكثير من القصائد التي ضمها ديوان الشاعر وهي تتحدث عن عبثية الموت وعبثية القائمين عليه من أزلام السلطة ، وهي تقرر مصائر المعارضين لها ، يقول :

" بينَ بينْ

واقفُ ، و الموت يعدو نحوهُ

من جهتينْ .

فالمدافعْ

سوف تُرديه إذا ظلَّ يدافعْ .

و المدافعْ

سوفَ ترديه إذا شاء التراجعْ !

واقفٌ ، و الموت في طرفةِ عينْ .

أين يمضي ؟

المدى أضيقُ من كِلمَةِ أين !

ماتَ مكتوف اليدين .

مَنَحوا جثَّتهُ عضويَّة الحزبِ

فناحَتْ أمُّهُ : وآحرَ قلبي

قتَلَ الحاكِمُ طِفلي

مرَّتين ! " [1]

فنـراه يعـيش الحيـرة مـن ضـيق المـدى والمـوت يحـدو حولـه إن دافـع أو تراجـعَ فيتساءل عن الجهة التي يتجه لها للخلاص منه ، بينما هو يموت مكتوف اليدين ، وأنَّ سبب موتـه المـوت هو ظلـم السلطة حين تمنحـه عضـوية الحـزب مـن دون أن ينتمـي إليـه ، إذ لا إرادة لـه إذا مـا نـزل عليـه المـوت ، أو أنزلـوه عليـه بمـا لايطيـق ، فالشاعر شأنه شأن بعض الشعراء ربطوا بين المطالبة "بالحرية وإحساسهم بالموت ؛ إذ رأوا في الموت سلباً لحريتهم[2], والشاعر في نصوصه يحتج على كل ما يجعل من الإنسان مقيداً في واقعه المأزوم .

أما عبثية الحياة في ذلك ضياع للحقوق ، فنراه يحتج على القنوط حينما يرى السكوت على الحق يغمر الكثير من أبناء شعبه ، فيرى ذلك عبثاً لا طائل منه فيقول في قصيدته (شروط الاستيقاظ) :

" – أيقِظوني عندما يمتلكُ الشعبُ زِمامهْ

عندما ينبسطُ العدلُ بلا حدٍّ أمامهْ

عندما ينطِقُ بالحقِّ و لا يخشى المَلامهْ

عندما لا يستحي من لبس ثوب الإستقامهْ

و يرى كل كنوز الأرض

لا تعدِلُ في الميزانِ مثقالَ كرامهْ

---

[1] المجموعة الشعرية : 141– 142

[2] الموت في الشعر العربي الحديث , د. أحمد بكري عصلة : 252

- سوفَ تستيقظُ ... لكن

ما الذي يدعوكَ للنومِ

إلى يومِ القيامةْ ؟ ! " [1]

إذ نجده يائساً محباً من عدم تحقيق تلك الأحلام التي هي في أساسها حالة صحية ، لكن لعبث العابثين يجد ذلك غير متحقق ، فيؤثر النوم طويلاً إلى أن يحل يوم القيامة ، ويبدو أنَّ النص يمثل احتجاج الشاعر على اليأس والقنوط الذي تمثَّله الإنسان ، وهو يلقي بأعبائه على الآخرين من دون أن يحرِّك ساكناً تجاه قضيته الحقَّة .

أمَّا الحيرة ، فقد أخذت حيزاً كبيراً من شعر الشاعر ، وهي فكرة مترسخة في الوجودية وهذه الفكرة " تحيل المرء إلى فكرة عبث الوجود الذي ضرب على وترها الفكر الوجودي واستلهمها الشاعر العربي المعاصر " [2]، وفي قراءتنا لشعر الشاعر نجده يتساءل في قصيدته (مَنْ أنا) عن حقيقته الوجودية التي يقول فيها :

" – أبذرُ القمحَ ؛

لكي تنبتَ ... أسرابُ الجرادْ .

أُخرِج النارَ ؛

لكي أُدخِلَ صُبحي في السوادْ

...

أقطعُ الأشجار ؛ كي تشنُقَني

أزرعُ الإصلاح ؛ كي تحصُدَني كفُّ الفسادْ .

---

[1] المجموعة الشعرية : 225

[2] الرؤيا والتشكيل : 163

كلُّ عمري للذي يعرفُ عني:

مَنْ أنا ؟ أين ؟

و مِنْ أيِّ بلادْ ؟

...

عائشٌ من غير زادْ

ميِّتٌ دونَ معادْ .

عربِّيٌ أنتَ في المنفى

و منفاكَ بلادٌ

نُفيَتْ منها البلادْ . " [1]

يبدو في النص أنَّ اليأس هو ما يجر الإنسان إلى الحيرة حتى في انتماءاته سواء أكانت للوطن أو القبيلة ؛ لما تسببه له من مرارة بالغة تدل على الضجر لما يقع من حيف على الواقع العربي الذي طالته يد الخمول إزاء التحديات ، فنرى الشاعر يتساءل من بلادٍ لايرى فيها النور أذا ما قابلها بالبلدان العالمية التي تعيش بحبوحة الحرية والرخاء الإقتصادي بينما وطنه على العكس من ذلك يشعر باليأس والقنوط اللذين يذهبان به في بئر الحيرة المظلمة .

و يقول في قصيدته (البرج المفقود) :

" أيُّ مولدٍ أنا ؟

موتي وميلادي سواءْ !

أنا لا أملكُ لي فجَّاً من الأرضِ

---

[1] المجموعة الشعرية : 293

و لا أملكُ برجاً في السماءْ !

أينَ برجي ؟

إنْ يكن (دلواً)

فما لي لم أقفْ يوماً بصفِّ الزعماءْ ؟

...

طائحٌ حظي

و برجي مثلُ حظي طائحٌ

لم يكتشفْهُ العلماءْ

فهو لا دارَ على محورهِ يوماً ،

و لا يوماً أضاءْ

أنا من بُرجِ الفناء !

عَبرتْ أمِّي شهور العامِ سَهْواً

ثمَّ لما مَخِضتْ بي

كانَ ميلادي بشهرِ الشرفاءْ . " [1].

نراه يعلن حيرته أمام البروج التي لاينتمي إليها ، فهو لاينظر إلى ما وضعه علماء التنجيم لولادات الناس ومسار أرزاقهم ، ولعله لايحبُّ العيش مع الناس وأفكارهم الدنيوية أو النظر إلى أعراف يرون منها ما يشير إلى تحقق سعادتهم أو تعاستهم ، فهو يعد ذلك ضرباً من المحال ، إذ لا يجد ذاته وفكره فيه ، إنما وجد حقيقته بـ (شهر) الشرفاء الذي لاينتمي الى تلك الضروب ، فيأنف الفكر الراجح أن

[1] المجموعة الشعرية : 306 وما بعدها

يكون منها . ويبدو أنَّ العزلة هي ذاتها الاغتراب ، أي هو الانفصال أو الانسلاخ عن الذات والمجتع ، أو انعدام الشعور بمعنى الحياة [1].

و في حثه الشعب على المطالبة بحقوقه ورفض القنوط الذي ألمَّ به محتجاً على مقدار العبث بمقدراته نتيجة السكوت والجبن والخذلان ، يقول في قصيدته (بحث في معنى الأيدي) :

" أيُّها الشعبُ ،

لماذا خلَقَ اللهُ يديك ؟

أ لكي تعملَ ؟

لا شُغلَ لديك .

...

حاشَ للهِ

لقد سوَّاهما ؛ كي تحمِلَ الحكَّامَ

من أعلى الكراسي ... لأدنى قدميكْ !

و لكي تأكلَ من أكتافِهم

ما أكلوا من قدميك !

و لكي تأكلَ من أكتافهم

ما أكلوا من كتفيك .

و لكي تكتبَ بالسوطِ على أجسادِهم

ملحمةً أكبر مما كتبوا في أصغريك .

---

[1] ينظر : الفلسفة الوجودية : 166

هل عرفتَ الآن ما معناهما ؟

انهض إذن .

انهض وكشِّر عنهما

انهض

وَدَع كلَّكَ يغدو قبضتيكْ ." [1]

إذ نرى الشاعر ساخطاً وداعياً إلى الانتفاضة ضد الحكام العابثين بمقدرات الشعوب لاسيما أبناء بلده الذين أجبرهم النظام على السكوت ، لكن الشاعر بنزعته الوجودية يرى أنَّ المطالب لايمكن أن تتحقق إلا بالقوة ، وأن أداتها هي الأيدي التي خلقها الله للعمل بها واسترداد الحقوق المسلوبة , وأنَّ التغاضي والقنوط هو ليس من طبيعة البشر ؛ لأن الله تعالى خلقهم منذ الولادة أحراراً وخلق لهم دواعي الخير للعيش في حياة حرة كريمة ، وعلى المرء الذود عن حياضها إذا ما انتابتها المخاطر .

كما نراه يجاهر بانتفاضة ضد السلطات التعسفية محتجاً على الواقع المزري بتضييع الحقوق وغياب العدالة ، فنراه يقول في قصيدته (ويرسل الصواعق) :

" إنَّ الصواعِقَ تنقضُّ

الساعةُ من صوبِ الغيبِ

آتية تبحثُ عن (رأس المال) ؛

لِتُشعِلَ فيه الشيب !

لا ريبَ ستجعلُ من هذا النفط ضياءْ

في ليلِ جميع الشرفاءْ

و تصيّرهُ محرَقةً لملوكِ الغيبْ

---

[1] المجموعة الشعر ية : 226– 227

إنَّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبْ . " [1]

إنَّ هذه الأحداث يراها ستتحقق في ظهر الغيب ؛ ليتحول النفط إلى حرائق وكأنه يتنبَّأ بحرب الخليج التي احترقت فيها آبار النفط جراء القصف والتفجير لتلك الآبار . والذي يغري أن الشاعر يرى في ذلك الأفق أنَّ الاحتلال الأمريكي واقع لامحالة ليس كما يدعي المحتلون في دعواتهم للحرية ، إنما من أجل رأس المال الذي يتحقق من السيطرة على ثروات المنطقة . ويبدو أنَّ الشاعر بنزعته الوجودية نظر نظرة قاصرة ، فهو يجد في التغيير نشدان الحرية شأنه شأن الكثير من العراقيين حينما لوحت أمريكا لغزو العراق إلا أن العكس قد حصل إذ ضاعت نسائم السعادة في دخان الأمنيات . وكأنَّ الساعة الآتية هي الحل لأزمة المواطن العراقي ؛ ما جعلنا نلتمس من شعور الشاعر نزعته الوجودية التي يراها حسب زعمه تحقق له ولأبناء الشعب مطلبه على الرغم من استغلال خيرات بلاده للأجنبي .

بينما قصيدة (إرادة الحياة) التي يتناص بها مع الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي بيد أنه يفترق معه في تعامل الأول مع الكون المطلق المُمثَّل بالقدر وبين الشاعر الذي يرى مصيره معلَّقاً بسطوة المارينز حين صار الوطن تحت وطأة أقداره، يقول :

" إذا الشعبُ يوماً أراد الحياةْ

فلا بدَّ أنْ يبتلى بالمرينزْ .

و لا بدَّ أنْ يهدموا ما بناهْ

و لا بدَّ أنْ يخلفوا الإنجليز

و من لم يتطوَّع لشتم الغزاة

يُطَوَّع بأولادِ عبد العزيزْ .

---

[1] المجموعة الشعرية : 321

فكيفَ سَيُمكنُ رفعَ الجِباهْ

و أكبرُ رأسٍ لدى العُرْبِ ط... . " [1]

إنَّ قدر العراق هو ابتلاؤه بالمحتلين من المارينز الذين قطعوا البحار والمحيطات بعد حقبة احتلال الانكليز للعراق ، حتى جاءوا بإسقاط النظام في العراق عام 2003 بذريعة واهية ، فالشعب حينما أراد الحياة كان قدره ذلك , فنرى الشاعر يحتج على هذا القدر المأبون ، كما أنه يحتج على حكَّام السعودية حين تواطأوا مع الأمريكان بتحالفهم المشين الذي به لا يمكن رفع الرؤوس بعد هذا الفعل للعار الذي حلَّ بهم .

و التحدي واحد من مظاهر النزعة الوجودية ، فقد مثَّلتْ رؤيا الشاعر لردة الفعل الواجبة ضد التعسف المادي والمعنوي "في مقاومة هذا التعسف بالكلمة الخالقة متحديةً صانعيه ، وباثة الثقة في النفوس المغلوبة ؛ لتتحمل مسؤوليتها التاريخية , وفرض وجودها " [2] وقد وجدنا هذا التحدي في قصيدة (ثارات) التي يقول فيها :

" قطفوا الزهرةَ ...

قالتْ

من ورائي بُرعمٌ سوفَ يثور .

قطعوا البُرعمَ

قالتْ

غيرهُ ينبضُ في رحم الجذورْ

قلعوا الجذرَ من التربةِ... .

---

[1] المجموعة الشعرية : 43

[2] النبوءة في الشعر العربي الحديث دراسة ظاهراتية : 171

قالت :

إنني من أجل هذا اليوم

خبَّأتُ البذورْ

كامنٌ ثأري بأعماق الثرى

و غداً سوفَ يرى كلَّ الورى

كيفَ تأتي صرخةُ الميلاد

من صمت القبور

تبردُ الشمسُ ... ،

و لا تبردُ ثارات الزهور. " [1]

يلوح الشاعر بطلب الخلاص وهو حالة طبيعية لجميع أشياء الطبيعة من أجل البقاء وحفظ النسل ، فنراه يضرب الأمثلة لذلك ، فالزهرة وإنْ قُطِفتْ فلها جذر يولدها من جديد ، وإن اجتث جذرها فهي تخبِّئ بذورها بأعماق الثرى من أجل الأخذ بثأرها، وهي تنافح من أجل وجودها . وفي هذا المثال نتلمس شاعرية الشاعر في استجلاب الأمثلة من الواقع ؛ ليضفيها على تطلعات الإنسان بطريقة جمالية ، يقول غولدمان : " إنَّ العمل الأدبي تعبير عن رؤيا العالم عن طريق النظر والإحساس بكون ملموس مشتمل على كائنات وأشياء ، أوالكاتب إنسان يعثر على شكل ملائم ؛ ليخلق ويعبِّر عن هذا الكون " [2]، ومن هذا نجد الشاعر ينطلق برؤاه ؛ ليحقق صورة الوجود من خلال الأشياء التي من معاني وجودها يمثلها للإنسان في معالجة قضاياه حتى الكبرى منها .

---

[1] المجموعة الشعرية : 222

[2] الفن والحلم والفعل ، جبرا ابراهيم جبرا : 40

و الدعوة إلى الحرية التي تمثل مضموناً من مضامين الوجودية التي قوامها العقل "وكأنما المرء قد أصبح روحاً أو عقلاً خالصاً، وفي هذه المرحلة لن يكون ثمة موضع لانعدام الجبر واللاحتمية ، إذ أنَّ أفضل الأشياء مطابقة للعقل هو ما لا بدَّ بالضرورة أنْ يتحقق " [1] ويبدو أنَّ الشاعر يتعامل مع الواقع لما يراه حقيقة واقعة من أجل أنْ يتنعَّم بحياة حرَّة كريمة . ويبدو أنَّ هم الشاعر هو الحرية ؛ لأنَّ شمسها لا تختفي عن إرادته ، معبراً عن ذلك بقصيدته (اقتباس) التي يقول فيها :

" إنَّها لا تختفي .

إنَّها تقضي الليالي دائماً

في معطفي ،

دائماً تحضنُ في الظلمةِ قلبي

هذه الشمسُ ... ؛

لكي لا تنطفي. " [2]

فهو من يغذيها بالحقيقة التي يؤمن بها ؛ ما جعله يلهج بها في معظم أشعاره يقول برديائييف : " إنَّ الحرية ليست نتاج الضرورة ، ولم يوافق على أي حقيقة تكون صادرة عن الحرية وراجعة إليها ، فهي شيء أساسي لديه ؛ كونه لم يستعمل الحرية كما استعملها الفلاسفة المحترفون على أنها حرية الإرادة ، إنما ذهب أبعد من ذلك ، فهو يرى أنَّ في الحقيقة أقرب ما يكون حرَّاً [3]، وهذه هي أبسط مناداة للإنسان أن ينشد حريته ليعيش آمناً معافى .

إنَّ الشاعر حقق ماتصبو له ذاته شعراً عبَّر بها عن مطالب الشعب المفقودة كما أنه عالج موضوعات متنوعة طرحتها النزعة الوجودية وهي متغلغلة داخل الإنسان والتي قوضتها الأنظمة بأساليبها الفاشية التي عاثت بأمن المواطن واستلاب حقوقه المشروعة .

---

[1] مشكلة الحرية ، د. زكريا إبراهيم : 64

[2] المجموعة الشعرية : 285

[3] ينظر : الفلسفة الوجودية عند نيقولا برديائييف : 139

المبحث الرابع

الرؤيا النفسية

يبدو أنَّ قراءة النصوص الأدبية لا سيما الشعرية من منظور سايكولوجي، أي قراءة الشعور واللاشعور لدى الأديب الشاعر وهو حين تعتمله نزعته الوجودية وهي تتنمط بمشاعر الحزن أو الفرح ، الضيق أو السعة ، الألم أو الراحة يظهر لنا من طريق كتاباته التي تفرزها تجربته الحياتية تجاه الحياة و الوجود والكون .

و لعل الرؤيا النفسية لدى الشاعر "واحدة من شبكات الرؤيا الشاملة للفنان الشاعر لا تتحدد بالمفاهيم النظرية التي يدرسها منهج التحليل النفسي ... إنَّما تسعى هذه الرؤيا ؛ لتقدم نظرة الفنان الشاعر مدخلاً أدبياً جمالياً من منظور الإحاطة بجوانب الأسلوب السيكولوجي للسلوك الإنساني " [1]، فهي تسبر أغوار النفس ؛ لتتشابك مع أنساق الرؤى الأخرى لا سيما الوجودية والاجتماعية والسياسية والميتافيزيقية والاستشرافية و هي تحمل "في ذاتها رؤيا العالم الإنساني الخفي واستدعاء تجليات اللاشعور الجمعي غير ذلك لن يتأتى إلا بمعاناة الفنان التي تستمد قوتها من الإحساس بوجود الذات في طبيعة العمل الفني الذي أرجعه النفسانيون إلى الحالات الانفعالية ، والتجربة اليومية " [2].

و لما كان الشعر يمثل شعور الانسان حين يترجمه الى كلمات فقد تعرض إلى دراسات كثيرة بوصفه جزء من الأدب ومنهم دراسات سيغموند فرويد للأدب ورؤيته من أن نتاج الأديب يمثل اسقاطات لما قد حرم منه في واقعه المعيش ، بينما أدلر أوعز ذلك إلى سد النقص أو الشعور بالنقص وإشباع الغرائز التي يستشعر الإنسان من خلال فقدانها دونيته ؛ ما يشكل لدى الفنان قوة وهاجة لتحريك مشاعره ،أما كارل يونغ ، فقد عدَّ الأدب هو استكشاف ما ترسَّب في أعماق البشرية التي تراكمت مع

---

[1] الرؤيا والتشكيل في الشعر العربي المعاصر : 134

[2] الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ، د. عبد القادر فيدوح : 9

الزمن بما أطلق عليه اللاشعور الجمعي[1]. بينما يذهب لاكان أنَّ هناك "ماهو حقيقي وما هو متخيل وما هو رمزي ... الذي يسيطر على الواقعي وعلى المتخيَّل ... إنَّ في اللغة التي استخدمها يوجد نوعان من الرمزي ، ويمكن تسمية أحدهما نسبة إلى علم الجبر، ... والآخر يمكن تسميته بالجبر الصوفي بأوسع معاني الصوفية لا بمعناها الديني حسب ، والرمزي الجبري كامن كموناً خفياً في اللغة ، أما الرمزي الصوفي ، فهو كامن كموناً خفياً قبل اللغة وقبل التعبير وهو الذي يرمز لكل الأنشطة المبدعة الخلاقة عند الإنسان"[2]، ومن تلك الطروحات توافقت رؤى الأدباء لاسيما الشعراء في التعبير عن رؤاهم النفسية المضطرمة حين تؤجج نفوسهم الأحداث .

و يبدو أنَّ الرؤى النفسية تجعل من الكلمات ترسم نبض النفس ؛ لتحلق من خلال المخيلة تلك الرؤى التي تكاد تعبر عن الذات وما تستشعره تجاه الطبيعة والوجود الإنساني ؛ لأن " وجود النص الإبداعي المعاصر في إطار الإشارات النفسية يحتم علينا فهم العلاقات الداخلية التي تهب النص معناه الحقيقي في تفاعله مع التوازن الداخلي للذات التي أبدعته "[3]ويمكن لنا أن نتلمس ما حققته رؤية الشاعر النفسية في أشعاره .

فالشاعر في قصيدة (الصدى) يبرِّز صراخه تجاه هذا الوجود الذي ينسفه الموت ، فهو يقول :

" صرَختُ : لا

من شِدَّةِ الألمْ

لكنْ صدى صوتي

---

[1] ينظر: طريقة التحليل النفسي والعقيدة الفرويدية ، ترجمة حافظ الجمال : 46 , و ينظر : الاتجاه النفسي لنقد الشعر : 68 ، وينظر: مشكلة الفن ، زكريا إبراهيم :192 .

[2] الفكر والمعاصرة : 225

[3] الرؤيا والتشكيل : 136

خافَ منَ الموتِ

فارتدَّ لي نعمْ ! " [1]

و يبدو أنَّ الشاعر يجاهر في محنته رافضاً كل الوسائل التي تسبب له الألم النفسي الذي يحيق به , ثم يعلل أنَّ صدى صوته خاف من الموت، فتراجع؛ ليقول : نعم . ويبدو أنَّ رؤيته النفسية للموقف جعلته لم يتوقف على مبدأه حين أعلنه جهاراً , وهكذا يُفعل بالأحرار في زنازين الاعتراف ؛ ليزداد الألم شدة حين يلاقي ما هو أصعب منه وهو التراجع إزاء الموت . إذ نرى الشاعر يعبّر عن الصراع الداخلي الذي ينتاب ضحايا الأنظمة جراء العسف والعنف المميت الذي يلحق بهم .

إنَّ هواجس الموت هيمنت على تفكير الشاعر وإحساسه لمأساوية الظروف وقسوتها ، و الموت لدى الشاعر المعاصر " لايرتبط بحادث معين ، أو بفكرة معينة، أو بموقف محدد ، وإنَّما ينبع من إحساس دفين لايدري سببه و لا يعرف مثيراته" [2]، كما يرى أحمد بكري عصلة لكن على العكس أنَّ الموت لدى الشاعر الثوري المعاصر واضحة أسبابه ومثيراته ، فصار يرفضهما رفضاً قاطعاً ، فقد نجد احتجاج الشاعر أحمد مطر لسبيل واضح في قصائده التي ترجمها برؤاه المتنوعة ومنها رؤيته النفسية ، يقول في قصيدته (ابتهال) :

" كُلٌّ من نهواهُ ماتْ

كلٌّ ما نهواهُ مات

رَبِّ ساعدْنا بإحدى المُعجِزاتْ

وأمِتْ إحساسنا يوماً ؛

لكي نقدِرَ أنْ نهوى الولاةْ . " [3]

---

[1] المجموعة الشعرية : 14

[2] الموت في الشعر العربي الحديث : 368

[3] المجموعة الشعرية :117

و التوق للماضي هو شعور عام يستشعره الجميع " فنحن نفكر في الماضي ونستشعره ونشعر في تذكّره بمشاعر لذيذة ، وهذا هو جوهر العاطفة , ومن ثم فنحن لا نكون إلا الماضي " [1] ويرى كل من وما في الماضي من هذا الشعور الجميل قد مات لكن الحاضر هو ما فُرض علينا متوسلاً بحالة من الخشوع داعياً الله تعالى أن يميت الإحساس لديه ؛ كي يهوى الولاة ، وهو شعور بالاحباط وضياع للمستقبل ؛ لعدم استشعاره بطعم الحياة في كلا الحالين ، الأول هو قبول الحال على مضض، والآخر هو موت الأحاسيس ، ومن ثم لايكون هناك من طعمٍ للحياة . ويبدو أنَّ الشاعر حين يطرق لفظة الموت يميل كثيراً إلى أسلوب التداعي اللفظي من أجل أنْ يحقق شيئاً من الإيحاء أو ليصور به الشعور والوجدان ، واستذكار الموت هو سبب لرؤية الشاعر النفسية لاختيار تلك الألفاظ وتكوين تلك الأساليب ذات الدلالات النفسية الواضحة . [2]

أما قصيدة (الصحو في الثمالة) ، فهي تمثل القهر والاستبداد الذي يطال الشاعر؛ مما يشعره بالضياع والغربة ، فنراه يقول :

" أكادُ لشدَّةِ القهرِ

أظنُّ القهر في أوطاننا

يشكو من القهرِ!

و لِي عذري

لأنّي أتقي خيري ؛

لكي أنجو من الشرّ

فأُنكِرُ خالقَ الناسِ ؛

---

[1] نقلاً عن الموت في الشعر العربي الحديث : 361

[2] الموت في الشعر العربي الحديث ، تأليف أحمد بكري عصلة : 468

ليأمنَ خانقُ الناسِ

و لا يرتابُ في أمري ؛

لأنَّ الكفرَ في أوطاننا

لا يورث الإعدام كالفكرِ

و أُحيي مَيْتَ إحساسي

بِأقداحٍ من الخمرِ

فألعنُ كلَّ وسواسٍ وخنَّاسٍ

و لا أخشى على نحري

من النحرِ ؛

لأنَّ الذنبَ مُغتَفَرٌ

و أنتَ بحالةِ السُّكرِ . " [1]

فهو يبحث عن ملاذ آمن في حالة الصحو وهو يعيش ثمالة الخمر ، ويعني: أنَّ الخمر هنا يمثل شعوره بالوطنية والانتشاء بها حد الثمالة ، فنراه يلعن من يوسوس له ، ويقصد بذلك السلطة وأذنابها في أفعالهم التي تستفزّه عندها لا يخشى من نحرهم له ، إذ نرى الشاعر يعيش في حالتين الأولى البحث عن الاستقرار ، والآخر هو التحدي حينما يعيش بحالة نفسية مغايرة .

و من التحول أيضاً حنقه ضد التعسف والتعنيف ، يقول في قصيدته (البيان الأول) :

" وطني وسط دواة الحبرِ غاصْ

[1] المجموعة الشعرية : 23

ثُمَّ غاصْ

ثُمَّ غاصْ

قَلَمي في لُجَّةِ الحبرِ اختنقْ

وَ طَفَتْ جُثَّتُهُ هامدةً فوقَ الورقْ

روحُهُ في زَبَدِ الأحرفِ ضاعَتْ في المدى

و دمِي في دَمِهِ ضاع سُدى

و مضى العمرُ ، ولم يأتِ الخلاص

آه يا عصرَ القصاص

بلطةُ الجزَّار لايذبحُها قطرُ الندى

لا مناصْ

آنَ لي أنْ أتركَ الحبرَ

و أنْ أكتبَ شعري بالرصاص! " [1]

و لعلنا نجده يائساً لضياع وطنه وكلماته التي يبوح بها تجاهه ، ودفاعه عنه، إذ لايمكن لقطر الندى أنْ يذبح بلطة الجزار ، في إشارة إلى أنَّ القلم مسالم، و لايمكن للمسالم أن ينتصر على حامل السلاح ، ولعله يصارع استرداد هذا الوطن ، فلم يجد وسيلة لاسترداده إلا بالمقاومة ، إذ لاتستجيب السلطة إلا بحمل السلاح .

و نجد الشاعر يعيش الضياع من جرَّاء المهانة التي تستولي عليه ، وبذلك نرى شاعرنا يبث استيائه لحالته النفسية المضطربة وجزعه تجاه الحكومة التي تصعد بمن يقف بوجهها حد الجنون وهو لايستطيع أن يفعل شيئاً تجاه ذلك غير أن يقول في قصيدته (البؤساء) :

---

[1] المجموعة الشعرية : 52

" آه لو يدريَ حكَّام بلادي

مَنْ أكون

آه لو هم يُدرِكونْ

لَدَعوا لي بالبقاءْ

كُلَّ صُبحٍ ومساءْ

أنا مجنونٌ ؟

أجل أدري

و أدري أنَّ أشعاري جنونْ

لكنْ الحكَّام لولاي

و لولا هذهِ الأشعار ماذا يعملون ؟

فإذا لم أكتب الشعرَ أنا

كيف يعيش المخبِرون ؟ " [1]

نرى الشاعر يبدأ نصه بـ (آه) ثم يكررها ، وهذه الظاهرة الأسلوبية تحمل في طياتها صراخ الذات التي تمثل مجالاً دلالياً شاسعاً "يتضمن الوظيفة الصوتية والصورية والحسية والرمزية " [2]، فهو يصف إحساسه أنه بلغ مبلغ المجنون أثر استيائه من مراقبة المخبرون وهمَّه تجاه قضية الوطن كما نراه يصف الحالة النفسية التي يعيشها الحكَّام ، إذ أنَّ جُل اهتمام سياستهم منصَّبة على اعتقال من نبس بكلمة ضدهم .

---

[1] المجموعة الشعرية : 68

[2] الرؤيا والتشكيل : 233

يحاول الشاعر أن يعبر عن أحاسيسه برفضه لسياسة القمع وكأن السلطة ليس لها من عمل سواه وأنَّ مخبريها لم يكن لهم إلا التجسس على المواطنين؛ لاعتقالهم بتهم التآمر على النظام .

و مظاهر "القلق والضياع والتشرد والاغتراب الوجودي لها بصمات جليَّة تشكِّل ضغوطها بوصفها عوامل نفسية فاعلة ، ومؤثرة على الرؤيا الشعرية المعاصرة " [1]، فنراه في قصيدته (الغريب) يعلن رفضه من طريق رؤيته النفسية التي مثَّلها الاغتراب، إذ يقول :

" كلّ ما في بلدتي

يملأ قلبي بالكمدْ

بلدتي غربةُ روحٍ وجسَدْ

غربةٌ من غيرِ حدِّ

غربةٌ فيها الملايين

و ما فيها أحدْ

غربةٌ موصولةٌ

تبدأُ في المهدِ

و لا عودةَ منها ... للأبدْ ! " [2]

فالشاعر يبوح بغربته النفسية ، إذ نراه يحتج لما في بلدته من أسباب الكمد الذي يدفعه إلى أن ينعزل من مجتمعه على الرغم أن فيه الملايين ، لكن لا يستشعرهم ، فهو لايرى فيها روح أو جسد ؛ ما جعله يؤنب ضميره ؛ لذلك آثر العزلة والانقطاع وكأنه يرسخ لديه شعور الموت ، وهذا الإحساس أورده فرويد في كتابه (مبدأ اللذة)

---

[1] الرؤيا والتشكيل : 149

[2] المجموعة الشعرية : 330

من أنَّ هناك في كل إنسان غريزة الموت ويسميها بـ (الثانتانوس) من اسم الشخصية الأسطورية التي ترمز للموت ، وهي الغريزة التي من الصعب العثور عليها ؛ لتخفيها وتسترها بحجب كثيفة ، وقد استخدمت ميلاني كلين هذه النظرية في فهم أعراض الندم وتأنيب الضمير [1]؛ ما جعله منقطعاً يعيش مع ذاته ، وكأنه كئيب منذ ولادته لجسامة الظلم المحدق بما رُسِم للشاعر خطأ ، وحدد له اتجاهاً وحقق فيه سيادة غرض من أغراضه الشعرية ، فيندر أن يجرَّد من حزنه وحالة الاغتراب المجتمعي فيه [2] ، فنراه يعي ما حوله وما يجعله غير مستشعر لحياة يسودها الأمن والأمان .

و الزمن النفسي شكَّل ظاهرة من ظواهر رؤيا الشاعر النفسية بوصف الزمن "ينبثق من داخل الذات , ومن أعماق أحاسيسنا ومشاعرنا... والزمن النفسي زمن إنساني بمعنى الكلمة ... يمثل حركة الوجود الإنساني في تغيُّره وصيرورته ، في انتصاره وانكساره من خلال تعامل الإنسان مع أخيه الإنسان ، ومع الطبيعة والوجود وحركة الأشياء، بمعنى آخر ، أي بتوحده واندماجه الذاتي بالعام الموضوعي أو الخارجي "[3] ، ويبدو أنَّ الشاعر في قصيدته (رؤيا) يبين قلقه بين ثبات الدقائق وسرعتها المضطربة ، وهو يرى في مخياله الرؤيوي إنه يعيش ما بين الإفاقة والنوم الخفيف ذلك ما يمثل حالة اضطراب وخوف مشوبين بالحذر والترقب ، يقول :

" عيناي ما بين الإفاقةِ والوسنْ

عينان ماؤهما سكنْ

الأرض في مرآتهِ تصحو ؛

لتغزِلَ ثوبَ يومٍ مُقبِلٍ

و يدور قطبَ المِغزَلِ

---

[1] ينظر : الفكر والمعاصرة : 221

[2] ينظر : نقد الشعر في المنظور النفسي : 93- 94

[3] الزمن في الشعر العراقي المعاصر , مرحلة الرواد : 39

فأرى الزمن

يلوي عقاربَهُ على عنق الدجى

و أرى خيولَ الصبحِ مُقبلةً

تجرُّ لهُ الكفَنْ .

وأرى حوافرها تُمهِّدُ قبرَهُ

وضباحُها

(ألا أيها الليل الطويل ألا انجلِ...

ألا أيُّها الليل الطويل ألا انجلِ)

...

الليل آذنَ بالرحيل

فيا رفاقي

تصبحون على وطنْ . " [1]

و الزمن حين يلوي عقاربه على عنق الدجى ، وكأنه أداة ذلك الزمن فشبهه بالحبل الذي يشنق الشاعر في توقفه ، إذ لا زمن مع الموت ، ليجسد الزمن بأنه فعل مؤلم بينما خيول الصبح مثلت تلاشي الحياة بوصفها هي من تهيء الكفن؛ لأن الليل هو أداة القبض ، بينما الصبح هو وقت تنفيذ الجريمة ، وبهذا فالليل منح النص معاني متعددة هي الستار ، والظلم ، والتغييب ، والتباطؤ وجميعها مثَّلتْ توقف الزمن فيه ، ما جعل الوطن يضيع بين فرائس الظالمين .

و لعل الشاعر أمام الضغوط النفسية التي تراكمت عليه نجده يطرح أسئلة الحيرة أمام المصير الذي يراودهُ ، فهو يقول في قصيدته (مواعيد) :

---

[1] المجموعة الشعرية : 87- 88

" لا تسلني

أيَّ وقتٍ ستراني في غدٍ ؟

أو أين ؟ أو كيف ؟

فإنّي

ربَّما قلتُ سأقضي الليل في بيتي

فأقضيهِ بسجني !

ربَّما أدعوكَ للمسرحِ

لكنْ

قبلَ أنْ أبلُغَهُ

أفقدُ عيني . " [1]

فهو لايستطيع تقرير مصيره أمام ما يعتمله من ضغوط نفسية جعلته قلقاً غير مستقر مخاطباً الآخر (الصديق) مستعملاً حرف الشك (ربَّ) في ثيمة كل جواب لسؤال مُفترض ما يزيد فهمنا أنه يعيش حالة القلق والاضطراب الذي يعيشه .

و قصيدة (انهيار المملكة) التي يقول فيها :

" أمسي ماتْ

يومي مشدودٌ في حبل

يتأرجح ما بين القتل وما بين القتل

و غدي ... مشلول الخطوات

---

[1] المجموعة الشعرية : 107

يا واهِبَ مملكة العقل

كَبُرتْ دائرة المأساةْ

كَبُرتْ دائرة المأساةْ

كبرتْ

كبرتْ

حتى ضاقتْ

كيفَ أحرِّر ذاتي

و أنا مُعتَقلٌ في الذاتْ . " [1]

و يبدو أنَّ "قلق الإنسان إزاء مستقبله يجعل من زمنه النفسي بطيئاً رتيباً كأنَّهُ يوشكُ على التوقف ... إنَّ فزع الإنسان ؛ بما تأتي به أيامه القادمة يشعره بالحصار المحكَم ويغلق أمامه نوافذ المستقبل ، بل قد يفرض عليه هذا الفزع نوعاً من السكونية وعدم استشراف لحظات المستقبل "[2] ، وشعوره بالضيق مما يجعل رؤيته الفنية تبوح بمقدار المأساة التي يتجرعها المواطن ، وهو يقاسي هذه المعاناة الأليمة التي تمثل سبب إحساسه بالقلق ؛ نتيجة سياسة الحكومات التي ليس لها سوى العنف والاستلاب وسيلة ؛ لإقامة عروشها وعلى حساب راحة مواطنيها . فالقصيدة إذن تمثل احتجاج الشاعر على ممارسات القمع للمواطنين.

و لعل اكتئاب الشاعر لربما منذ ولادته ، يعزز ذلك أنَّ معظم أشعاره تشير إلى هذا الإحساس ؛ ما يجعله " يستجيب بقدر يفوق استجابته الأولى لقدرة طابعة له بطابع الحزن والعتمة لنداء الطبيعة مجتمعاً ونواميس وعوامل ضغط وحصار ، فيصير كئيباً بالانفعال ويصير داؤه كآبة انفعالية ، إنَّها بيئة الشاعر إذن ، وإنه وسط

---

[1] المجموعة الشعرية : 111 – 112

[2] الزمن في الشعر العراقي المعاصر ، مرحلة الرواد : 44

الشاعر إذن وإنه انفعال الشاعر بما حوله إذن " [1] والإحباط واحد من موضوعات الرؤيا النفسية التي تمثل رؤيا الوجود ،فنراه في قصيدته (تحت الصفر) يقول :

" أيُّ قيمةْ

للشعوب المستقيمةْ

و سجاياها الكريمةْ

في بلادٍ هَلَكتْ

من طولِ ما دارتْ على آبارها

مثلَ البهيمةْ

و استقلَّتْ

و أساطيل العدى فيها مُقيمةْ .

...

أيُّ قيمةْ

للقوانين العظيمةْ

و هي قفازٌ حريريٌّ

لذي الكفِّ الأثيمةْ . " [2]

فالإحباط صورة من صور الرؤيا النفسية ، إذ أنَّ الشعور به يسبب تراجعاً في الطموحات واسترداداً وإحالة للاوعي الجمعي ، فيقوى لدى الانسان مستذكراً في الذاكرة الجمعية ما تراكم من الغاطس في أعماق الشعور لإحباطات الأمة على مرور

---

[1] نقد الشعر في المنظور النفسي : 93

[2] المجموعة الشعرية : 153

الزمن ، إذ أشار الشاعر (من طول ما دارت على آبارها) ، وكأنه يذكِّر بالاحتلالات التي تزاحمت على الأمة منذ مطلع العصر الحديث للسيطرة على البترول ، و لعل كارل يونغ ينطلق في تصوراته من أنَّ الفنان "إنسان جمعي حامل لرواء الروح الفاعلة اللاشعورية للإنسان"[1] ؛ التي تستشعر البناء السايكولوجي الجمعي حين تتأثر بالمؤثرات الآنية مثلما تستحضر عوامل القوة من الماضي حين تكون بحاجة للتطلع إلى ذلك ، أما (القوانين العظيمة) هي الأخرى كانت راسخة في الذاكرة الجمعية ، و تلك القوانين تبسط أذرعها على الناس الفقراء ، بينما ذوو السلطة لا تعمل فيهم تلك القوانين .

و الشعر هو رهن أحاسيس الشاعر تجاه موقف أو قضية ؛ لذا نراه في أحيان يعبِّر عن احباطات ، ومرة عن قلق ، وفي أحيان عن زهوٍ وانتصار وكل ما يخالج نفس الإنسان الشاعر ، فحين رأيناه محبطاً وجدناه في مواضع آخرى متحدياً قوياً ينافح من أجل قضية الوطن الكبرى وإنسانه المظلوم وهو ما نراه في كثير من قصائده , و منها قصيدة (مبارزة) :

" لو كان في حكَّامِنا شجاعةْ

فليبرزوا لي واحداً فواحِدا ,

وليحملِ الواحد منهم إنْ بدا

أيّ سلاحٍ

ما عدا

سلاحهُ المستوردا

ليمتشقْ خنجَرهُ

أو سيفهُ

[1] الإنسان والحضارة والتحليل النفسي : 40

أو العصا

أو اليدا

وسوفَ ألقاهُ أنا مُجرَّدا

و اللهِ في نصف نهارٍ

لنْ تروا منهم عليها أحدا. " [1]

فنراه يمنح متلقيه العزم والصمود تجاه ظالميه مستهزئاً بقدرات الحكام الذاتية التي هي من صِفَتِهم وهي اقصى قوَّتهم إذا ما كانت من دون مساندة خارجية متهكماً للتبعية التي لولاها لما بقي حاكماً في البلاد العربية ، و يبدو أنَّ هذه الروح المتحدية تمثل رؤية الشاعر النفسية في التحدي والمواجهة .

و الموت في أحيان لا يستشعره الإنسان الشاعر إذا ما عاش حالة النكوص حسب أدلر إزاء الملمات ، فنراه في قصيدته (لن تموت) يجاهر باللامبالاة والعبث لما يراه من واقع الأمة المزري في أسلوب تهكمي ، إذ يقول :

" لا ... لن تموت أمَّتي

مهما اكتوت بالنارِ و الحديدْ

لا ... لن تموت أمَّتي

مهما ادَّعى المخلوع و البليد

لا ... لن تموت أمَّتي .

كيفَ تموتُ ؟

مَنْ رأى من قبلِ هذا ميِّتاً

---

[1] المجموعة الشعرية : 166

يموتُ من جديدْ . " [1]

و كأننا نراه يتحدى الصعاب ووسائل الموت فهو يستعمل (لا ولن النافيتين) وكأنه موقنٌ أنَّ أمته لن تموت ، ثم في نهاية النص يجعل مفارقة بأسلوب الاستفهام يستدل على أنَّ أمته ماتت منذ زمن فكيف تموت مرَّة أخرى ؟! مما يظهر تهكمه تجاه من يتجاهل هذه الحقيقة المرَّة ، وهو شعور نفسي تبنَّاه بعدما بنى نصه على أسلوبي النفي والمفارقة ، فاتضحت لنا رؤيته النفسية شعوره بالإحباط لموت الأمة ، إذ ليس لها من قدرة على النهوض ، ما شكلت لنا رؤيته النفسية بعداً للصراع القائم في ذاته تجاه أُمته المنتَزَعة الإرادة .

بينما المطالبة بالحرية هو هاجس نفسي ، إذ أنَّ إيماننا "بالحرية أهمية كبرى في زيادة حريتنا الفعلية ، وآية ذلك أنَّ فكرة الحرية حينما تتمثل على صورة رغبة قوية في الاستقلال الخلقي ، فإنها سرعان ما تدخل في حياتنا النفسية "[2]؛ لذلك نرى دعوات أحمد مطر للحرية هي دعوات أخلاقية مباشرة ، وقد تفشت تلك الدعوات في الكثير من قصائده عبر كاميرا رؤاه المتنوعة ومنه عن لسان حال الفراشة يقول :

" أموتُ في النورِ

و لا

أعيشُ في الظلام .[3]

و في قصيدة (حديث الحَمام) التي يقول فيها :

حدَّث الصياد أسراب الحمامْ

قال عندي قفصٌ

أسلاكه ريش نعامْ

---

[1] المجموعة الشعرية : 192

[2] مشكلة الحرية : 202

[3] المجموعة الشعرية : 182

سقفهُ من ذهبٍ

و الأرض شمعٌ ورخامْ

فيه أرجوحةُ ضوءٍ مُذهلةْ

و زهورٌ بالندى مُغتَسِلةْ

فيه ماءٌ وطعامٌ ومنامْ

فادخلي فيهِ ، و عيشي في سلامْ .

قالتْ الأسرابُ

لكنَّ به حريةً مُعتَقلةْ

أيُّها الصيَّادُ شكراً

تصبحُ الجنةُ ناراً حين تغدو مُقفَلةْ ! " [1]

و هذه الروح المتحررة تعبِّر عن صفو الروح وأخلاقيتها التي ترفض الاستسلام والرضوخ في زنازين العبودية مهما توفرت للجسد من نعم ، لكن تظل القيمة الاعتبارية للذات تمثل راحة نفسية لا يستشعرها إلا المطالبون بالحرية " وعلى ذلك فإنَّ الحرية لاتصير حقيقة واقعة إلا إذا آمنا بها ، وبهذا المعنى يمكننا أنْ نقول : إنَّ الحرية هي وليدة اعتقادنا بالحرية ، بدليل أنَّ الشخص الذي يعتقد في نفسه أنَّه حر يختلف في سلوكه عن الشخص الذي يعتقد في سلوكه عن الشخص الذي يعتقد في نفسه أنَّه مُجبَر "[2]

أما الموسيقى فقد شكلت لديه رؤيا نفسية عبَّر بها عن نظرته تجاه الواقع المأساوي ، ومن ذلك التكرار الذي جعله إيقاعاً يتواءم مع الموضوع الذي يتناوله إذ نجد نماذج منه في قصيدة (المذبحة) التي يقول فيها :

---

[1] المجموعة الشعرية : 188

[2] مشكلة الحرية : 203

" كلُّ ما حولي عيونٌ مُغلقةْ

و شفاهٌ مُطبَقةْ

و أيادٍ مُوثَقةْ

و نفوسٌ وسْطَ أنفاس الأسى مُختَنِقةْ

أ أغنّي

أ أُغنّي مِثلَ نيرون

و روما في دمي مُحتَرِقةْ

...

كَبِدي منفتِقةْ

كبدي مُنفَتِقةْ

بي من الحقدِ محيطاتٌ

و غاباتٌ وبيد

و جبال شاهِقةْ

بي من الحقدِ خزينٌ

لو تجلَّى للسماوات لخرَّتْ صَعِقةْ. " [1]

فالتاء المربوطة تلفظ (هاء) عند الوقف ، وهي تمثل الآهة المُعبّرة عن ألم الشاعر ، وقد مثلت نقطة ارتكاز نغمية تبرز من وقت لآخر؛ لكي توجه الحركة النفسية [2]، فضلاً عن تكرار الكلمات (أغنّي ، كبِدي منفتقةْ) وما فيها من تهجدات

---

[1] المجموعة الشعرية : 172

[2] ينظر : التفسير النفسي للأدب : 88

تعبِّر عن حنق الشاعر للحكومات وحقده عليها ؛ ما جعله يستنكر الغناء , ومؤكداً على ما أصابة من ألم وحزن ، فنراه قد كرر عبارة (كبدي منفتقة) , فضلاً عن آهاته المتلاحقة التي أزمَّها في نهاية قوافيه .

و قصيدة (بلاد ما بين المنخرين) واحدة من القصائد التي تشير إلى ما يمتاح بدواخل الشاعر من ألم ولوعة تجاه المواقف الهزيلة التي أذلت الحكَّام ، بينما نرى الشاعر يتهكم على تلك المواقف ، وهو يخرج زفراته بصوت (الحاء) الذي يشير الى الحسرة والحرقة في مقطع القصيدة الأول ، إذ نراه يقول :

" أ لم يأتكم نبأ الاجتياحْ ؟

لقد كان هذا لكم عِبرَةٌ

يا أولي الانبطاحْ

يُباع السلاحُ لِقتلِ الشعوبِ

و يُشرى السلاح بقوتِ الشعوبِ

و ها قد علمتم

بأنَّ الشعوبَ سلاح السلاحْ

فهلَّا تركتم لها ما يُباحْ ؟

و ها قد عرفتم فتوح الحروبْ

فهلَّا تركتُم فتوحَ النكاحْ ؟! " [1]

فنراه يستنكر عليهم ضعفهم وانبطاحهم ، لما تقوم به اسرائيل من اجتياح للأراضي العربية ومنها سيناء والجولان ساخراً مرَّة ، ومتهكما مرات بما تمارسه

---

[1] المجموعة الشعرية : 175

الحكومات تجاه أبناء شعبها الذين هم من يمثل القوة الحقيقية لحماية البلاد ؛ كونه سلاح السلاح ؛ ثم يتهكم على الحكام بـ (هلَّا) على انشغالهم بالموبقات بينما يحبسون آمال الجماهير وتطلعاتها نحو الحرية .

و لعل الحيرة واحدة من رؤى الشاعر النفسية ، فنراه من خلال تداخل الحقيقة بالخيال يعرض لنا نزعته تجاه ما يحتج عليه ؛ لكي ينقل بهما " ذلك الصراع الداخلي الذي يعاني منه" [1] ؛ فنراه يقول :

" ما أصعب القرارْ

لو شِئتُ أنْ أختارْ

بين حياة القِطِّ ... أو

بين حياة الفارْ

فلا أنا مؤهَّلٌ

لأنْ أقود دولةً

و لا أنا لي رغبةٌ

في دور مُستشارْ . " [2]

فهو لا يقصد ذاته إنَّما حالة الرفض الذي تجعل منه أن يرسم صورةً في خياله للآخر الذي ليس له القدرة على قيادة بلد , وهو يمثل رئاسة ذلك البلد . فهو يظهر حيرته تجاه الواقع المزري الذي يتسيد فيه الضعيف لمسؤولية كبرى هي مسؤولية بلد بأكمله .

و الكبت دافع من دوافع الرؤيا النفسية ما جعله يحتج على الوضع الراهن ، فنراه يصور لنا مجادلة بينه وبين من يستنطقه قائلاً :

---

[1] التفسير النفسي للأدب : 44

[2] المجموعة الشعرية : 269

" – قل لنا يا ببغاء

إنْ يكن فيكَ ذكاءْ

لِمَ لا تخجلْ من ترديد ما تسمعهُ

صبحَ مساءْ

- لستُ إلا طائراً في قَفَصٍ

لا أرض من تحتي ،

و لا فوقي سماءْ

أنا محكومٌ بقانون التدلّي في الهواءْ

ليس لي أيُّ عزاءْ . " [1]

فنراه في حالة من الكبت تجاه الآخر يجعل منه متحدياً ، وهو يرسم صورة الناشط الذي يلقى به في زنازين التعذيب بسبب ترديده احتجاج الشاعر إزاء السلطة ؛ فيردد كما يردد الببغاء ، ما يجعل منه معلقاً في مروحة الزنزانة ليلقى شتى أنواع التعذيب .

إنَّ دور الإرادة يمثل المعاندة الذاتية " وتوفر عنصر التحدي والإصرار على الاستمرار بالوجهة التي قررتها الرغبة , وتستفيد الإرادة من عناصر الكبت و الحرمان ؛ لأنَّ الكبت يمثل عنصر تحريض دائم للإنسان الفرد" [2]. فنراه يمثل تلك الإرادة بقوله :

" إنَّني المشنوقُ أعلاه

على حبلِ القوافي

---

[1] المجموعة الشعرية : 295

[2] نقد الشعر في المنظور النفسي : 163

خُنتُ خوفي وارتجافي

وتعرَّيتُ من الزيفِ

و أعلنتُ عن العهرِ انحرافي

و ارتكبتُ الصدقَ ؛ كي أكتبَ شِعراً

و اقترفتُ الشعرَ ؛ كي أكتبَ فجراً

و تمرَّدتُ على أنظمةٍ خرفى

و حكَّامٍ خرافِ

و على ذلكَ ...

و قَّعتُ اعترافي . " [1]

فصورة التمرد لدى الشاعر تمثِّل خرق لكل ما هو معمول به من ظلم وتعسف ، صار كأنه حالة طبيعية في ظاهر الأمر ، فكلما شُدِّدت عوامل الكبت "على الإنسان بغية كبحه وإيقافه ، ولدت في اللاشعور تعزيزاً للإرادة الذاتية في الصيرورة والنماء " [2] ، فوجدنا شاعرنا يمزق ثوب الصمت ؛ ليوقع اعترافه و هو يكتب فجراً بعدما تمرَّد على سياسة الأنظمة تجاه أبناء الشعب .

و السخرية هي طريقة من طرق الانزياح التي يتحقق خلالها الرؤيا النفسية ، و قد شحن الشاعر كثير من قصائده بالسخرية من طريق المفارقة مرة ، والمواجهة المباشرة مرات ، فالسخرية " قد تنقل المتلقي إلى عوالم رحبة وإضاءات لم تخطر بباله ... يقود المعنى عبر علاقة انزياح ، وبلغة تبدو مشاكسة اتشحت به نصوصه الشعرية ، إذ يقول :

" لمْ أزل أمشي

---

[1] المجموعة الشعرية :331

[2] نقد الشعر في المنظور النفسي :163

و قد ضاقتْ بعينيَّ المسالكْ

الدجى داجٍ

و وجه الفجر حالكْ !

و المهالكْ

تتبدى لي بأبواب الممالكْ :

"أنتَ هالِكْ

أنتَ هالِكْ"

غير أنِّي لم أزلْ أمشي

و جُرحي ضِحكةٌ تبكي

و دمعي من بكاء الجرح ضاحك . " [1]

نجد الشاعر يسخر من الواقع المتناقض ، فالمشي عادة مايكون في المسالك المفتوحة ؛ لكننا نرى الشاعر تضيق بعينيه المسالك ، كما أنَّ الدجى في حلكة تامة و أنَّ الصباح ينذر بالحلكة أيضاً ، وهذه مفارقة ثانية يظهرها لنا الشاعر ، إذ أنَّ بين الظلام و الفجر فرق كبير ، لكنه يفجأنا لأنْ يلغي صفة الفجر فيمنحه صفة الظلام ، أما جرحه فيجعله ضحكةً ، لكنَّها تبكي بينما دمعه من بكاء الجرح ضاحك ، إذ نجد الطباقات تشكِّل مفارقات واضحة إلا أنَّها تؤول إلى حال واحد هو سخريته من التناقضات ، فضلاً عن احتجاجه ؛ لما يعيشه من تأزم نفسي للأوضاع الراهنة من القمع والاستلاب وكمّ الأفواه .

نستشف أنَّ الشاعر نظر إلى المظاهر الوجودية برؤيا نفسية في كثير من النصوص التي قرأها بما يستشعره من هموم بعين باصرة للمعاناة التي تعيشها الجماهير من طريق ذاته المحتجة والغاضبة على الأسباب التي جعلت الحياة تموج بالهموم والقهر والترهيب .

---

[1] المجموعة الشعرية : 143

الخاتمة

أهم نتائج الدراسة:

– إن التمهيد هو الوجه المفوض لتقريب ماهية الدراسة للدخول في عوالمها المستبطنة ، فقد تكفل في تقديم نبذة مختصرة عن حياة الشاعر والبيئة الاجتماعية والسياسية التي تحيط ، به ما جعلنا نرصد الرؤى التي لاحت في المجموعة . كما أنها لوحت إلى التشكيل الذي طرحته الدراسة وهو ما يمثل البنى الأسلوبية البارزة في نصوص الشاعر الشعرية .

– الفصل الأول , وقد ضمَّ أبرز أساليب الاحتجاج ومنها أسلوب التناص ، فقد رصدت الدراسة التناصات مع آي القرآن الكريم بصورة مباشرة وغير مباشرة , والأسلوب القصصي الذي شكل ظاهرة واضحة في أشعاره , وهو من سمات القصيدة الحديثة التي امتازت بمحاكات الواقع وتقريب موضوعها لجميع شرائح المجتمع لاسيما الثقافية , فضلاً عن ذلك حملت مزية التشويق لمتابعة القصيدة من لدن المتلقي . بينما أسلوب المفارقة فقد عجت بها نصوصه إذ حقق بها أعلى درجات مناهضته للحكام العرب بالسخرية منهم ومن ضعفهم المشين خلال مفارقاته الساخرة. أما أسلوب الاستفهام ، فقد شكَّل ظاهرة أسلوبية واضحة في أشعاره لاسيما الاستفهام الإنكاري الذي رفد خلال تقنياته احتجاجه ورفضه للواقع السياسي المضطرب في البلاد العربية .

– الفصل الثاني ، تناول تداعيات العنونة الفرعية التي من خلالها تشع دلالات العنونة على النصوص الشعرية فهي تمثل عتباتها وهي تتلازم بأنساقها على شكل خيوط فكرية تصب في فضاءات القصائد عبر قنوات متعددة منها تشاكل الفونيمات داخل الكلمة وعلاقاتها البنيوية مع العنونة وتكرار العنوان داخل النص، كما لارتباط

العناوين بأزمنة الأحداث وأمكنتها ، وهذا الترابط يمثل وحدة عضوية لنصوص الشاعر الشعرية ، فضلاً عن وحدة الموضوع . وقد ضم الفصل الرمز الشعري الذي حمل في أوداجه دلالات النص ، فقد مثَّل لوناً من ألوان البنى التي تضمر خلفها الدلالات والمعاني ، ثم تداعي حركة عين الفعل المضارع وتجاذبها مع مضمون النص يكشف الدقة التعبيرية لدى الشاعر وتماسك النص يدلل ذلك على الصدق الفني الذي تحلى به الشاعر . ثم الصورة الشعرية التي شكلت للقصائد الفضاء الأرحب خلال تداعيها مع جميع مكونات النص الشعرية فتبوح بالدلالات البعيدة أو القريبة لتتوج المعنى الشامل في صورة مكتنزة بالدلالة .

– الفصل الثالث ، تبنى رؤى الشاعر الشعرية ومنها الرؤيا الاجتماعية ، فالشاعر في رؤيته الاجتماعية نراه قد احتجَّ على كثير من المظاهر السلبية التي نخرت حياة البلاد اجتماعيا ، ومدى الظلم المستشري الذي عمَّ جميع طبقات المجتمع من سوء إدارة الحكومات الرجعية بينما الرؤية السياسية يسخر من الحكومات في عدم تحقيقها تطلعات الجماهير ، فهو المحتج والمتأسي والرافض لتلك السياسات المستضعفة من قبل الخارج لكن بالمقابل يجدها حازمة متعسفة على أبناء الشعب المقهور. أما الرؤيا الوجودية فقد عالج بها موضوعات متنوعة منها القلق والاغتراب والتضييق والضياع والموت وهي ما قوضتها الأنظمة بأساليبها الفاشية التي عاثت بأمن المواطن واستلاب حقوقه المشروعة ، بينما نستشف من المظاهر الوجودية برؤيا نفسية التي نراها تلوح بالنصوص وقد تمثلت بهمومه تجاه الوطن و بعين باصرة للمعاناة التي تعيشها الجماهير من ماناة ، وهموم ، وقهر ، وترهيب .

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم .

– الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي ، د. عبد القادر فيدوح ، مطبعة اتحاد الأدباء، دمشق ، طذ ، 1992م .

– آدام الفن , دراسات في الأدب العربي الحديث ، أ.د. فليح كريم الركابي , المركز العلمي العراقي – بغداد ، دار ومكتبة البصائر – بيروت ، ط1 ، 2011 م .

– إدوارد سعيد سيرة فكرية ، بيل أشكروفت و بال أهلواليا , ترجمة سهيل نجم , وراقون للنشر والتوزيع – البصرة – العراق ، الرافدين ، بيروت – لبنان , ط1 ، 2016م .

– استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر ، د. علي عشري زايد ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1997م .

– آليات الشعرية الحداثية عند أدونيس ، دراسة في الأصول والمنطلقات والمفاهيم، د.بشير تاوريريت ، عالم الكتب , القاهرة ، ط1، 2009م

– الإنسان والحضارة والتحليل النفسي ، ولهام راميش ، ترجمة إنطوان شاهين ، مطبعة وزارة الثقافة والإعلام ، دمشق ،1975 م.

– بنية اللغة الشعرية ، جان كوهن ، ترجمة محمد الولي و محمد العمري ، دار توبقال للنشر ، ط1 ، 1986م .

– تجليات النص مسارات تأملية في ذات السؤال ، ماجد الحسن ، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، ط1 ، 2014م .

– الثابت والمتحول (الجزء الرابع)، أدونيس ، دار الساقي ، بيروت ، ط9 ، 2006م.

– الخبرة الجمالية دراسة في فلسفة الجمال الظاهراتية ، سعيد توفيق ، المؤسسة العامة للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1 ، 1992م .

– الخطاب الشعري في الإمارات قراءات تطبيقية, د. صالح هويدي ، كتاب دبي الثقافية ، دار الصدى للنشر، ط1 ، 2010م .

– الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية ، عبد الله الغذامي ، النادي الثقافي الأدبي ، جدة ، ط 1، 1985م .

– دراسات نقدية في الأدب الحديث ، عزيز السيد جاسم ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ط1 ، 1970م .

– دير الملاك (دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العربي المعاصر)، د. محسن أطيمش ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد (سلسلة دراسات 301) 1982م.

– رحلة الفكر الاجتماعي ، أ.د. قيس النوري , المركز العلمي العراقي – بغداد، و دار نشر مكتبة البصائر ، بيروت ، ط2 ، 2010م .

– رؤى العالم عن تأسيس الحداثة العربية في الشعر ، جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي، بيروت – لبنان ط1 ، 2008م .

– الرؤى الفلسفية في الشعر العراقي الحر ، د. بشير عريعر، دار المدينة الفاضلة ، بغداد– شارع المتنبي ، ط1 ، 2014م .

– الرؤيا في شعر البياتي ، محي الذين صبحي ، دار الشؤون الثقافية العامة , بغداد , ط1 ، 1987م .

– الرؤيا والتشكيل في الشعر في الشعر العربي المعاصر (أطروحة دكتوراه) ، سلام الأوسي. جامعة بغداد ، كلية ابن رشد ، 2000م .

– الزمن التراجيدي في الرواية المعاصرة ، سعد عبد العزيز ، المطبعة الفلية الحديثة، ط 2 , 1970م

– زمن الشعر ، أدونيس ، دار الفكر ، بيروت ، ط5 ، 1986م .

– الزمن في الشعر العراقي المعاصر , مرحلة الرواد ، د. سلام الأوسي , دار المدينة الفاضلة ، بغداد ، شارع المتنبي ، ط1 ، 2012م .

– الزمن الوجودي ، عبد الرحمن بدوي ، مطبعة مكتبة النهضة المصرية ، ط2 ، 1955م .

– سيمياء المكان في شعر محمود درويش ، د. حسن غانم الجنابي , دار الشؤون الثقافية ، بغداد ،ط1 ، 2016م .

– الشعر العراقي الحديث 1945– 1980 في معايير النقد الأكاديمي العربي , د. عباس ثابت حمود , دار الشؤون الثقافية – بغداد ، ط1 ، 2010م .

– الصورة الشعرية ، سي _ دي لويس ، ترجمة أحمد نصيف الجنابي ، وزارة الثقافة والإعلام , دار الرشيد للنشر , بغداد ، 1982م .

– الصورة الفنية في المثل القرآني دراسة نقدية بلاغية ، د. محمد حسين علي الصغير، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، 1981م .

– طبقات فحول الشعراء , تأليف محمد بن سلام الجمحي (ت 231هـ) , قرأه وشرحه محمود محمد شاكر مطبعة المدني , القاهرة , د ت .

– طريقة التحليل النفسي والعقيدة الفرويدية ، ترجمة حافظ الجمال ،

– ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب (مقاربة بنيوية تكوينية) ، محمد بنيس ، الدار البيضاء ، دار التنوير ، بيروت ، ط2 ، 1985م .

– العزلة و المجتمع ، نيقولاي برديائيف ، ترجمة فؤاد كامل ، دار النشر المشترك، بغداد , ط2 ،1986م .

– علم النص ، جوليا كرستيفا ،ترجمة فريد زاهي , مراجعة عبد الجليل ناظم , دار توبقال , المغرب , ط1 , 1991م .

– الغياب في الشعر العراقي الحديث , د. عبد الخالق سلمان , دار الشؤون الثقافية . بغداد – العراق ، ط1، 2016م

– الفكر والمعاصرة , محيي الدين إسماعيل ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط1 ، 1989م .

– الفلسفة الوجودية عند نيقولا برديائييف ، د. نبيل رشاد سعيد ، وزارة الثقافة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط1 ، 2006م .

– الفن والحلم والفعل ، جبرا ابراهيم جبرا ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، 1979م.

– في حداثة النص الشعري دراسة نقدية ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية – بغداد ، ط1 ، 1990م .

– المجموعة الشعرية ، أحمد مطر ،دار الحرية ، بيروت – لبنان ، ط1 ، 2011م.

– مشكلة الحرية ، د. زكريا إبراهيم ، مكتبة مصر ، د. ت .

– معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، د. سعيد علوش ، دار الكتب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1985م

– من الأثر الأدبي إلى النص ، رولان بارت ، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي, مجلة الفكر العربي المعاصر ، ع 38 ، سنة 1986م .

– الموت في الشعر العربي الحديث ، تأليف أحمد بكري عصلة ، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق , الكويت ، ط1 ، 2000م .

– نظرية البنائية في النقد الأدبي ، د. صلاح فضل ، مكتبة الإنجلو المصرية ، دار الأمانة ، 1978م .

– نقد الشعر في المنظور النفسي ، د. ريكان ابراهيم ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1989م .

– النقدية العراقية في مجلة الأقلام ، ولاء إسماعيل ، الرافدين ، لبنان ، بيروت , ط1 ,2017م .

– الوعي الجمالي بين فلسفتي العلم والبرجماتية ، د. هيلا شهيد ، الرافدين ، بيروت ، ط1 ، 2017م .

الدوريات :

– المفارقة ، د. خالد سليمان ، مجلة الآداب ، قسطنطينة ، العدد (2) ، السنة (1) 1995م

– من الأثر الأدبي إلى النص ، رولان بارت ، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي , مجلة الفكر العربي المعاصر ، ع 38 ، سنة 1986م .